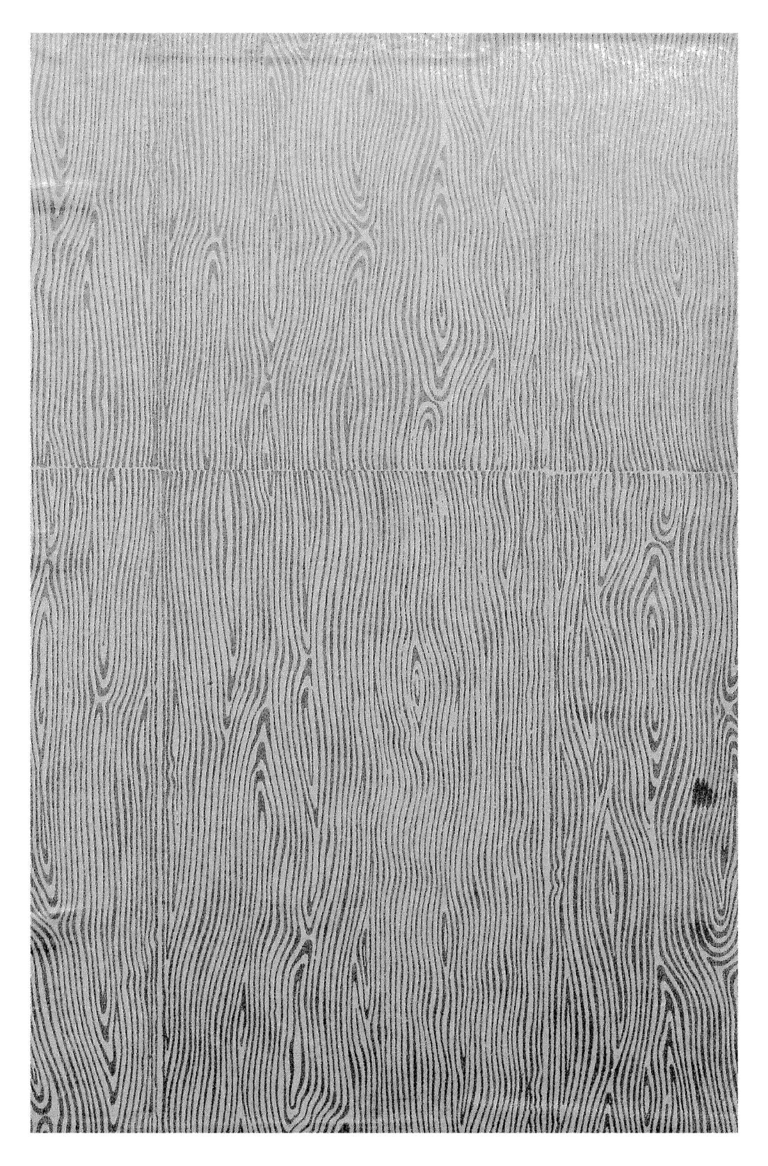
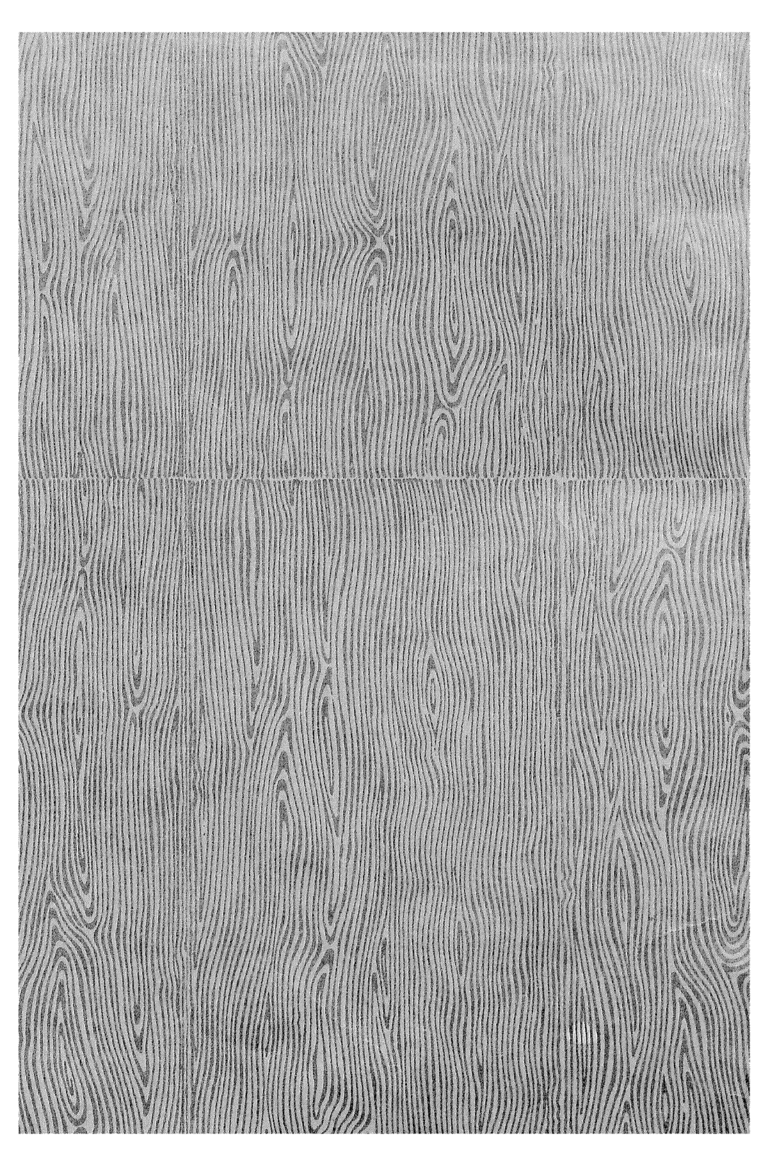






العظماء

عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم

تأليف

بلوطرخوس

نقله إلى العربية

ميخائيل بشاره داود

سنة ١٩٢٨

دار العصر للطبع والنشر بمصر

شارع إسماعيل الفلكي رقم ٧ بالظاهر

المقدمة

العظمة لله ولا تقدير لعظمته .

هذه سير طائفة من الرجال عاشوا للخير والمجد كدوا لهما نفوسهم وأفنوا في سبيلها اعمارهم ، عاش الرجل منهم كما قال صولون

دوحةوارفةيستظلها قومهاذا ارهقهم وهج الحياة ، ومتى أمنوا الاذىابتعدوا عنها ، ومدوا ايديهم الى اغصانها يهصرونها الواحد بعد الآخر ، ولربماعمدوا الى الدوحة ذاتها فاجتثوا جذورها .

لم ينعم هؤلاء المجاهدون بما عملوا الا بماقي عمل الخير ذاته من نعيم ، ولم يظفروا بالمجد في حياتهم الا لمحات بين البروق والرعود . فالعظيم رجل انار له الماضي امامه وجه الحاضر ، وقراء صفحات المستقبل على ضوء الحاضر تعشق املا اعلى عاش به وله ومات مجاهدا في سبيله .

يقولون ان الرجل العظيم حادث قائم بنفسه ، يدلك على ذلك انك تدخل الحديقة الفناء فلا تجد اشجارها سواء ، وتنظر الى الشجرة فلا تجد اغصانها سواء ، وتتأمل الغصن فلا تجد ثماره سواء .

كذلك تزور المدينة فلا تجد اهلها في زى واحد وتنظر الى الاسرة فلا تجد ابناها في قالب واحد وتتأمل الابناء فلا تجدهم سواء لامن حيث الشكل ولا المزاج ولاالصحة ولا العقل ، على ان الثمرة من جنس شجرتها ، لابد . والرجل من اهله وبيئته ، لابد . لكل حالة خاصة ، وظرف خاص مما لايقع تحت ضبط ولا ترتيب .

اذا قيل ان اسكندر كان عظيما لان والده كان فيليب ملك مقدونية وان معلمه كان ارسطو، الذى علم ديستوكل العظمة حتى الفناء في حب الخير لاهله، يدفع عنهم غارة الفرس بالرغم منهم والحيلة عليهم، يحتمل مع ذلك الضيم من قومه حتى النفى والحكم بالموت يقابل ذلك بان يتجرع السم فى منفاه حتى لايرفع سيفه فى وجه مواطنيه . ! وليكورجوس؛ الذى سن لقومه خير شرائع البطولة؛ ثار عليه قومه وفقاء متهوس عينه بضربة عصا فلم يكن هذا بمقعد له عن العمل لما اراد من الخير. دأب على عمله حتى نهض بقومه وجعلهم سادة البلاد اليونانية كلها . ثم بلغ به الحرص على شرائعه وجد قومه ان جمع رجالاتهم واخذ عليهم العهود والمواثيق واستحلفهم اغلظ الايمان الا يبدلوا منها شيئا حتى يعود اليهم . انطلق بعد ذلك الى رحلة حيث قتل نفسه صبراً واوصى بحرق جثته وتذرية رمادها فى الهواء ليبقى على قومه ايمانهم وتبقى لسبارطة شرائعها فتدوم سيادة وطنه ؟

يزعم البعض ان من الممكن توليد الرجل العظيم باختيار والديه و بيئته وتهيئة ظروفه على طريقة الانتخاب الطبيعى . يكون ذلك ممكنا ، ولكن ماهى الشرائط اللازمة لاستبقاء هذا الانتخاب . ؟.

صحة الوالدين او ضعفهم؛ سعة علمهم او جهلهم، تقواهم او فسادهم؛ غناهم او فقرهم، ؟ والبيئة والظروف ؟ ماهي ؟ وكيف تهيأ . وكيف يؤخذ الصبى ؟ ايحول مزاجه الى حالة عصيبة مخصوصية ، او يدرب على الحيلة والشجاعة والصبر . ؟ ممن تعلم روءولوس بناء روما؟ من ابيه ولم يعرف له ابا ؟ من امة ولم يكن له من مرضع سوى ذئبة ؟ . الا يدل كل هذا ان للقدرة الالهية وتصاريف حوادث العمران اليد الاولى فى خلق الرجل العظيم . ؟

يقولون لو اخذ الانسان نفسه بالصبر والاقدام وتعلم فنون الحياة؛ وانعم النظر في حوادثها؛ وكان نهازا للفرص ، انقلب الفكر عنده عملا ، وصار عظيما .

ولكن ! مجرى الحوادث ، تقلبات الظروف ، اهواء الرجال ، عماية الانسان عن معرفة مايخبيء الغد ؟ الم يفشل هينبال ونابوليون فى اعظم مواقعهما ترتيبا وتقديرا ؟

يقولون كم عظيم قتله الفقر ! على انا نرى ، كم فقير كان فقره سبب عظمته .
و يقولون كم عظيم قتلته بيئته ! مع انا نرى البيئة هى التى تنبت من تحتاج من العظماء .

الواقع ان العظيم ينم عن نفسه منذ صغره . . اذا لعب ، رأس اللاعبين ؛ واذا درس بز الدارسين ، يتصدر للحكم بين زملائه الصبيان ، و يشعر من حوله انه خلق ليكون قائدا لأستودا ترى ذلك الصبى يلتهم كل مايقدم اليه من علم وفن يطلب المزيد بلا شبع كأن لعقله مخ قوى يهضم كل مايلقى اليه . لايقنع بما بين يديه من كتب المدرسة ولايحل سماع أقوال الحكماء ، يندس الى مجالس العظماء و يغيظه ان يقال عنه صبى وان كان لايتجاوز العاشره . ومن خصائصه أن ينصب على نوع العين من العلوم ويكره كل شيء عداه . لايبالى من خلق لادارة السياسة بعلوم ماوراء الطبيعة مثلا ولا اللغات الميتة ؛ انما كلة كلف بتعرف طبائع الناس وأساليب الحكم وفنون السياسة

ينصح الاخلاقيون لمن رزقوا صبيا كهذا ، الا يعطوا ميوله ونزعاته والايرغموه على مالا تشتهى نفسه . وان يروا فيه الرجل العظيم ، يتعهدونه بالمزيد مما يحب .

أين يجد ذلك الصبى العظيم مايريد من مزيد ؟ ـ فى الكتاب . ؛ من درى أخبار من قبله اضاف اعمارا الى عمره . لاشك أن من درى علوم من قبله وتعرف تجاريب واختبارات سابقية ومعاصريه انفتق ذهنه ورأى الحياة على حقيقتها وعرف طبائع الناس ونظر من خلال ذلك الى المستقبل نظرة صادقة . فاذا كان مع هذا كريم الطبع متين الخلق ، محبا للخير ، عاش لعمل الخير وكان عظيما .

يقول اصحاب فكرة التدريب . يجب مران الصبى على ثلاث خلال النظرة الصادقة ، والفكرة الحكيمة والارادة الحازمة .

النظرة الصادقة مشاهدة الشيء أو الحادث على حقيقته من كل نواحيه وجميع ما يتألف منه ومقدار كل عنصر من عناصره ، ماهيته ، قوته ، أثره . ولا يمكن أن يتوفر هذا بصبي حرم النظر الدقيق والمرشد الامين.

والرأى الحكيم ان يعالل الصبي مايرى وينظر الى ماينتهي اليه . المقدمات والنتايج ، يتبين الفاسد منها والصحيح ، الوهمى والحقيقى ، اثر كل منهما . وكان يمكن أن يعطل حدوثه أو يفسد نتيجته . وما جاء عرضا وما جاء قصدا . وما فيه من عمل الانسان وما فيه من عمل للظروف ؛ كيف نما ؟ كيف تم . ومتى راض الصبي نفسه على النظرة الصادقة والرأى الحكيم فلا يعوزه سوى الارادة .

هل يمكن تربية الإرادة ؟ . ان كتاب « بايو » فى تربية الارادة خير يحسن نقله الى اللغة العربيه . حقيقة ان كلامه عن الحرية الشخصية المطاقة ليس مما يقنع العلماء الا أنه من الخير للانسانية أن تعتقد تلك الحرية . أما القول أن الانسان مسير لاارادة له على الاطلاق فليس من المصلحة فى شيء . الحقيقة ان الانسان ليس حجرا يرمى به فى كل مكان ولا هو اله قادر على كل شيء . على أن القول فى ذلك لم يبس به بعد . ومن المنطق المعقول انه اذا كان لامر وجهان حق لنا أن تأخذ بالادنى الى المصلحة !

اذا كان هذا فليس الغرض من تربية الارادة جعل الانسان فعالا لما يريد. انما يراد بذلك ، انه متى توفر لانسان النظر الصادق والرأى الحكيم يتعين عليه أن يمضى فيما اراد بعزيمة صادقة لاتمل الجهاد ولا تعرف اليأس . لو ان انسانا تمرس بهذه الخلال الثلاث النظرة الصادقة والرأى الحكيم والارادة الحازمة لما بقى بينه وبين أن يكون عظيما سوى أن تظهره الظروف أو يرزق الحيلة لاظهار نفسه

يقولون ان لكل عظيم سواس تقدموه الى ماقصد له . يريدون اشباه العظماء أو انصاف العظماء الذين يبدو لهم الغرض السامى يهمون اليه وهم أقل من أن يدركوه فيسقط البعض فى الطريق و يضل البعض السبيل السوى . يأتى بعد

هؤلاء الرجل العظيم بدرس خطط سيرهم و يدرس مواقع اخطائهم يتخير اهدى السبيل الى غايته . فلهم عليه بذلك فضل التقدم وان لم يبلغوا شاؤه .

ويقول اذا كان لهؤلاء السواس فضل على العظماء، افلا يكون للعظماء انفسهم الفضل بعضهم على بعض بما يقدم المتقدم منهم للاحق من قدوة صالحة ومثل اعلى؟

الم تثر سيرة اسكندر النخوة فى صدر يوليوس قيصر والم تثر سير عظماء اليونان والرومان النخوة والمروءة والفضل في نفوس عظماء العالم حتى اليوم : ؟

لم أ كن لاقدم على نقل سير هؤلاء العظماء الى اللغة العربية على ما بى من ضعف لولا الرغبة في لفت انظار مواطنى الافاضل الى هذه القدوات الصالحة واستثارة نخوة الشباب الناهض الى العظائم يخدمون بها الله والحرية والوطن

الفضل فى ظهور هذه الترجمة .

يرجع الفضل كله فى ظهور هذه الترجمة الى مروءة صديقى الفاضل الاستاذ اسماعيل بك مظهر صاحب مجلة العصور ومطبعتها . لذلك ارجو اليه أن يتفضل بقبول شكرى واحترامى لاحرم الله الادب من امثال الفضلاء .

ميخائيل بشاره داود

العظماء

ص

بلوطرخوس

بقلم

فيلماند

قال مونتنى (١) : لو أن بلوطرخوس كتب لنا شيئاً عن نفسه لكان استمتاعنا بمؤلفاته أعظم ، وادرا كنا لمانيها أوضح، وأثرها فى نفوسنا أقوى .

ومن لاتشوقه معرفة حياة ذلك المصور القدير الذى أبرز لنا صور العظاء، وأطلعنا على دخائل نفوسهم في أبدع تصوير وأدق بيان ، ليعرف ماانطوت عليه مؤلفاته من خبرة وتفكير . تمنى مونتنى أن يعلم عن بلوطرخوس ما أعلمنا هذا عن أولئك العظاء من التفصيلات المحكمة والحالات الخلقية الدقيقة ، التى تظهر آثار الطبيعة البشرية فى التاريخ .

لئن أعجبنا بما في وصفه الدقيق من رقة وانسجام فان، لا أسلو به فى الموازنة بين العظاء خطره في الكشف عن شخصياتهم أو هي قبسات من العلم والفلسفة يرسلها عليهم في تفكيره الهادىء .

لنا في حوادث العصر الذى عاش بلوطرخوس في ظله مايزيدنا معرفة بحياته الشخصية . انك لتعجب كيف نبغت تلك النفس الحرة الأبية فى تفهم فضائل الجمهورية تحت نير الاستبداد والظلم اللذين جعلا « اليونان » خاضعة ذليلة لحكم روما ، حين كان «دومتيانوس» يستذل روما ويستعبدها .

ان فلسفة بلوطرخوس عديدة المنابع ، شهدت تدهور فكرة تعدد الآلهة . وجهود جماعات من اليهود واليونانيين مبشرة بدين مقدس جديد ينطوى على أسمى مبادىء الحكمة القديمة و يستمد الكثير من فلسفة أفلاطون ومبادى الرواقيين وكثير من مبادىء الجمهوريات القديمة كالاشترا كية والديمقراطية (الشعبية) الاخوية .

ان بلوطرخوس لاشهر كتاب العصور القديمة، واسمه أكثر الاسماء دوراناً على

(١) فليسوف فرنسى شهير

الالسنة،وذكره أوفر شيوعاً بين الناس . ولد في مدينة « شارونة »الصغيرة من أعمال « بيوتى » التى اشتهرت بانتصار فيليب واستعباد اليونان.

لانعرف بالضبط تاريخ ميلاده،ولكنه قال عن نفسه أنه كان يتلقى العلم في « دلفي » على أمنيوس أثناء سياحة نيرون في اليونان. وعليه يمكن القول بأنه ولد في آخر عهد « كلوديوس » أي في منتصف القرن الأول للميلاد . وهو سليل أسرة شريفة توارثت الميل الى درس العلوم والآداب وقد شهد في طفولته والده وجده ووالد جده ، ونشأ تحت تأثير العادات والاخلاق القديمة في ظل هذه الاسرة الهادئة التي أعانته نوعاً ما على التمكن من ذلك الخلق الرضي والعواطف الاجتماعية المحبوبة الظاهرة في مؤلفاته . رسخت في حفظته ذكرى والد جده « نيكارشوس »وما كان يلهج به ذلك الشيخ من وصف الويلات التى صبت على اليونان أيام حكم انطونيوس أحد اعضاء الحكم الثلاثى في روما.وحروبه ضد أوكتافيوس حين اجتلب القتال الى مياه بلاد اليونان فأرهق الاهالى بما كان يطلب من الامدادات وتكليفهم حمل الغلال على أكتافهم لتموين سفنه. وكذلك يذكر بالخير جده «لمبرياس» معجباً بفصاحته وخياله البراق وانتعاش روحه .يروى عنه قوله والكأس في يده بين جماعة من صحبه العبارة التالية يتبع القول بالعمل . « ان الخمر تعمل بالعقل ماتعمله النار بالبخور ، تأخذ منه أزكي وأطيب جزء فترسله بخاراً . »

كان بلوطرخوس كثير المفاخرة بوالده لما كان عليه من فضل ووقار ومعرفة بالشؤون الدينية والفلسفة والشعر . يذكر له مع الاحترام طائفة من النصائح والارشادات القيمة تلقاها عنه أيام طفولته .

كان لبلوطرخوس أخوان يحبهما حباً جماً . وقد تلقى في مدرسة أمونيوس التى دخلها صغيراً حيث تعرف بأحد أحفاد تمستوكل،العلوم الرياضية والفلسفة،ولاشك في أنه تخرج في الآداب على أساتذة مهرة . وأثر الشعر ظاهر في مؤلفاته

يظهر أن مواطنيه عهدوا اليه بالرغم من حداثة سنه القيام بمفاوضات مع المدن المجاورة ، فقاده هذا المسعى الى روما التى كانت حينذاك محط رحال البارعين من

صناع اليونان وفلاسفتها طلباً للشهرة والثروة ، سواء أكان ذلك باتصالهم بأحد من كبار رجالاتها ، أو باعطاء دروس خصوصية علانية في الفلسفة والبيان . ولم يهمل بلوطرخوس ولا شك هذا المقصد في سبيل الشهرة ، نقد قال عن نفسه أنه « لم يجد مدة اقامته في ايطاليا متسعاً من الوقت لدرس اللغة اللاتينية لكثرة ما كان لديه من المهام العامة المكلف بأداها ، عدا مباحثاته في فنون الفلسفة مع العلماء الذين كانوا يأتون لاستشارته وسماع أقواله . وكان يخاطبهم بلغة بلاده جرياً على ماحرص عليه اليونانيون حينذاك من حمل الفاتحين على تعلم لغتهم وجعلها لغة الفلسفة والبيان .

من البين الواضح أن هذه الدروس العامة وتلك المحاضرات كانت أساساً لما نشره بلوطرخوس من المباحث الادبية .

كان فيلسوف شارونة (بلوطرخوس) يقوم فى روما بوظيفة السوفسطائى . وكان هذا اللقب أصبح شائناً يحسبونه دليلاً على الانحطاط الادبى. ولكن كثيرا من النوابغ اضطلعوا بهذه المهمة فى روما ونما بهم شأنها وذاعت شهرة أصحابها، فصاروا موضعاً للاضطهاد .

يعرف أن الفلسفة كانت فى عهد امبراطرة الظلم والاستبداد ملجأ الحرية الوحيد بعد طردها من الفوروم (١) ومجلس الشيوخ . تخذت الفلسفة فيما مضى على الجمهورية اذ لم تكن سوى شك معطل أساء العابثون إستخدامه، ثم ارتقت بها الحال فصارت أشبه شيء بعقيدة دينية تعتنقها النفوس القوية ولم يكن لأصحابها وتلك حالهم من حكمة يتعلمون بها كيف يحتملون الموت. فاستحالت الفلسفة الى مذهب الرواقيين المعروف .

كان بلوطرخوس شديد العداء لتعاليم ابيقور شديد الاعجاب والاحترام لافلاطون وتلميذه، لاعتقادهما بخلود النفس والعدل الآلهى والخير وهى مبادىء ان كانت أقل طهارة ونقاء من المبادىء المسيحية ، فانها كانت كافية لأنهاض النفوس الشريفة .

(١) المنبر العام .

روى بلوطرخوس شيئا عن عظماء الرومانيين الذين يحضرون دروسه فقال: بينما كنت القى درسى في روما وكان «أرولينوس روستيكوس» حاضراً وهو الذى قتله دومتيانوس حسداً وغيرة من مجده، دخل جندى أثناء الدرس وسلم اليه مكتوباً من الامبراطور، فتولانا الجزع ولزمنا الصمت ووقفت عن متابعة القراءة ولكنه أبى أن يفض المكتوب قبل نهاية المحاضرة واختتام الدرس.

وأرولينوس هذا هو الذى أطرى سجاياه تاسيتوس و بلينيوس الشاب بالاعجاب والاحترام، وهو صديق ترازياس وهافيديوس، فهو حقيق أن يغتاله الظلم كما اغتال ذينك العظيمين

ليس من المحقق أن بلوطرخوس أقام فى روما حتى أصدر دومتيانوس أمره بنفى جميع الفلاسفة. ويزعم العلماء أنه كان يتردد على روما ولكنه لم يرحل البهامنذ بداءة حكم هذا الامبراطور، ومن المؤكد انه عاد الى وطنه فتياً تحت تأثير حب الوطن ورغبته في امتاع مواطنيه بما اقترن باسمه من الاحترام والرعاية . ثم تزوج مختاراً من اعرق بيوتات شارونة زوجة تدعى «تيموكين» وكانت نفسه فياضة بالعواطف العائلية الشريفة يرددها بين الحنو والحب . وقد احتسب في ابنين وابنة وهم فى المهد نخلد ذكرهم فى كتاب عزاء أرسله الى زوجته ينطوى على حقيقة الالم الذى يليق بالنفوس الزكية الراقية، مصوراً فضائل الزوجة والوالدة فى كثير من الاخلاق القويمة والتخيلات الشعرية التى تحبب الينا مطالعة كتبه. والظاهر جلياً ان بلوطرخوس الذى وضع مؤلفاً فى الحب الزوجى، وكان اول من روى لنا حديث (ابونين وسابيوس) قد ذاق ذلك الحب فى أصفى حالاته وأسعدها. لذلك جاء بيانه وافياً مستفيضاً عن واجباته و بطولته

وفى مؤلفاته واقعة حال حقيقة بعصر اليونان الذهبي أكثر منها بعصر دومتيانوس الحديدى . وتفصيل ذلك، أنه شجر خلاف بين بلوطرخوس و بين أهل زوجته لا تعرف أ[illegible]ن منشأه صلابة [illegible]ن هؤلاء وصلف أم مصلحة . ففزعت الزوجة الفتية لهذا الخلاف وخشيت أن [illegible]ابز شره، فيمس ماتنعم به من ذلك الاتحاد الزوجي العذب، فألحت على رجلها فى الذهاب الى جبل «هاليكون» وتقديم ضحية للحب

(الآله) الذى كانت لا تعتبره تعاليم العصور الخالية آله المحبين وحارس عهودهم ومواثيقهم لا غير ، بل الآله الذى يمد سلطانه على جميع الروابط العائلية والعواطف وأنه الموكل بصيانة الوفاق والوئام فى العالم المادى . قبل بلوطرخوس القيام بهذه الرحلة المقدسة مع امرأته مصطحباً جماعة من أصدقائه وقدموا الضحية على مذبح الآله وعادوا بقلوب مطمئنة تحمل الحب والسلام، وهما خير مايوحى به الى الناس .

ان هذا لا يتفق وما رواه « أولوجل » من أن بلوطرخوس كان يؤدب خادمه بضربه بقضيب من حديد، فرأى الخادم وهو يتوجع من شدة الالم أن يعيب على سيده القسوة ، فقال أن هذه الاساءة القاسية تدل على قلة مافي نفسه من حب الفلسفة، وجبهه بذكر المؤلف البديع الذى كتبه ضد الغضب ، وأنه نسيه . فأجابه بلوطرخوس فى هدوء وسكينة أتحسبنى غاضباً لأنى أعاقبك ؟ هل تبدو على وجهى علامات الغضب ؟ هل بدرت منى كلمة مخجلة ؟ هذه علامات الغضب الذى نهيت عنه الحكماء . ثم التفت الفيلسوف الى الجلاد وقال له . (على رواية أولوجل) « استمر في عملك لا يعوقك حديثى مع هذا الرجل . » ويقول لنا بلوطرخوس نفسه فى ذلك أنه لم يكن على شىء من ذلك الصبر ولا هذه الحدة. قال « حدث مراراً أنى غضبت على عبيدى ولكنى رأيت أخيراً أن الأليق بى هو أن أدع تسامحى يفسد أخلاقهم، لا أن أدع الغضب يفسد أخلاقى، وأنا أعالج اصلاحهم» .

وحرى بنا أن نعتقد صدق هذا القول الذى يتفق تمام الاتفاق مع طبيعة حسن الرعاية والخلق السامى الذى يبدو جلياً في مؤلفات بلوطرخوس حتى يشمل الحيوانات . وهل يستطيع من يقول أنى لا أرضى أبداً أن أبيع ثوراً هرم في خدمتى ، أن يهزأ بتعذيب عبد ؟

كان بلوطرخوس شديد الاهتمام بشؤون وطنه ، شديد الغيرة على ما بقى لمواطنيه من ظل الحرية فى عهد السيادة الرومانية. وكان يدعوهم الى تسوية مشاكلهم أمام حكامهم الوطنيين دون أن يلجوا الى القنصل أو الحاكم الرومانى . وليكون لهم قدوة صالحة، تولى بنفسه جميع شؤون بلدته (شارونة) التى تركها روما للاهالى .

لم يكن حاكما يشغل أرقى مناصب المدينة لا غير، بل بقى زمناً طويلا يؤدى عمـلا حقيراً بكل مالديه من دقة وانشراح. وكان ذلك رقابة عمـل عام يوجب عليه قياس القرميد وقيد مايقدم اليه من الاحجار. وهذا لايتفق مع ما زعمه بعض القـدماء من أن بلوطرخوس نال شرف تعيينه قنصلا فى عهد ترايانوس. يكذب سو يداس راوى هذا الخبر، أمران: الأول عدم و رود مايدل عليـه فى صحف التاريخ. والثانى: ماهو معروف من عادات الرومانيين .

و روى آخر أنه كان معلماً لترايانوس وليست هذه الرواية بأصدق مما تقدمها. وغاية ماحدث أنه أهدى الى هذا الامير مؤلفاً . ولـكن بلوطرخوس تولى على مايظهر منصب كاهن أبولون عدة سنوات وقد وردت في أحد بحوثه العبارة الآتية « تعلم أنه قد مضت عـدة سنوات وأنا أمارس كهانة أبولون، ولا أظنـك تقول لى كفى يا بلوطرخوس، لقد مارست الصلاة كثيراً وطفت بالموكب المقدس كثيراً وأدرت حفلات الرقص حول المـذبح كثيراً وقد أصبحت شيخاً كبير السن وقد حان الوقت لتخلع عن رأسك التاج لتقدمك في العمر » وقد انضم بلوطرخوس و زوجته الى « أخوية با كوس » وهى اجتماع سرى كانوا يدرسون فيه تعاليم الاعتقاد بخلود النفس وثواب الآخرة وعقابها

لا نعلم بالضبط تاريخ وفاة بلوطرخوس . ومن المحتمل أن يكون قد مارس الفلسفة حتى كبر كما يؤخذ من مؤلفاته وما تضمنته من النكات

إنا لنتمثله شيخاً امتلأ أياماً وخبرة، وقف من قومه موقف المعلم الخبير يروى لهم أخبار اليونان القديمة وأعمال أبطالها. يتدفق من فمه ذلك البيان الغزير وتحيط به تلك الهيبة الوقور وتعلو وجهه تلك السذاجة الرقيقة التى نعجب بها كلما تلونا مؤلفاته

ان مؤلفات بلوطرخوس بسعتها واختلاف موضوعاتها لأكبر مسـوعة للحوادث والذكريات والأفكار التى وصلت الينا عن العصور الخالية . لانها جاءت في عصر انحطاط علمى وفني. الا أنها جاءت عظيمة فى أساوبها وعباراتها يأتنس مطالعها ببلاغة اليونان القديمة ويتسمع بيانها في كل عصر من العصور فلا تختلف عنها

عبارة بلوطرخوس الا بما طبعت به عباراته من السذاجة والرقة والجودة ، اذ كان خياله يحمله الى عصر كل من الاشخاص والاشياء يحدثك عنه

لا نقول أن جميع مؤلفات بلوطرخوس فى مستو واحد من حيث الفن والموضوع . ان من مؤلفاته الأدبية مالا يستحق الذكر وليس به سوى فلسفة عامية. وكان هذا أثر الشباب أو السفسطة التى أطالت معه أجل العيوب الى سن الكبر. على أنا اذا رجعنا الى زمن تآليفها علمنا أنه لم يكن ليكتب ما كتب لولم يكن على شىء كثير من المهارة والذوق السليم ، نهض به عن الاسفاف الذى كان عاماً حينذاك . هـذا عدا ما كان مطبوعاً عليه من الصفاء الطبيعى والتزام الحقيقة. ولا جدال في أن أجل مباحثه لم يعـد فى جوهره الفلسفة اليونانية ولم يعمـل بها سوى أن لخصها مع فضله فى اجادة صـياغتها وأحكام سبكها وطبعها بطابعه النفسى ، حتى جاء ما نسقه منها غريباً فى بابه .

لئن كانت مؤلفاته الأدبية لا تنطوى على شىء مما تسمو اليه تعاليم الرواقيين ولا خيـال أفلاطون وحماسـته ، فانهـا تملأ النفس شـجاعة واقداماً على العمل، إذ تستند الى الوقائع، يزينها تصوير متقن وتشبيه حى يخاطب القلب والعقل معاً . ولقد سما بلوطرخوس بمحاضراته الصغيرة الى مقام. المؤلفات القيمة التى كانت نواة صالحة لأعظم الـكتب، كما كان بحثه فى التربية أكبر معين لروسو فيما احتواه كتابه الشهير « أميل » من الآراء السامية والعبارات البليغة .

لم يرد في مؤلفات بلوطرخوس الأدبية على وفرتها ذكر المسـيحية . على أن « بلينيوس » يقول أنها كانت فى ذلك الوقت قد انتشرت فى اقليم « بونت » المجاور لليونان حيث أقام كثير من المسيحيين، وكانت المسيحية قد نفذت من زمن بعيـد الى أثينا وغيرها من أحط بقاع اليونان مدنية

ولقد أثار الدين المسيحى فى رو ما ذلك الاضطهاد الفظيع الذى أشار اليه تاسيتوس في غير اهتمام . على أن اشارته جاءت شهادة صريحة . لان دومتيانوس الذى أشتدت قسوته أثناء اقامة بلوطرخوس فى ايطاليا على الفلاسفه ، أهلك سرا كثيرا من تلاميذ الدين الجديد . لان الاقتناع القوى والايمـان الذى يثير الحمية يقضان

مضاجع الظالمين • ان الفيلسوف أمونيوس الذى تلقى بلوطرخوس عنه العلم، ولد بالاسكندرية وهى موئل المسيحيه. فاذا لم يكن قد اعتنقها فهو على الاقل مضطلع باسرارها

ومن المدهش أن بلوطرخوس الذى كان يعنى تلك العناية الدقيقة بأخلاق الناس وآرائهم لم يأت بكلمة عن دين تكلم عنه لوسيانوس بعد سنوات بتلك اللهجة المرة التى تشعر بغيرة وحسد السوفسطائيين الذين قضت عليهم تلك السلطة الجديدة • (سلطة المسيحيه)

فهل كان بلوطرخوس يجهل هذه الحوادث وهى على مقربة منه ؟

لقد أشار العالم الاخلاقى الكبير « سنيكا » اشارة غير مقتضبة الى ما أذاق المسيحيون من عذاب. أفلم يلاحظ بلوطرخوس شيأ من ذلك مع أنه كتب بعد ذلك بثلاثين سنة ؟ لنا فى حياة فيلسوف شارونة جواب ما نتسائل عنه • لقد عرفناه شديد الحرص على اخلاق اليونان القديمة وآدابهم وكان والده وثنيا تقيا عالما بالاسرار القدسية، وكان كثير العناية بشعراء ايونان وفلاسفتهم وعظمائهم وكان يؤدى بكل دقة وظيفة الكهانة ولم يزر يونان آسيا ولا سورية، واطمأن الى سكنى بيوتيا حيث كان للدين من سذاجة الاخلاق ما يصونه • فلا موضع للدهشة اذا رأيناه قليل الاهتمام بدين جديد يحرص أصحابه على كتمان تعاليمه وكتبه المقدسة • وكأنه لم يكن يعلم شيئا كثيراً عن اليهود ، فلم يذكرهم الا بالسخرية من حرصهم على يوم الراحة (السبت) ولم يذكر عن دينهم سوى خرافة شائعة رواها تاسيتوس • فهو بطبيعته وميوله رجل العصور الماضية ينظر الى العادات القديمة نظر الرقيب الساذج. لهذا لم يعبأ بلوطرخوس بذلك الحادث الدينى الخطير الذى انتشر خفية فى جميع أنحاء العالم. وهو الحادث الذى نظر اليه بلينيوس وتاسيتوس بذلك الآباء الرومانى المتراوح بين السخرية والقسوة •

لا شك فى أن مؤلفات بلوطرخوس الفلسفية خلاصة عظيمة لجميع ضروب الحكمة القديمة. ولكن مؤلفه في سير العظماء له فوق ذلك ميزة جلى • انه يصور الطبيعة الانسانية بسذاجة بلغت غاية الابداع فترى فى أسلوبه عامة، شيئاً من آثار ذلك البيان الخلاب المستعار من مدارس السوفسطائيين في بلاد اليونان وروما

أطلق بلوطرخوس على مؤلفه العظيم اسم المقابلات أو الموازنة بين سير العظماء. أراد بذلك تدوين موجز من سيرة عظيم يونانى يتلوه آخر من الرومان، ثم يقابل بين الرجلين ويزنها بميزان واحد . أفلا يذكرنا هذا التعسف بنظريات المدارس الخيالية وتلاعب أصحاب البيان ؟

وهل نجد فى التاريخ تلك العلاقات او اوجه الشبه التى تقتضيها القريحة الخطابية لتوازن بين خطى عظيمين ؟ الا تمتنع علينا الدقة اللازمة اذا حاولنا التقريب بين طائفة كبيرة من العظماء ؟ الا يكون الكاتب مضطراً للاختلاق ليجد سبيلا للمشابهة او التكلف لاظهار الخلاف؟ وهل يمكن ألا يقع الكاتب في التكرار والترديد متى يتعمد رغم التاريخ ايجاد مشابهات مستمرة عند ما يحشر عظماء شعبين فى دائرة ضيقة كهذه ؟ قد يكون المبرر الوحيد الذى حمل بلوطرخوس على ارتكاب هذه المشقة، هو انه يونانى يشعر بأن وطنه تحت سيادة الرومانيين فوجد من العزاء أن يحدد مجد الفاتحين بالمقابلة بين كل عظيم منهم و بين آخر ممن أنبتتهم ارض وطنه

لقد عد المدققون من العلماء على بلوطرخوس كمؤرخ غلطات كثيرة واتهموه لا بل أثبتوا عليه اهمالا وخطأ فى الوقائع والاسماء والتواريخ كما اثبتوا عليه التناقض فى اقواله وعدوا عليه اخطاء يراها الناقد المدقق مما يشين المؤرخ. ولكنها لا تنفى شيئاً من نبوغه وعبقريته

لقد اعترف بلوطرخوس رغم كثرة ما كتبه عن روما أنه لا يجيد اللغة اللاتينية . ومن المعلوم ان التدقيق التاريخى فى العصور الخالية كان كثير العناء صعباً لا ضابط له. أما الآن فانا بفضل المطابع والصبر الطويل قد تيسر لنا جمع النصوص والآثار فأصلحنا اخطاء القدماء انفسهم . ومع كل فأى خطر من قول بلوطرخوس ان توللى ابنة شيشرون لم تتزوج سوى مرتين وانه نسى كراسيب ؟ وأى خطر من خطئه فى اسم شعب أو بلد أو انه حرف بعض عبارات «تيت ليف». ان هذه الاستكشافات العلمية لا تمس جمال ما رواه المؤرخ. قد يدهشنا تناقضه في أقواله اذ يروى لنا فى سيرتى عظيمين قصة واحدة بأسماء واحوال

مختلفة متباينة . لا يؤخذ من هذا سوى أن الـكاتب كان خطابياً أكثر منه نقاداً . وانه كان اكثر اهتماماً بالتصـوير النفسى ودروس الحـكمة منه بالتفصيلات ودقائقها . على أن هذا الاسلوب كان شائعاً بين جميع كتاب تلك العصور .

لا يسعنا بالرغم من كل هذه العيوب سوى الاعتراف بأن ما كتبه بلوطرخوس عن العظماء هو من أكبر الآثار العلميـة حتى من حيث التدقيقات التاريخية وانه أثمن ما اهتدى اليه الباحثون من الآداب القديمة التى وصلت الينا مبتورة . فلولا بلوطرخوس ما عرفنا كثيراً من الحوادث ولا أسماء الـكتاب . ولقـد امتاز عدا ما كتبه عن عظماء اليونان بدقة وتوسع بأنه دون لعظماء الرومانيين كثيراً من الحوادث التى لم يأت بها سواه. لقد ذكر كثيراً من أقوال « تيت ليف » التى أبادها الزمن . وكثيراً من المؤلفات اللاتينية التى قرأها وانفرد بنقلها الينا مثل خطب تيبريوس غراكوس ورسائل كورنلى ابنته ومذكرات سيللا ومذكرات أغسطس الخ.. الخ.

أبى النقاد الذين استدركوا على بلوطرخوس أخطاءه أن يعرفوا له فضله منكرين عليه ما انطوت عليـه رواياته من البلاغة مدعين عليه أنه مؤلف بمعنى (ناقل ماهر) لا مصور بليغ، وانه نسخ أجمل عباراته عن غيره من المؤرخين.وهذا النقد غير وجيه .. فقد رأينا بلوطرخوس عند ما تعرض له حاجة الى التمشى مع تيوسيديد أو ديودوروس أو بوليبوس أو ترجمة شيء عن تيت ليف وسالوست، يطبع ذلك بطابعه الشخصى فمن أقواله فى سيرة تسياس أنه يأسف لاضطراره الى معارضـة تيوسيديد وان يبدأ عملا سبقه اليه ذلك الاستاذ العظيم . فلنعرف لبلوطرخوس مجده في الابداع المـاثل حتى فى أوضاع قصصه ومزجه بين السمو والسذاجة وفاق مواهبه وما تلقاه من العلوم الخطابية وسذاجة أخلاقه وعاداته الشخصية . كم اكبر العلماء ما أوتى بلوطرخوس من السحر والبيان فى سير العظماء وكم أفاضوا في القول بين التحديد والتحليل في تلك القوة العجيبة . ولقد قال توماس أنه مونتنى اليونانيين وانه لم يبلغ شأوه فى نبوغه وجرأته فى ابراز افـكاره وتخيـل عباراته التى لم يسم اليها أحد الا قليلا من الشعراء .

هل هذا الحـكم عادل ؟ الا إن بلوطرخوس الذى سكنت ولانت حدة

لهجته تحت قلم أميوس الساذج المتضب. قد سمت كلماته الى أرقى درجات النبوغ والتخيل الانشائى . أية صورة أعظم وأى تمثيل حيوى أبلغ من صورة كوريولانوس فى منزل اتليوس أو وداع بروتوس و بورسى وانتصار بول أميليوس و رحلة كليوبطرة على ظهر سدنيس وذلك المشهد المؤثر الذى تصف فيه كليوبطرة منحنية على نافذة القلعة العصماء التى لجأت اليها تجهد نفسها في التلويح الى انطونيوس المقهور الجريح تجتذبه اليها وهى تنتظره لتموت معه . وكم له من آيات فى الدقة والبلاغة والرصانة الحقيقه بالاعجاب • يضاف الى هذا التصوير البارع بساطة، تلك التفصيلات الشخصية التى تكشف عن حقيقة الرجل عند وصف الوقائع، فتبرز أعمق دخائله وتفضح صغائره

قد تكون هذه القدرة التى يعترف بها الجميع لبلوطرخوس سبباً لما وقع فيه البعض من غمط قدره وانكار روعة اساوبه و بلاغة عبارته. على أن ما طبع عليه من البيان وتوخى الحقيقة هو الذى جعل له ذلك النفوذ العظيم على جميع أصحاب التخيلات الحادة. وهل تحتاج فى ذلك الى أكثر من ذكر شكسبير الذى لم تستمد قريحته الوقادة الحرة من أحد خيرا من بلوطرخوس المدين له بأعظم وأجل مشاهده فى روايات كوريولانوس و يوليوس قيصر ؟ وهل خلا مونتنى ومونتسكيو وروسو من أثر بلوطرخوس ؟ لقد تأثروا بأدبه ومشوا على ضوء ناره . ان براعة أسلوبه واختياره أجل المواضيع شأناً من حيث التخيل والتفكير جعلا مؤلفاته التاريخية موضع اعجاب الجميع وعنايتهم .ولقد حذق تصوير الانسان وابراز الطبيعة الانسانية فى أعظم صورها وأجل أعمالها . ان بيانه لا يزول أبداً، لأنه يلائم كل سن وكل حالة من حالات الحياة تلذ الفتى والشيخ، تبعث الحماسة وتعلمنا الذوق السليم

تيزيوس THÉSÉE

قد يقع عهد تيزيوس بين عامى ١٢٤٩—١١٩٩ ق.م

جرت عادة المؤرخين ياصديقى سوسيوس سينسيون (١) عند وصفهم الكرة الارضية أن يحذفوا من أطراف خرطهم البلاد التى لايعرفون شيئاً عنها ،ويبررون عملهم هذا بقولهم « و بعد هذه الحدود رمال قاحلة تسكنها الوحوش الضارية » أو (انها مستنقع يغشاه الظلام) أو (صحراوات سيتى) أو بحر تغطيه الثلوج» وانى لمقتف آثارهم فيما اكتب فى العظماء والموازنة بينهم . فبعد أن أمر بالازمنة التى تسمح الظروف بالكلام عنها،حيث التاريخ يستند الى الوقائع ، أقول عن العصور الخالية — « بعد هذه الحدود بلاد المعجزات والمآسى التى يسكنها الشعراء و رجال الخرافات حيث لاحقيقة ولا سند . »

لقد صح عزمى بعد ما كتبت عن الملك ليكورغوس المشرع ونيوما، على أن اكتب عن روملوس، ولكنى وقفت متمثلا قول آشيل «أتبارز هذا؟ » من يستطيع مبارزة شجاع كهذا ؟ ومن فيه الكفاية لنزاله . ؟ . . »

لاح لى أن مؤسس مدينة أثينا الجميلة الشهيرة حقيق بأن يكون له قرناً وأن لا بأس بالموازنة بينه و بين منشىء روما المجيدة . راجياً أن أوفق الى اخراج الخرافى من تلك الحياة وأميز جوانب الحقيقة وان أفرغ عليها الصبغة التاريخية فاذا جاءت بعد ذلك غير موضع للتصديق أو خانتنى الحقيقة ، فرجائى الى القراء أن يشملونى بصفحهم وأن يقابلوا هذه الرواية العتيقة بتسامحهم .

رأيت تيزيوس و روملوس متشابهين فى غير موضع،ولد كلاهما خفية من زوج سرى،وعرف بأنه من أبناء الآلهة :

« كل منا يعرفهما، كلاهما شجاع قدير» (٢)

جمعاً بين القوة والحكمة وانشآ أعظم مدينتين فى العالم روما وأثينا . انشأ

---

(١) يدعوه اللاتينيون سوسيوس ، تولى منصب القنصلية غير مرة فى عهد ترايانوس ومرة فى عهد نيرون

(١) من مقتطفات نشيد السبعة امام طيبة (اليونانيه)

الأولى روملوس، وأوجد الآخر أهالى الثانية . اختطف كل منهما النساء بلا فرق بينهما وعرفا نكد العيش والاضطرابات المنزلية وانتهت بهما الحال الى أن جلبا على نفسيهما بغض مواطنيهما، على ماجاء فى الاحاديث التى وان كانت خرافية، فانها لا تخلو من حقيقة .

يمتد نسب تيزيوس من جهة والده الى أريختة والاوتوختيين (الاهالى الاصليين) ومن جهة والدته الى بيلوت الذي كان أقدر ملوك بيلوبونيز وأوسعهم شهرة ، لا من حيث ثروته فقط ، بل من حيث كثرة أولاده . وقد زوجهم كثيرا من بنات أعيان البلاد ، وبث أبناءه في حكومة المدن . وقد أنشأ بتيوس جد تيزيوس لأمه مدينة ترازين (١) واشتهر بالعقل والحكمة . وكانت الحكمة المحترمة حينذاك على ما يظهر مجموعة مواعظ أدبية من النوع الذى اشتهرت به قصائد هزيود في عبر الحوادث والايام . ومما ينسب الى بتيوس الحكمة الآتية

« قدر خدمات صديقك حق قدرها »

وقد نسب ارسطو هذا القول اليه. ودلنا أوريبيد بقوله ان هيبوليت تلميذ القديس بتيوس ، على مقدار ما كان له من الشهرة و بعد الصيت

لم يرزق ايجة ولداً ، وكان شديد الشوق الى نسل. فاستوحت له الكاهنة (بتيا (٢)) فجاءها الوحى ينهاه عن الاتصال بامرأة قبل عودته الى آثينا فالتبس عليه معناه وأفضى به الى بتيوس عند مروره بمدينة ترازين وهذا نصه « أيها القدير مخضع الشعوب لا تحل الساق الذى يخرج من الزق (القربة) قبل العودة الى اثينا . » فتأوله بتيوس على ما رأى ، لأنه جمع بعد ذلك اعتقاداً أو بعد نظر ، بين أثرة ، و بين ايجة، التى علم هذا فيما بعد أنها ابنة بتيوس. ثم داخله الشك فى انها

(١) مدينه فى الاجوليد من بيلوبونيز

(٢) كاهنة الآله أبولون فى دلفى كان يتعين أن تكون عذراء ثم أريد أن تكون فى الخمسين من عمرها وكانت تؤخذ من فقيرات دلفى من أحط أهلها نسبا، جاهلة قليلة العقل وكانت قبل النطق بالوحي تصوم ثلاثة أيام تمضغ ورق الغار ثم يؤتى بها فتجلس على أثفية موقد ذات (ثلاث قوايم) تتصاعد منه أبخرة كريهة نتنة شديدة فيتولاها إضطراب شديد يعتبرونه من عمل الروح الالهى ويتلقى كهنة الهيكل كلماتها بحرص وهم لا ينفكون عن تهديدها وأذاها كلما تأخر الوحى عن النطق ثم يأخذون هذه الكلمات ويصيغونها شعرا من أقبح الاشعار يلتزمون فيه الغموض

حبلى ، فترك سيفه وغطاء قدمه (تزلك) وأخفاها تحت حجر ثقيل في حفرة ولم يطلع على سره سوى أترة وحدها وأوصاها اذا ولدت ابناً و بلغ أشده، وكان من القوة بحيث يستطيع رفع الحجر وأخذ وديعة والده ان ترسله اليه حاملا شارات التعارف هذه. ولا تعلم أحداً بذلك وأن تحرص على هذا السر الحرص كله. لأنه كان يخشى مكر البلاتيديين (أبناء بلاسي الخمسين)(١) الذين كانوا يحتقرونه لانه لم يخلف نسلا

سافر ايجة ووضعت اترة ابناً يقول البعض أنه دعي لوقته تيزيوس (كلمة يونانية معناها وضع أو اعتراف بابن) اشارة الى شارات التعارف التي تركها والده ويقول البعض انه دعي بهذا الاسم في اثينا بعد أن اعترف به إيجة ابناً له . تلقى تيزيوس العلم في منزل بتيوس عن حاكم يدعى ضونيداس يقدم له اليونانيون كبشاً عشية الاعياد التيزية علامة احترام وذكرى، هو أولى بها من سيلانيوس وبارهازيوس حفار تيزيوس ومثاله

كان لا يزال من عاداتهم الذهاب الى دلفي عند تجاوز سن الطفولة يقدمون للآله ابولون باكورة الشعر. ذهب تيزيوس ولا يزال مكان الحفلة معروفا باسمه (تيزيا) ولكنه لم يحلق سوى الناصية كما كان يفعل الاوبيون (٢) على ماروا هوميروس وهذا سبب تسميتهم قص الشعر على هذه الطريقة (التيزية) وكان الاوبيون أول من اتخذها لم يقلدوا فيها العرب كما زعم البعض ولا الميزيين . فقد كانوا شعباً حربياً يأخذون العدو عن كثب وقد برعوا في القتال اليدوي كما شهد بذلك ارخيلوكوس (٣) في اشعاره التالية

« ليست عندهم رماحة ولا جيوش عديدة »

« سلاحهم المقلاع عند مايدير « مارس »

« رحى القتال في السهل »

---

(١) كان بلاس شقيق ايجه وكان ابناؤه يعتبرون انفسهم ورثة عرش أثينا الشرعيين. وكانوا يرقبون موت عمهم بذاهب الصبر

(٢) أهالي جزيرة اوبا من أهل تراسي يدعوهم هوميروس أصحاب الشعور الخلفية

(٣) شاعر ولد في بادروس سنة ٧٠٠ ق م وهو مخترع الوزن المعروف باسم «ينبب»

« والسيف عند اشتداد الملحمة »
« تلك هى الحرب التى برع فيها »
« المحاربون أصحاب أوبا »

كانوا يقصون نواصيهم حتى لا يمسك بها العدو و يقال ان هذا السبب هوالذى دعا اسكندر المقدونى أن يأمر قواده بقص لحى المقدونيين والحقيقة أنه من السهل أن يمسك بها المحارب عند القتال .

كتمت اترة زمناً طويلا أصل تيزيوس وأشاع بتيوس أنه ابن بتيون الآله الحامى لمدينتهم والذى يقدمون اليه باكورة أشعارهم . وكانت شارته على عمائم (نقودهم) ولما بلغ تيزيوس أشده ظهرت عليه مخايل القوة البدنية والشجاعة والشهامة جامعاً بين الحكمة والعقل فأخذته اترة الى مكان الحجر وأفشت اليه سر مولده وقالت له خذ شارات التعارف التى تركها والدك ونصحت له أن يرحل الى اثينا عن طريق البحر . رفع تيزيوس الحجر بسهولة ولكنه أبى أن يركب البحر الى أثينا بالرغم من إلحاح جده ووالدته . وقد ألحا عليه فى ذلك لأن طريق البركان محفوفاً بالخطر لكثرة من كان يسكنه من اللصوص وقطاع الطرق

أنبت ذلك العصر كثيراً من الاشداء الاقوياء القادرين الذين لا يقهرون لبسالتهم وشدة مراسهم ولكنهم بدل أن يستخدموا هذه الميزات في عمل صالح قصروا جهدهم على البطش والفتك والغدر والدعارة لم يستخدموا تفوقهم هذا الا لاشباع شهواتهم وثوراتهم و يستبدون و يظلمون و يقضون على كل ماتقع عليهم أيدهم مقتنعين أن اكثر الناس لا يمدح الحياء والعدل والانسانية الا لأنهم لا يجرأون على ارتكاب الظلم أو يخشون وقوعه على رؤوسهم . وكانوا يعتقدون أن هذه الفضائل لم تخلق للذين يمتازون على سواهم بتفوق محقق

قد أهلك هرقل فى طوافه كثيراً من هؤلاء اللصوص وأوقع الرعب في نفوس الآخرين فكانوا يهربون عند دنوه منهم غير مجترئين على الظهور أمامه فصار هؤلاء الاوغاد موضع سخرية . ولما نكب هرقل بقتله ايفيتوس انسحب الى ليديا و بقي هناك زمنا طويلا فى خدمة أومفال كفارة عن جريمته فتمتعت ليديا

بالسلام والطمأنينة ولكن اللصوصية عادت الى الانتشار فى أنحاء اليونان وطغى سيلها من كل جانب اذ أمنت شر من يقف طغيانها . لهذا كان من الخطر أن يسير الانسان من بيلو بونيز الى أثينا براً ولكي يقنع بتيوس حفيده تيزيوس بالسفر بحراً وصف له كلا من أولئك اللصوص وما هم عليه من بطش وقسوة على كل غريب

ولكن قلب تيزيوس كان قد أولع من زمن بعيد بالشهرة الذائعة التى نالها هرقل موضع اعجابه وكان يقبل بكليته على سماع كل حديث عنه و وصف لشخصه لا سيما اقوال من رأوه وسمعوا حديثه وشهدوا مواقعه فكانت تبدو عليه الانفعالات النفسية التى أحسها من بعده تميستوكل فدفعته الى القول (بأن انتصارات (أ كاليل) ملتيادس تحرمه النوم.) كذلك كان تيزيوس يحلم في نومه بحملات هرقل و يحس الغيرة والرغبة الشديدة في الاقتداء به والقيام بمثل أعماله . على انه كان من ذوى قربى هرقل .لانهما أبنا ابنا عمومة . ذلك ان اترة ابنة بتيوس والكمين ابنة ليسيدس وهذه شقيقة بتيوس وهي مثله ابنة هيودامى و بلوبس . لهذا كان يرى من العار الفاضح أن يقتفى هرقل آثار اللصوص يطهر منهم البر والبحر، وان يحاذر هو خوض قتال يعرض له فى سبيله . وكان يرى فى هذا ما يخجل الآله الذى ينسبونه اليه . و يخجله أن يقدم لوالده الحقيقى سيفاً لم يصطبغ بالدماء وليس به أثر من شرف القتال.

سافر على عزم ثابت الا يهاجم احداً بل يدفع بالقوة كل اعتداء. فاعترضه، وهو يجتاز ارض ابيدور، سفاح يدعى بيريفتس لا يحمل سوى زقلة (١) دعى باسمها (الزقلة) فاوقفه وسد عليه الطريق ، قاتله تيزيوس فقتله وقدسر باستيلائه على الزقلة وجعلها سلاحه يحملها على الدوام كما كان هرقل يلبس جلد الاسد فيرى الناس فيه هيئة الوحش الضارى الذى قتله. كذلك رأى تيزيوس انه اغتصب الزقلة وأنها اصبحت بين يديه سلاحاً لا يفل

واهلك في خليج كورنث سينيس ثانى اشجار الصنوبر (سمى بذلك لأنه ثنى شجرتى صنوبر وربط في كل منهما ذراع اسير وقع في قبضته ثم اطلق

---

(١) عصا ضخمة متينة ملتوية أحد طرافيها كانت سلاحا فى جميع العصور الخالية وأشهرها عصا أو زقلة هرقل

الشجرتين فتمزق جسم الاسير) اهلكه تيزيوس على طريقته التى أهلك بها اسيره غير متعمد اظهار القسوة، بل اراد ان يثبت ان الفضيلة تعلو فنون الخبراء. كان لهذا اللص ابنة جميلة تدعى بيريجين، رأت والدها ميتاً فهربت الى الادغال، وتعقبها تيزيوس فى الغابات الكثيفة الملآى بالاشواك حيث القت بنفسها تصلى فى سذاجة الاطفال لتلك الاشواك قائلة، لئن حمتها من انظار تيزيوس فلن تقطعها ولن تحرقها. ولكن تيزيوس ادركها وناداها بصوت جهورى واعدا اياها الا يمسها بسوء، وان يحسن معاملتها. فاطمأنت الى وعده وخرجت من الغابة وقابلته وقد اولدها ابنا دعى ميلانيب، ثم خلعها على دايونة ابن ارتيوس من إيشالى، ثم خلف ميلانيب ولداً دعاه يوكوس وهو الذى ذهب مع اويوس لانشاء مستعمرة فى كارى ومن اجل ذلك كان البوكسوسيون (نسبة الى والدهم) لا يحرقون البرموع (الهليون) بل يكرمونه على نوع من العبادة

كان في كروميون خنزيرة يقال لها فايا وهي وحش ضار شديد القوة أبت شهامة تيزيوس عليه أن يتجنبها في حين كان ذلك فى وسعه، فتربص بها وقتلها حتى لا يقال انه لا يخوض القتال الا لدفع ضرر، اعتقادا منه ان البطل لا يقاتل الناس الا ليدفع غائلة الاشرار، ولكن من الواجب عليه ان يهيج الوحوش الضارية ويعرض حياته للاخطار. ويزعم البعض ان فايا هذه كانت امرأة سفاحة فاجرة دعيت خنزيرة لسوء اخلاقها وتبذلها.

وأهلك تيزيوس عند حدود ميجار « سيرون » اذ رمى به من أعلى الصخر الى البحر. ويروى عن هذا الفاتك أنه كان يسلب الغرباء وأنه كان يجمع بين غلظة القلب والكبرياء يدعو ضحاياه الى غسل قدمه وبينا هم يغسلونها يرفص الواحد منهم فيلقيه فى البحر. ولكن مؤرخى الميغاريين ينكرون ذلك. روى عنهم سيمونيد قولهم أن الميغاريين كانوا يشتغلون بالحروب، وأن سيرون لم يكن قاطع طريق ولا فاجراً عاتياً بل مبيداً للاشرار حامياً للذمار صديق رجال العدل والفضيلة وانهم يقولون في التدليل على ذلك ان ابا كون كان أتقى رجل فى اليونان وأن سيشرة السلامينى نال شرف المناصب الدينية في أثينا، ولا يجهل أحد فضائل بيلة

وتلامون . وكان سيرون هذا صهر سيشرة وحما أباكوس وجد بيلة وتلامون أبناء انداپس ابنة سيرون وشاركلو . فهل يعقل أن يكون هؤلاء الفضلاء شركاء رجل شرير وأن يعطوه ويأخذوا منه أعز وأثمن ماينال الانسان ؟ ويقول أولئك المؤرخون أن تيزيوس لم يقتل سيرون فى رحلته الاولى انما قتله بعد ذلك عند ما استولى على البزيس التى كان يحتلها الميغاريون وطرد حاكمها ديوكاس . هذه هي المتناقضات التى تروى حول هذا الموضوع

ولما بلغ فى مسيره البزيس تغلب على سرسيون الاركادى وقتله ، وسار منها الى أريمة التى لا تبعد عنها فقتل داماست بتمديده على سريره كما كان يفعل هذا الفاتك بضيوفه واقتداء بهرقل الذى كان يوقع بالمجرمين العذاب الذى أعدوه له . وهكذا اهلك بوزيريس وخنق انتة وقتل سيسنوى في معركة عنيفة وهشم رأس ترميريوس، فذهبت فعاته مثلا ، والظاهر أن ترميريوس هذا كان يهشم رؤوس المارة بأن يصدمها بعنف . فكان تيزيوس يعاقب الاشرار بما كانوا يفعلون ويقضى عليهم بالعذاب الذى كانوا يذيقونه لغيرهم .

ولما وصل الى شواطئ عسيفيز استقبله رجال من أسرة بناليد بالتحية والترحاب فرجا اليهم أن يطهروه وبعد أن قاموا له بالتقاليد المعروفة أنزلوه ضيفاً فى منازلهم. وكانت هذه المرة الاولى التى قوبل فيها بالترحاب. ويقال أنه بلغ أثينا في اليوم الثامن من شهر كرونيوس المعروف الآن بشهر هيكاتبنيون (١) فوجد الاعمال العمومية مختلة لما كان قائماً فى المدينة من الاضطرابات وكانت صحة ايجة معتلة لاضطراب شؤونه المنزلية وكانت ميدة المنفية من كورنت تعلل الملك بالشفاء من ضعفه بالعقاقير . عرفت هذه المرأة تيزيوس فاضمرت له السوء عزمت على أن تقضى عليه قبل أن يعرفه ايجة. فأقنعت ذلك العجوز وكانت المخاوف تملأ صدره أن يدعو تيزيوس الى وليمة الضيوف حيث يدس له السم . حضر الوليمة على نية الا يبدأ هو بالاعلان عن نفسه ليأتى التعارف من جانب والده وأراد أن يدله على نفسه باظهار السيف وهو يقطع اللحم المقدم به . عرفه ايجة وللحال قلب كأس السم ووجه

(١) بين يوليو وأغسطس .

أسئلة الى تيزيوس ولما أجابه حياه تحية ابنه، ثم اعترف به أمام جميع الاهالى فاستقبلوه فرحين لما عرفوا من قدره. ويقال ان السم انتثر فى ذلك الحى الدلفى الذى تحيط به الاسوار الآن حيث كان يسكن ايجة ولا يزال العمود المربع الشرقى للهيكل يعرف حتى اليوم باسم عمود باب ايجة.

كان البلانتيون لايزالون على أملهم فى الاستيلاء على ملك ايجة متى مات بلانسل. فلما علموا أنه نادى بتيزيوس وريثاً له لم يحتملوا أن ايجة الذى تبناه بنديون ولم تكن له صلة بأسرة اريختيد لم يكفه ان ملك طول حياته بل يريد ان يورث تيزيوس الملك من بعده. وما هو الا غريب مجهول النسب. فتأهبوا للحرب وقسموا الجيش الى فرقتين ليأخذوا العدو من ناحيتين. تقدمت الفرقة الأولى بقيادة الملك من جهة سفيت. وكمنت الاخرى فى جرجتوس، وكان بينهم منادمن انيوذ يدعى ليوس افشى الى تيزيوس سر البالانتيين. فلم يضع الوقت سدى بل اسرع فانصب على الفرقة الكامنة وابادها. ولما بلغ خبرها الفرقة التى يقودها باللاس لاذت بالفرار ويقال ان اهالى قرية بالاين من ذلك العهد لا يزوجون ولا يتزوجون من الانيوزين، ولا يذكرون فى مناداتهم تلك الكلمات المعروفة «اكويت ليوس» (اسمع أيها الشعب) اجتناباً للفظة ليوس اسم ذلك المنادى الخائن.

رأى تيزيوس مرانا لشجاعته واكتسابا لعطف الشعب ان يذهب لقتال ثور ماراتون الذى أضر كثيراً بأهالى تيترابول فأخذه حياً. وبعد أن طاف به المدينة قدمه ضحية لابولون دلفى. ولا نخال ماروي عن «هيكاله» والوليمة التى أدبتها له خاليا من الحقيقة لأن اهالى الضواحى كانوا يجتمعون فيما مضى ليقدموا الى جوبتير الهيكالى ضحية يدعونها الهيكالنزية. يكرمون بها هيكالة ويدعونها من باب التصغير والتحبب هيكالين. مثل ما فعلت هي عند ما استقبلت تيزيوس وكان اذ ذاك ما زال حدثا. تلك عادة العجائز اذ يصغرون الاسماء تحببا وقد انذرت ان تقدم ضحية لجوبيتر اذا عاد تيزيوس من الحرب منتصراً. ولكنها ماتت قبل عودته فأقام تيزيوس حفلة اعترافا بفضل الضيافة التى لقيها.

هذه رواية فيلوخورس (١) .

وحدث بعد ذلك بقليل ان مندوبي مينوس (ملك كريت) جاؤوا يطالبون الاهالي للمرة الثالثة بدفع ماتعهدوا بتقديمه سنويا . وذلك انه لما قتل اندروجة ابن مينوس غيلة في الاتيك اضرم مينوس على الآثينيين حربا شعواء .وفي ذلك الوقت صبت الآلهة على البلاد شر الويلات من عقم ومرض ونضوب انهار فقال وحي ابولون لن يهدأ غضب الآلهة حتى يسترضي مينوس.فأرسلوا اليه المنادين يسألونه السلام فرضي على ان يرسل اليه الآثينيون مدة تسع سنوات سبعة أبناء وسبع بنات كل سنة . والمؤرخون على اتفاق في ذلك : ويقال في أفظع الروايات أن هؤلاء الابناء متى وصلوا الى كريت كان نصيبهم ان يزج بهم في اللابيرنت (البرباء او التيه) حيث يفترسهم مينو تور. او انهم يموتون ضالين في ذلك التيه وهم يحاولون عبثا الاهتداء إلى مخرج . اما مينوتور فيقول عنه اوريبيد انه « جسم مزدوج ومخلوق فظيع » ويقول ايضا « انه مزيج من طبيعتين ثور وانسان . » ولكن فيلوخرونوس يقول ان الكريتيين ينكرون ذلك و يقولون ان التيه ليس سوى سجن لامشقة فيه سوى استحالة الخروج منه . يضيفون الى ذلك ان مينوس اقام احياء لذكرى ابنه العابا رياضية تكون مكافأة الفائزين فيها اولئك الابناء الذين يكونون في التيه . وكان الفائز في العهد الاول لتلك الالعاب أحد ندماء الملك وهو رجل يدعى توروس قاسي القلب فظ الاخلاق سيء الطبع يكثر الاساءة الى فتيان أثينا . وينكر أرسطو في مؤلفه جمهورية البوتيين أن مينوس كان يقتل أولئك الفتيان،ويقول إنهم كانوا يقضون حياتهم في الخدمة مستأجرين. وحدث أن الكريتيين ذهبوا وفاء لنذر الابكار من أبنائهم الى دلفي فانضمت اليهم سلالات الاسرى الآثينيين فغادروا المدينة جميعاً ولكنهم لم يجدوا في دلفي ما يقوم بأودهم فذهبوا الى ايطاليا وأقاموا فوق قمة يابيج،ثم عادوا الى تراقيا ودعوا أنفسهم بوتيين.ومن أجل هذا تختم بناتهم احدى أغانيهم الدينية بقولهن : « لنعد الى اثينا » .

---

(١) مؤرخ أثيني في القرن الثالث ق . م .

من الخطر أن يعرض الانسان لبغض طائفة تعرف صناعة الكلام وتحذق فنونه. فكم شنعت المسارح على مينوس . ولم يغن عنه قول هزيود « انه أكبر الملوك » ولاقول هوميروس « انه نديم جوبتير » فقد تغلبت عليه حملة الشعراء وصبوا على رأسه من أعلى مسارحهم ألوان الهوان وسجلوا عليه القسوة. ومما قالوا فيه إن مينوس مشرح الجحيم ولم يكن رادامنت سوى منفذ لأوامر مينوس

جاء الموعد الثالث لاداء الغرامة ولزم عندذلك اجراء الاقتراع عن آباء الاسر ذوى أولاد . وكان هذا مثار لتذمر الاهالى ضد ايجة يتهمونه بأنه علة هذه النكبة وهو وحده الذى لاينساله نصيبه من الجزاء،وقد نزل عن تاجه لابن غير شرعى وانه لايعنيه حرمانهم من أبنائهم الشرعيين . آلمت هذه الشكاة نفس تيزيوس فاعتزم مشاطرة الاهالى نصيبهم فى هذه البلية.فقدم نفسه مختاراً للذهاب بلا اقتراع ، فأعجب الآثينيون بشهامته واكسبه الاخلاص حبهم . وقد الح ايجة على ابنه ان يعدل عن عزمه ولكنه لم يستطع اقناعه لشدة مراسه واخيراً رضى له ذلك ومن ثم اقترع على الآخرين .

اما رواية هيلا نيكوس (١) فهى ان انتخاب هؤلاء الشبان لم يكن عن اقتراع بل كان مينوس يختارهم وكان تيزيوس اول من وقع عليه اختياره واشترط ان يقدم الآثينيون المركب التى تقلهم،والا يكون مع الشبان الذين يبحرون سلاح.وان تبطل هذه الغرامة عند موت مينوتور .

كان المعروف حتى الآن انقطاع الامل في عودة هؤلاء الشبان لذلك كانوا يجعلون شراع المركب عند اقلاعها اسود للدلالة على انهم يسيرون الى موت مؤكد ولكن تيزيوس طيب خاطر والده وملأ قلبه ثقة بتغلبه على مينوتور.فأمر ايجة البحار بشراع ابيض واوصاه أن ينشر عند عودته اذا عاد ابنه سالماً وان ينشر الشراع الاسود ايذانا بوقوع النكبة . ولكن سيمونيدس يقول ان ذلك الشراع لم يكن ابيضا بل كان مصبوغا بعصير زهرة العفص فى لون خضرة الاغصان وتعرف بصبغة الكرمس وهذه علامة النجاة من الموت .

---

(١) مؤرخ ولد فى ليسوس سنة ٤٩٥ ق . م . ولم يبق من آثاره سوى قطع منثورة

يقول سيمونيدس ان بحار تلك المركب هو امارسياداس فيريكلوس. واكن فيلوخورس يقول ان سيروس السلاميني اهدى الى تيزيوس بحاراً يدعى نوزيثوس ونوتياً يدعى فيا كس، لان الآثينيين لم يكونوا حينذاك يمارسون الملاحة، وسبب هذا الاهداء ان مينيس ابن ابنة سيروس كان بين اولئك الفتيان . يؤيدون هذه الرواية بالتمثال الذى نصبه تيزيوس تكريماً لنوزتوس وفيا كس في فاليرى بالقرب من هيكل سيروس ، وانهم يقيمون عيد البحارة تكريماً لهما .

ولما تم كل شيء ذهب تيزيوس بزملائه من بريتانة الى هيكل دلفى وقدم عنهم للاله ابولون غصن الضراعة وهو غصن من الزيتون المقدس عقدت على رأسه شرايط من الصوف الابيض ، وبعد الفراغ من الصلاة ابحر يوم ٦ مونيشيون (ابريل – مايو) وجرت لذلك العادة حتى اليوم أن ترسل البنات الى دلفى تضرع للآلهة. ويزعمون ان الآله امره وهو فى دلفى أن يتخذ فينوس (الزهرة) مرشدة يستعين بها فى سفره . كما يزعمون ان العنزة التى كان يقدمها ضحية انقلبت تيساً لذلك لقبت الآلهة ايتراجى (تيسا) ..

يقول اكثر المؤرخين والشعراء انه بعد نزوله الى كريت اولعت به اريادنة فاعطته ملفا من الخيط وعلمته طريق الخروج من التيه . وانه قتل مينوتور ثم ابحر عائداً مع اريادنة ورفاقه . ويقول فيروسيد ان تيزيوس حطم المراكب الكريتية قبل ابحاره حتى لا تلحق به. ويقول دامون أن توروس قائد جيرش مينوس قتل أثناء المعركة البحرية التى وقعت بينه وبين تيزيوس عند الشاطىء لمنعه السفر. ولكن فيلوخوروس يقول أنه عند ماأعلن مينوس الألعاب المعتادة اقامتها إحياء لذكرى ابنه ، شمل الحزن جميع الأهالى لبغضهم توروس وانتصاره على جميع أقرانه. بغضه لسوء أخلاقه عدا ما كانوا يتهمونه به من صلات غير شريفة مع الملكة «باسيفاية» ولهذا اذن مينوس راضياً لتيزيوس في منازلته . ولما كانت عادة الكريتيين أن تحضر النساء هذه الحفلات وشهدت اريادنة القتال فتنت بجمال هذا الشاب الآثيني وأعجبت بالمبارز الجرىء الذى بز جميع أقرانه وقد دهش له مينوس ذاته لاسيما عند مارأى توروس مغلوبا على أمره يضحك منه الجميع

ساخرين . حينئذ سلم الفتيان الى تيزيوس ورفع عن مدينة أثينا تلك (الدية) التي كانت تقدمها . تناول كليداموس هذا الموضوع من أعلى نواحيه. وذهب فيه مذهباً يخالف الجميع بشروحات مستفيضة. قال انه كانت هناك معاهدة بين جميع شعوب اليونان بحرم تجهيز مركب بأكثر من خمسة بحارة ماعدا جازون ربان المركب أرجوس الذى كان يجوس البحار ليطهرها من القرصان، وحدث أن ديدال هرب من كريت الى أثينا على زورق فتعقبه مينوس فى عدة مراكب كبيرة بالرغم مما نصت عليه تلك المعاهدة. فألقت به العواصف على شواطىء صقلية حيث مات . سخط ابنه ديكاليون على الآثينيين وطالبهم بتسليم ديدال مهدداً بقتل الفتيان الآثينيين (رهائن مينوس) اذا أبوا علينه مطالبه . فأجابه تيزيوس فى لطف معتذراً بأن ديدال ابن عمه وانه من أسرته لانه ابن ميروب ابنة اريختة وعمد فى الوقت ذاته الى اعداد عمارة بحرية كبيرة أخفى جزءاً منها عند ثيموتادس في أتيكة بعيداً عن الطريق العام . وجزءً عند بتيوس فى ترزين ليجعل التسليح أمراً خفياً . ولما أعد عدته أبحر بقيادة ديدال ومنفيي كريت . فلم يشك أحد فى غرضه. وتوهمها الكريتيون عمارة أصدقاء . فاستولى تيزيوس على الميناء وأنزل جنوده وأسرع بمهاجمة مدينة سنوس ونشب القتال عند أبواب التيه فهلك ايكاليون وجميع رجال حرسه . واذ صارت اريادنة بوفاته صاحبة الملك استرضاها تيزيوس واسترد جميع شبان أثينا وعقدت معاهدة بين الكريتيين والآثينيين وأقسم هؤلاء ألا يعودوا للحرب .

وهناك روايات شتى عن اريادنة ولكنها لاتستند الى حقيقة تاريخية. يزعم البعض أن تيزيوس هجر أريادنة فشنقت نفسها يأساً . ويزعم البعض أنها بعد أن أقلها البحارة الى جزيرة باكوس تزوجت من أوتاروس كاهن باخوس وأن تيزيوس ضحى بها في سبيل غرام جديد .

« كان يهيجه الهيام بحب أجلة بنت بابوبيوس » . ويقول هرياز الميغارى (وهو كاتب مجهول) أن بيزاسترات سلخ هذا البيت من أسفار هزيود وأضاف اليه ارضاء للآثينيين بيتاً آخر لهوميروس فى مناجاة الأبطال .

« تيزيوس و بيرتيوس من أبناء الآلهة العظام . (الأوذيسية) » .
و يقول غير هولاء أن اريادنة رزقت من تيزيوس ولدين اونو بيون وستافيلوس. هذا رأى يون من اهالى جزيرة خيوس (١) الذى يقول عن وطنه :
« المدينة التى انشأها اونو بيون بن تيزيوس ». وكل مايروى من هذه الخرافات شائع على الالسنة . ولكن المؤرخ بايون (٢) (من اماتونت) اذاع عن هذه الحادثة رواية تخالف سابقاتها. زعم ان العواصف القت تيزيوس على شواطىء قبرص. وكانت اريادنة حبلى معذبة فأنزلها الى البر : وفيماهو يستوثق لمركبه دفعته الرياح الى عرض البحر . فأخذت نساء الاهالى اريادنة واجتهدن فى أن يخففن عنها آلام الوحدة واطلعنها على خطابات مدعيات ان تيزيوس كتبها اليها. واكثرن من العناية بها عندما اخذها الم الوضع . ولكنها ماتت قبل ان تلد فأدين لها واجب الجنازة. عاد تيزيوس بعد ذلك فحزن حزناً شديداً لموتها . وقدم الى الاهالى مبلغاً من المال لتقديم ضحية اكراماً لذكرها . وأقام لها تمثالين احدهما من الفضة والآخر من النحاس . ومازال يحدث فى التقدمة التى تقام فى الثانى من شهر جوربيوس (سبتمبر) ان ينام شاب على سرير يقلد صراخ وتأوهات المرأة عند المخاض . وما زال يدعو اهالى اماتونت الغابة المقدسة التى فيها مقبرة اريادنة غابة اريادنة — فينوس الزهراء .

ولكتاب ناكسوس رواية اخرى. إذ يزعمون انه يوجد اثنان باسم مينوس واثنتان بأسم اريادنة .الاولى تزوجت باخوس في ناكوس وهي والدة ستافيلوس والاخرى قريبة العهد، اختطفها تيزيوس ثم هجرها فجأة الى ناكوس ومعها مرضعها كورين وما زال قبرها شاهد . وقد ماتت اريادنة . هذه فى الجزيرة ولا تتفق الحفلات التى تقام لهذه مع تلك . الاولى تقام بين البهجة والسرور . والاخرى يمازجها الحداد والحزن .

غادر تيزيوس كريت ونزل الى دالوس و بعد ان قدم الضحية الى ابولون وقدس تمثال الزهراء الذى اخذ من اريادنة ، رقص مع الشبان الآثينيين رقصة مازال

١ — شاعر تراجيدى عاش فى عهد بركليس. ٢ — لا يعلم زمن وجود هذا الكاتب.

الدالوسيون يمارسونها وهي عبارة عن خطوات متوازنة تتجه وتتقابل فى نواح مختلفة على مثال منحنيات وتعريجات التيه. ويقول داسبارك إن الاهالى يدعونها رقصة الكركي. وقد رقص تيزيوس هذه الرقصة حول سيراتون (القرن) وهو هيكل تتألف واجهته اليسرى من قرون الحيوانات، ويقال أيضاً إنه أقام حفلة لعب فى دالوس وهناك قدم الى الفائزين سعف النخل. ولما دنا من أتيكا أنسى الفرح تيزيوس وبحارته الشراع الابيض الذى من شأنه أن يبشر إيجة بالعودة السعيدة، فبلغ اليأس من إيجة أن رمى بنفسه من أعلى الصخر فمات لوقته.

دخل تيزيوس الميناء وأدى الضحية التى نذرها للآلهة فى فالير عند سفره وأرسل المنادى يبشر المدينة بعودته فلقى المنادى أناساً يبكون وفاة الملك. واستقبله الآخرون بفرح عظيم وأهدوا اليه الاكاليل جزاء البشرى التى حملها اليهم. وأخذ الاكاليل وطوق بها عصا السلام(١) ولما عاد الى البحر كان تيزيوس لم يفرغ بعد من أداء فروضه الدينية فبقى خارج الهيكل حتى لا يكدر التقدمة. وبعدها أعلن وفاة إيجة فاندفع الجميع الى المدينة منتحبين باكين. لذلك تراهم حتى اليوم في أعياد أوسخوفوريس يتوجون عصا السلام ذاتها، لا البشير. وعند نهاية العيد يصيح الجميع ايلو ليوا - يو! - يو! - فالصيحة الاولى صيحة المهرولين الفرحين، والثانية صيحة الدهشة والاضطراب.

وبعد ما دفن تيزيوس والده أدى في السابع من شهر بيانيسيون (بين اكتوبر ونوفمبر) نذره لابولون لأنه يوافق يوم عودتهم الى أثينا بعد تلك الرحلة الموفقة. ويقال إن سبب غليهم الخضار في ذلك اليوم هو أن الشبان طبخوا في وعاء واحد كل ما بقى لديهم من المونة وأكلوها معاً. وهم يحملون فى هذه الاعياد غصن زيتون مكسو بالصوف على ما كان يفعل المبتهلون حينذاك إذ يعلقون عليه باكورات الأثمار اشارة لانقطاع العقم من أتيكا وهم ينشدون الاشعار الآتية:

« يحمل الغصن تيناً وخبزاً مغذياً.

---

١ — عصا من شجر الصفصاف أو الزيتون فى رأسها جناحان وقد التفت حولها حيتان متقابلتان. « اشارة السلام والتجارة » والحيتان رمز الحكمة والحيلة والاجنحة دلالة النشاط

« وعسلا فى كوتيل (١) وزيتاً صالحاً للطعام .

« وكأساً من النبيذ الجيد يسكرك وينيمك .

ويقول البعض إن هذه الاشعار كتبت تذكاراً لما كان يقدمه الاثينيون للهراكليين، ولكني تخيرت أكثر الروايات تقريراً .

أما المركب ذات الثلاثين مجذافاً التي ركبها تيزيوس ورفقه وعادوا بها سالمين الى أثينا فقد عنى الاثينيون بصيانتها الى عهد ديمتريوس دى فالير، فكان كلما نخر من أخشابها جانب انتزعوه وأحكموا وضع جديد مكانه . ويذكر الفلاسفة هذه المركب في أبحاثهم عن طبائع الاشياء ، فمنهم من يقول إنها هى بذاتها، ومنهم من يقول أنها غيرها، أى مركباً أخرى .

وتيزيوس هو الذى أنشأ عيد أوسخوفوريس لأنه فى الحقيقة لم يصحب الى كريت جميع البنات اللواتى وقع عليهن الاقتراع، بل اختار شابين من أصدقائه فى ملامح البنات ، ولكن قلبيهما عامران بالشجاعة والحزم وجعلهما يستحمان بالمياه الساخنة وأن يبقيا في الظل وأن يدلكا جسديهما ليحفظا نعومتهما ولترخص بشرتهما وأن يعطرا شعورهما ، ثم مرنهما على تقليد أصوات البنات وحركاتهن وألبسهما ثياب النساء وغير من عاداتهما حتى صار من المحال أن يشك الناظر اليهما فى جنسهما، وتحت ثياب هذا التنكر خالطهما بالفتيات فلم يكونا موضعاً للظن . و بعد العودة قام هو وصديقاه بموكب حافل مرتدين الثياب التى يلبسها اليوم الذين يحملون الأغصان المقدسة فى هذا العيد . ويقال إنهم يحملون هذه الغصون تكريما لباخوس وأريادنة ! إشارة الى أن تيزيوس ورفقه عادوا الى أثينا إبان حصاد الاثمار . ويقوم (الديبنوفوريون) الذين يعدون هذه الحفلة بكل ما يعمل أثناءها بتمثيل أمهات الذين وقع عليهم الانتخاب . فيقدمون اليهم جميع ألوان الطعام ويقصون عليهم الكثير من الخرافات كما كانت تفعل الامهات اللواتى كن يروين لأبنائهن القصص تعزية واحياء لشجاعتهم . ويرجع الفضل في بيان هذه التفصيلات للمؤرخ

١ — وعاء يسع ٠٫٢٧١ من الليتر .

رامون . ثم خصصت قطعة من الارض لبناء هيكل لتيزيوس، فأصر أن تقوم الاسر التي فرضت عليها تلك الجزية بنفقات الضحية، وجعل الوكالة فيها لاسرة فيتالديس، وهكذا وفى تيزيوس لتلك الاسرة بحقوق الضيافة التي لقيها منها.

وبعد وفاة إيجة نهض تيزيوس بمشروع خطير مدهش وهو جمع أهالى الأتيك كلهم فى مكان واحد ليجعل منهم شعباً واحداً فى مدينة واحدة . كانوا قبل ذلك متفرقين فى قرى مترامية فيصعب جمعهم للمداولة فى الشئون العامة، عدا أنهم كانوا متنافرين يكثر وقوع الحرب بينهم. طاف تيزيوس بنفسه بكل قرية وحادث كل عائلة يقنعها بقبول مشروعه، فلم يتردد متوسطو الحال والفقراء فى قبوله . ولكي يستميل كبار القوم وعدهم بانشاء حكومة بلا ملك، تكون فيها الكلمة للشعب والا يبقى لنفسه سوى قيادة الجيش وصيانة القوانين . وأن يتمتع كل وطنى بما يتمتع به هو من الحقوق فيما عدا ذلك فاقتنع البعض وخشى البعض سلطانه الذى استفحل أمره وداخله الخوف من جرأته. فآثر القبول راضياً خشية أن يكره على ذلك . فهدم أماكن الاجتماع والمجالس في كل قرية وألغى محاكمها وابتنى للجميع مجتمعاً واحداً وغرفة واحدة للمداولة وأطلق على المدينة والقرية اسم ”أثينا“ فكان المجتمع لجميع الاثينيين . وأجرى التقدمة المعروفة باسم ”ماتوسى“ التى تقدم فى السادس عشر من شهر هيكاتونيبون (بين يوليو وأغسطس) ولا تزال حتى اليوم . ثم بر بوعده فتنازل عن الملكية وعنى بتنظيم شئون الدولة ، وكانت العبادة أول همه . واليك ما أجابت به الآلهة رداً على سؤالاته منبئة بحظ المدنية

« ياتيزيوس ابن ايجة وابن ابنته بتيوس .

« أراد والدى أن تتعلق كثير من المدن من حيث مصالحها وحظوظها بمدينتك» .

« فلا تجعل قلبك نهباً « للافكار مثل القربة. فبالرغم من العذاب ستجتاز البحار »

ويقال إن الوحى تنبأ بعد ذلك بزمن للمدينة بأن :

« تكونى كالقربة . تبتلين ولكنك لاتغرقين » .

ورغبة في زيادة عمارية المدينة سن شرعة المساواة بين جميع من يرغبون سكناها . ويقال إن النداء المعروف (أيتها الشعوب تعالى جميعاً) هو النداء الذى استخدمه تيزيوس لجعل أثينا ملتقى جميع الأمم. خشى بعد ذلك أن يؤدى هذا التزاحم الى اضطراب الجمهورية، فقسم الشعب ثلاث طبقات : الاشراف والفلاحون والصناع . خص الاشراف بالمناصب الدينية والحكم وسن الشرائع وتأويل العقائد المقدسة، وبهذه الميزات تساوت مع الطبقتين الاخريين ، امتاز النبلاء بمناصب الشرف، والفلاحون بفوائد منتجاتهم، والصناع بوفرة عددهم. وقال ارسطو ان تيزيوس أول من آثر حكومة الشعب. وتنازل عن السلطة الملكية . وقد أثبت هوميروس قبله هذه الحقيقة لأنه خص الاثينيين وحدهم بلقب « شعب » عند تعداد السفن (الالياذة) ثم ضرب تيزيوس سكة (عملة) عليها صورة ثور قد يكون ذكرى ماراتون أو أشارة الى قائد جيوش مينوس، أو انه قصد بذلك ترغيب الاهالى فى الزراعة ويقال إن هذه العملة سبب مايدور على الألسنة من قولهم « ان هذا يساوي ماية ثور أو عشرة ثيران ».

ثم أنه وحد مابين أتيكا والاراضي الميغارية روابط وثيقة العرى ونصب على البرزخ ذلك العمود المشهور وكتب على جانبيه العبارتين التاليتين بياناً لحدود البلدين. كتب على الجانب الشرقى « ليست هنا بالبيلوبونيز. هذه يونيا. » وكتب على الجانب الغربى « هنا البالبيونيز. وليست يونيا. »

اقتدى تيزيوس بهرقل في انشاء الالعاب. أقام هرقل الالعاب الاولمبية تكريماً لجوبتير، فطمح تيزيوس أن يقيم اليونانيون ألعاباً برزخية تكريماً لنبتون. أما الاحتفالات التى كانت تجرى في هذا المكان فانها كانت تقام تكريماً لماليسوت ليلا، وكانت أدنى الى تناول الاسرار منها الى عيد عام. ويزعم البعض أن الالعاب البرزخية كرست لسيرون، أقامها تيزيوس كفارة عن قتله احدى ذوى قرباه. وسيرون هذا هو ابن كانتوس وهانوشة بنت بتيوس ويزعم البعض أنها كرست لسينس لا لسيرون ومهما يكن من أمرها فقد اتفق تيزيوس مع الكورنثيين أن تكون لمن يحضرها من الاثينيين المقاعد الاولى وأن يكون لهم منها مايسع مايغطيه شراع السفينة تيوري منشوراً .

ثم قام تيزيوس برحلته الى (بونت اكسين) ويقول فيلاخوروس وغيره إنه رافق هرقل في حملته على الامازون (النساء المترجلات) وكان فوزه انتيوب جزاء بسالته. ولكن جملة الكتاب وبينهم فاراسيد وهيلا نيكوس وهارودور يزعمون أن رحلته حدثت بعد حملة هرقل على سفنه الخاصة وأنه أسر الامازونة . وهذه أشبه بالحقيقة لان الرواة لم يذكروا عن سواه أسر امرأة مترجلة. ويقول بيون إنه احتال على أسرها . وذلك أن الأمازونات (المترجلات) صديقات الرجال بطبيعتهن فلم تهربن عند نزول تيزيوس الى شواطىء بلادهن وأرسلن اليه هدايا الضيافة؛ فطلب الى المرسلة أن تنزل الى مركبه؛ فما كادت تنزل اليها حتى أقلعت سفينته .

كتب رجل يدعى مانا كراكث تاريخاً عن نيسةونيتيني روى فيه أن تيزيوس عند عودته بانتيوب قضى أياماً فى تلك الربوع وكان في صحبة ثلاثة شبان أخوة من اثينا وهم اينوبوس وتووواس وصولوون، وقد أولع الاخير بحب انتيوب ولم يفض بسره الا الى واحد من أصدقائه ولكن انتهى به الأمر الى مكاشفة انتيوب بغرامه فأنكرت عليه فى لطف وحكمة ولم يشك أمره الى تيزيوس. ولما يئس صولوون ألقى بنفسه فى النهر فغرق وعندئذ علم تيزيوس نبأ الشاب وما كان يعانيه من لوعة الحب والألم، فأعادت هذه الحادثة الى ذاكرة تيزيوس وحى الكاهنة وهو الأمر الذى تلقاه فى دلفى بأن ينشىء مدينه في أرض غريبة حيث يشعر بألم موجع وأن يقيم فيها صحبه حكاماً، فأنشأ مدينة دعاها بيتوبوليس (اسم الآله) ودعا النهر المجاور لها صولوون احياء لذكر ذلك الشاب . وعهد الى اخوى صولوون بحكم المدينة . وسن لها شرائع وترك معهم هرمس أحد سكان أثينا وما زال أهالى بيتوبوليس يطلقون على أحد أماكن المدينة بيت هرمس ؛ ولكن تحريفاً بسيطاً فى هذا الاسم جعله اسم إله لا اسم بطل

والظاهر أن حرب المترجلات لم تكن عن طيش ولا من أجل امرأة . هل يمكن أن يعسكرن حول أثينا وينشرن القتال حولها، اذا لم يكن قد امتلكن تلك الاراضى ثم أخذن فى مهاجمة المدينة بتلك الجرأة ؟ أما اجتيازهن البوسفور على جليد من الثلج فليس مما يسهل تصديقه . ولكن تسمية جملة أماكن فى أثينا

باسمائهن ، وتلك المقابر التى دفن بها من هلك منهن فى القتال ؛ فدليل على أنهن قد عسكرن فى وسط المدينة

تردد الجانبان طويلا محجمين عن القتال ولكن تيزيوس عملا بمشورة الوحى قدم ضحية لآله الخوف و بدأ الهجوم فى شهر بودروميون (بين سبتمبر واكتوبر) فى ذلك اليوم الذى لايزال الأثينيون يقدمون فيه القرابين لبود روميون . وقد قال كليداموس فى شرح هـذه الموقعة إن المترجلات بلغن المكان المعروف اليوم باسمهن ونشرن جناحهن الأيمن في « حرزانيسه » وأخـذ الأثينيون فى مهاجمة الجناح الايسر كما تدل على ذلك قبور القتلى التى لاتزال قائمة عند مدخل بيرة ، فتقهقر الأثينيون متراجعين أمام المترجلات ، ولـكن القوة التى هاجمت الجناح الأيمن ردت العدو حتى معسكره بعد أن فتكت به فتـكا ذريعاً وانتهى الأمر من القتال بعقد معاهدة بين المتحاربين بواسطة أسيرة تيزيوس التى يقول البعض انها قتلت وهى تحارب بجانب رجلها ، وأقيم فوق جثتها عمود هيكل الارض الاولمبية .

ولاغرابة أن تضطرب الروايات عن حوادث كهذه طال عليها القدم . الايقال اليوم إن الامازونة الاسـيرة كانت تمهد سبيل النجاة لمن تقع فى الاسر من اخواتها ؛ وان قتلى الحرب دفن فى الاماكن المعروف باسمائهن ؟ وما أكثر مايعدون من مقابر تلك المترجلات فى أنحاء شتى ؛ والظاهر إنهن لم يخترقن اراضى تساليا بلا قتال .

هذا ما رأيت تدوينه عن حرب الأمازونات ولـكن أحد الـكتاب ذهب الى القول بأن اسيرة تيزيوس هى التى حرضت أخواتها على اقتحام تلك الحرب انتقاماً لنفسها من رجلها الذى مال عنها إلى الزواج من فيدر ؛ وان هرقل أباد تلك المترجلات . وهذه خرافة خيالية لا حقيقة لها لأن القائد الاثينى لم يتزوج من فيدر الا بعـد وفاة أسيرته وقد رزق منها ابناً يدعى هيبوليت أو ديموفون . أما الويلات التى عاناها من جراء هـذه الزوجة الجـديده وابنها وأجمع على صحتها المؤرخون والشعراء ؛ فلا ريب فيها .

ثم أقدم على الزواج من كثيرات لم يكن زواجه منهن على شرف ولا انتهى بسعادة . وقد اختطف امرأة ترزنية تدعى اناكسو . و بعد أن قتل سنيس وسيرسيون اغتصب بناتهما . ثم تزوج من باريبة والدة اجاكس ثم فيربيه ديوبه بنت ايفيكاس وعيب على زواجه من أجلة بنت بانوبيوس انها حملته على هجر عشيقته اريادنة في نذالة ولؤم . ثم جاء احتطافه هيلانة التى عمت الحرب من أجلها جميع اتيكا فكانت كما ستراه سبباً لنفيه وموته

يرى هيرودور أن تيزيوس لم يشترك الا فى الموقعة التى دارت بين اللاثينيين والسنتوريين بينما كان لابطال يقومون بمواقع حربية مشرفة . ويرى غيره بالعكس من ذلك أنه رافق جازون فى الكولشيد وانه باشتراكه مع ماليجر هزم خنزير كاليدون وكان ذلك منشأ المثل المعروف « لابد من تيزيوس » ويزعم له البعض أعمالا مجيدة وانه دعى هرقل الثانى . وانه كان عوناً على اكتشاف جثث القتلى الذين ماتوا وهم يقاتلون عند أسوار طيبة على غير ما رواه أوريبد فى مأساته « المتوسلات » التى يكذبها فيها اخيلوس في مأساته (الاليزيون) وكان ذلك على أثر قتاله مع الطيبيين الذين تمكن من اقناعهم بعقد هدنة وهذه اصدق رواية وكانت هذه أول هدنة عقدت لدفن القتلى ولكن المعروف عن هرقل أنه كان يرد جثث القتلى الى أعدائه ؛ على ما رواه تيزيوس نفسه

أما حكاية صداقته مع بيريتاوس فذلك أن هذا أراد امتحان شجاعة تيزيوس الذى ذاع صيته فاختطف قطيعاً من ثيران ماراتون ولما علم أن خصمه يطلبه ثبت رابط الجأش فلما وقعت العين على العين امتلأت نفس كل منهما اعجاباً بالآخر وأخذ كل منهما بجمال الآخر وأنفته وأبهته فبسط بيريتاوس يده الى قرنه وسأله أن يقدر ما خسره معلناً استعداده للقيام بكل مايطلبه فاعفاه تيزيوس وطلب اليه أن يكون صديقه وأخاه في القتال فاقسم كل منهما للآخر أن يكون له الصديق الوفى الى الأبد

حدث بعد ذلك أن بيريتاوس الذى تزوج من ديدامياد دعا صديقه لزيارته البلاد والتعرف باللابيثيين ودعا السنتوريين ايضا الى الوليمة ، ولكن هؤلاء اغفلوا في سكرهم

واجب الوقار ومدوا يدهم الى النســاء فنقم الاهالى عليهم ذلك وهموا بهم فقتلوا البعض فوراً وافنوا الـكثيرين في حومة القتال بمساعدة تيزيوس وطردوا الباقين من البلاد

ولـكن هيرودوروس روى هذه الحادثة على غير هذا الوجه قائلا ان الحرب كانت قائمة عند ما ذهب تيزيوس لمساعدة اللابيتيين وانه انتهز هذه الفرصة فذهب الى تراخين لقربها منه لمقابلة هرقل الذى كان يستريح من عناء حروبه ، فتبادل البطلان عبارات التهانى وعواطف المودة . ولـكن الأرجح هو ما رواه القائلون بأنهما تعارفا قبل ذلك بزمن بعيد وان هرقل بفضل تيزيوس تناول الاسرار ، ومن قبلها التطهير ، وهو ما كان فى حاجة اليه لما اقترفه على غير علم من الاخطاء .

قال هيلانيكوس ان تيزيوس كان فى الخمسين من عمره عند ما اختطف هيلانة التى كانت دون سن الرشد . وقال البعض تبريراً له من هذه الجريمة الشنيعة انه لم يختطفها بنفسه ، ولـكن إيدا ولينة هما اللذان اختطفاها وأودعاها أمانة بين يديه وأنه أبى أن يردها الى دياسكوروس عند ما طلبها منه . وقيل اكثر من ذلك أن تندار هو الذى عهد بها اليه خوفاً من انرسوفوروس بن هيبوكون الذى كان ينوى اغتصابها عنوة وهى دون البلوغ . ولـكن أشبه الروايات بالحقيقة التى تؤيدها الشهادات الـكثيرة ، هى أن تيزيوس و بيرتياوس ذهبا معاً الى إسبارطة واختطفا هيلانة وهى ترقص فى معبد ديانة اورتيا ، وهربا بها . وأن الذين اقتفوا أثرهما لم يتعقبوهما الا الى حدود تيجة ولما اجتاز السالبان حدود بيلوبونيز وصارا فى مأمن اقترعا فيما بينهما على هيلانة على شريطة ان من تصير نصيبه يعاون الآخر على اختطاف أخرى . كانت من نصيب تيزيوس ولم تكن بالغة اشدها بعد ، فذهب بها الى ايفدنس وأودعها والدته إترة وجعلهما فى حمى انيدنوس صديقه وأوصاه بشدة اليقظة وكتمان السر . و برا بوعده لبيرتياوس ذهب معه الى ابيرة لاختطاف ابنة ايدونيوس ملك المولوس . وكان هذا يدعو زوجته بروسبرين وابنته كوره وكلبه سيربير . وكان من عادته أن يعرض خطاب ابنته لمقاتلة ذلك الـكلب مع الوعد باعطائها لمن يتغلب عليه . ولـكنه علم أن بيرتياوس جاء لاختطاف الابنة

لا ليطلبها زوجـة . قبض على الخاطفين وجعل بيريتاوس فريسة لـكلبه سربير. واحتفظ بتزيوس أسيراً .

ولـكن ما نستـه بن باتيوس وحفيد أوانوس بن ارخته أول من عرف معانى الدعاية والشهرة واختبر تأثير الخطابة الملقة ، آثار كبار الوطنيين واهاجهم ضد تزيوس الذى سـبقت منه الاساءة اليهم ، اذ جردهم سلطانهم فى قراهم وحشرهم فى مدينة واحدة حيث جعلهم من رعاياه بل عبيده ، وكان يثير الجمهور عائبا عليه الانخداع لشبح من الحرية . فى حين أنه جرد الوطنيين من أوطانهم وعبادتهم عائبا عليهم احتمال مستبد أجنبي مجهول الاصل بدلا من ملوكهم الصالحين وحكامهم الشرعيين

ولم يسعد ما نسته فى دسـائسه وغاياته شيء أكثر من حرب التنداريين الذين أغاروا على أتيكا مسلحين بناء على دعوته ، كما روى ذلك بعض المؤلفين لم يبـدأوا بالعداء بل طلبوا أن ترد اليهـم اختهـم . فاجابهـم الاثينيون أنها ليست لديهم وانهم لا يعلمون أين هى . تأهب التنداريون للقتال ولكن أكاديموس ولا ندرى كيف علم السر أبلغهم أن هيلانه مخبؤة في افيدنس. فخصه التنداريون جزاء هذا الفضل بالاحترام والرعاية طوال حياته . — وكذلك السبارطيون الذين كثرت غاراتهم على اتيكا بعد ذلك وامعنوا فيها نهبا وسلبا كانوا يحرصون على عدم المساس بحدائق الاكاذيمية اكراما لاكاذيموس ولـكن ديسيارك يقول انه كان في جيش التنداريين اركاديان يدعى أحدهما اخاذيموس والآخر ماراتوس ، . سمى هذا المـكان باسم الاول وكان يقال له أخاذيمية ، ثم أكاذيمية. وسميت قرية ماراتون باسم الثانى لانه اجابة لامر الوحى قدم نفسه ضحية على رأس الجيش . سار التنداريون الى افيدنس واكتسبوا المعركة وأخذوا المدينة عنوة .. ويقال ان اليكوس بن سيرون لقى حتفه هناك ذ كان يحارب من أجل الديوسقوريين وان المـكان الذى دفنت فيه جثته فى

أرض الميجاريين لا تزال تدعى باسمه . وقال هاراياس ان اليكوس هلك في أفيدنس بيد تزيوس نفسه . مستشهداً بالبيتين الآتيين اللذين قيلا في اليكوس
. . . فى افيدنس ذات الربوع الخضراء

كان يقاتل لاسترداد هيلانة الحسناء . ولكن تزيوس — قتله (١)
على أنه ليس معقولا أن يكون تزيوس موجوداً وتسقط أمه وأفيدنس فى أيدى الاعداء .

وإذ سقطت افيدنس اضطرب الاثينيون وتمكن مانسته من اقناع الشعب أن يفتحوا الابواب للتنداريين وان يستقبلوهم استقبال أصدقاء قائلا انهم لا يعلنوا الحرب إلا ضد تزيوس الذى بدأهم العداء وانهم مخلصون للوطنيين ومنقذوهم . وقد جاء سلوكهم مبرراً لهذه الشهادة . لم يطلبوا مع ما لهم من السيادة سوى أن يتسلموا الاسرار المقدسة بصفتهم من ذوى قربى الاثينيين على مثال هرقل : تبناهم افيدنوس كما تبنى بليوس هرقل وسلمهم الاسرار الالهية ودعاهم « اناس » (٢) منحوا هذا اللقب اما لأنهم حبوا المدينة السلام . واما لأنهم منعوا الاذى عن الاثينيين ، بالرغم من جنود جيشهم العرمرم بينهم . يطلق هذا اللقب على من يتولى العناية ، الحماة ؛ ولعل هذا هو السبب فى اطلاقهم لقب انا كتوس على الملوك . ويقول البعض ان التنداريين منحوا هذا اللقب لظهور نجوم فى السماء تحت هذا الاسم من كلمات اتيكية تدل على ما هو فى العلاء .

ويقال انه قبض على « أتره » والدة تزيوس وسيقت أسيرة الى لاسيدمونيا (سبارطه) ومنها سارت مع هيلانه الى تروادة يعتمدون فى ذلك على بيت شعر لهوميروس (٣) « اتره بنت بتاوس ، وكليمن النجلاء . »

---

(١) لا يعرف قائل هذين البيتين

(٢) — ملك . (٣) الالياذه

ويقول البعض ان هذا البيت مدخول على قائله لايقل كذبا عما يرونه عن مونخيوس الذى يدعون انه ثمرة غرام سرى بين داموفون ولاوديس وان اثره اخفته فى إليون . ويقول إستر (١)

في كتابه الثالث عشر عن اتيكا غير هذا . يروى عن بعض المؤلفين ان اسكندر الذى يدعوه التساليون باريس انهزم فى موقعة ضد اشيل وبتروكل بالقرب من نهر سبرخيوس ، وان هكتور استولى على مدينة ترازين وعرضها للسلب والنهب وقاد اثره التى تركوها هناك . وهذه اكذب الروايات .

نزل هرقل يوماً ضيفاً على أيدوناوس المولوسى وقصه الامير حادثة بير يتاوس وتزيوس وما كانا يقصدان اليه ، ومانالهما من العقاب . حزن هرقل لما نزل باحدهما من موت مخجل وخشى على حياة الآخر ، لم يرفائدة من الكلام عن بير يتاوس وطلب اليه ان يتفضل فيسلمه تزيوس فاجابه الى طلبه . صار تزيوس طليقا وعاد الى اثينا حيث لم تكن الغلبة قدتمت على اصحابه . وكان اول همه ان كرسى الهيا كل التى خصه بها الاثينيون ، باسم هرقل واستبدل اسماءها من التزيوسيه الى الهرقلية ولم يبق لنفسه على رواية فيلوخوروس سوى اربعة . حاول فى ايامه الاولى ان يتولى الحكم وادارة الاعمال على ما كان له . ولكن الفتن والاضطرابات قامت فى وجهه . فاقتنع ان اعداءه القدماء اضافوا الى بغضهم له احتقاره لضعفه . وان الشعب قد فسد فبدل ان يطيع صامتا صار يطلب ان يتزلف اليه . حاول ارغامه بالقوة ولكن المحرضين والخطباء شلوا جهوده . يئس من استعادة سلطانه فارسل اولاده خفية الى اربا عند الفانورين خالكودون ، وبعد ان صب لعانته على الاثينين ، فى جرجوتوس فى مكان لايزال يدعى اراتاريون ، ابحر الى سيروس : ظانا انه سيجد بها اصدقاء وكانت له بالجزيرة املاك موروثه .

كان ليكومد حينذاك ملكا على سيروس ، ذهب اليه تزيوس ورجا اليه ان

---

(١) كاتب مجهول.

يعيد اليه املاكه لانه ينوى الاقامة هناك . ويقول البعض انه طلب اليه نجدة ضد الاثينيين ولكن ليكومدخشي جانب رجل له تلك الشهرة من جهة واراد مرضاة مانسته من جهة اخرى سار بضيفه الى قمة الجبل مدعيا الرغبة فى ان يريه املاكه ورمى به من اعلى الصخور فتردى تزيوس فى سقوطه . ويقول البعض انه قد زلت قدمه وهو يتمشى على عادته بعد العشاء . لم يعبأ احد حينذاك بموته . واستتب الامر لمانسته في اثينا ، وعاش ابناء تزيوس كافراد الناس عند الفانور وحضروا معه حرب ترواده مات مانسته في ذلك الحصار وعاد الابناء الى اثينا واستولوا على مقام ملكيتها .عاد الاثينيون بعد قرون الى تكريم تزيوس كبطل دعتهم الى ذلك جملة اسباب اهمها ان كثيرين من الجند توهموا انهم رأوه في موقعة ماراثون يتقدم الجيش محاربا البربر .

كان فادون حاكما بعد الحرب « المادية » . وأمرت الكاهنة الاثينيين الذين جاؤا لاستخارتها ان يجمعوا عظام تزيوس وان يحتفوا بدفنها وان يحرصوا عليها . ولكنه لم يكن من السهل ايجادها ولا معرفة القبر لان سكان الجزيرة كانوا همجاً غلاظ الاكباد لم يعاشروا أحد من الشعوب ولم يعاملوا أحـدا . ثم حدث ان سيمون على ماروية فى سيرته استولى على جزيرة سيروس فعنى بهذا البحث . رأى على ما يقال نسرا لينقر رجمة من الارض وينبش بمخالبه وكان وحيا الهياً هبط على سيمون واحتفر هناك فوجد نعشا رجل طويل القامة . والى جانبه رمح وسيف . نقل سيمون هذه الرفاة على مركبه ، عم السرور جميع الاثينيين واستقبلوا رفاته في حفاوة مهيبة وقدموا الضحايا كأن تزيوس عاد حيا الى المدينة . وأودعوه وسط أثينا في المكان المقام عليه الآن ملعب الجناز (الرياضة البدنية) وهو ملجاء العبيد والضعفاء الذين يخشون ظلم كبار القوم . والحقيقة ان تزيوس كان طوال حياته حمى المظلومين ومجيب دعوة المستغيثين .

يقيم الاثينيون الضحايا تكريما له فى الثامن من شهر بيانبسيون (اكتوبر نوفمبر)

اليوم الذى عاد فيه من كريت مع رفاقه . وهم يحتفون بتكريمه أيضاً فى الثامن من كل شهر. وقديكون ذلك لانه عاد لأول مرة من ترازين الى أثينافي الثامن من شهر هيكاتونبيون(يوليو -- أغسطس) كما قال ديودورالبريجى . (١) أو لانهم رأوا إن هـذا العدد اليق به . اذ انه ابن نبتون وهم يقدمون الضحايا لهذا الآله في الثامن من كل شهر . وسبب ذلك ان عدد ثمانية أول مكعب لاول عدد زوجى . ومضاعف أول مربع؛ ويمثل قوة نبتون الثابتة التى لاتتغير . ذلك الاله الذى ندعوه . اسفاليوس (٢) وجايوكوس (٣) .

«١» كاتب يكثر ملوكرخوس من ذكره . له مؤلف عن المقابر . ولم يعرف بغير هـذا
«٢» الذى يدعم أساسات الارض «٣» الذى يحتضن الارض .

رومولوس

من ٧٦٩ الى ٧١٥ ق - م

لم يتفق المؤرخون لاعلى موجد اسم روما ، ذلك الاسم العظيم الذى ذاع مجده بين جميع الامم ، ولا على سبب تسمية المدينة بهذا الاسم . يقول البعض أنه بعد أن طاف البلاسجيون العالم تقريباً وأخضعوا كثيرا من الامم حطوا رحالهم في هذا المكان ودعوا مدينتهم روما تنويها لما لسلاحهم من قوة(١) ويقول البعض إن بعد سقوط ترواده نجا جماعة من اهلها وتيسر لهم الحصول على سفن: ثم قذفت بهم الرياح فرسوا على شواطى اتريريا بالقرب من نهر التبر . وكان التعب قد انهك قوى نسائهم وملت مشاق السفر وكانت بينهن واحدة تدعى روما لايقل زكاؤها عن كرم محتدها اقترحت عليهن اضرام النار فى السفن فعملن بنصيحتها . غضب الازواج ثم استسلموا لضرورة الواقع واقاموا حول جبل بالاتن . حيث فاقت سعادتهم ما كانوا يؤملون وجدوا من الارض خصوبة ومن الاهالى ترحيبا ولذلك خصوا روما بالاكرام ، وأطلقوا اسمها على المدينة التى كانت سبباً لوجودها . ويقال أن عادة تسليم الرومانية على اهلهن وأزواجهن بقبلة على الفم اصلها أن التروادیات بعد اشعالهن النار فى السفن كن يهدئن غضب ازواجهن بالتوسل اليهم وتقبيلهم على هذا النحو . ويزعم البعض أن روما التى دعيت المدينة باسمها هى بنت ايطالوس ولوكاريا ، ويقول آخرون انها بنت تالاف بن هرقل وأنها تزوجت أنياس (أنيه) ويقول آخرون ان اسجانى بن أنياس كان زوجها . وهؤلاء يدعون أن الذى بنى روما هو رومانوس ، بن عولوس وسرسه ، ويدعى أولئك ذلك لروموس بن اماتيون ، الذى ارسله ديومد الى ترواده ؟ ويقول البعض أن الذى وضع اساسها هو روموس ملك اللاتينيين بعد

(١) معنى كلمة « رومي » اليونانية قوة.

أن طرد منها الترهينيين الذين جاءوا من تساليا الى ليديا ثم من ليديا الى ايطاليا.

وادهى من ذلك أن الذين يدعون ولهم الحق أن رومولوس دعا المدينة باسمه غير متفقين فيما بينهم على أصل رومولوس ذاته . يحسبه البعض ابن انياس واكستيا بنت قورباس . وانه نقل اذ كان طفلا مع اخيه روموس إلى ايطاليا وإن نهر التيرطفى فحطم جميع السفن الاسفينة الطفلين التى دفعها بلطف الى شاطىء ممهد ونجت على غير المنتظر ودعيا المكان روما . ويقول آخرون أن روما بنت واكستيا هذه تزوجت لاتينوس ، بن تلماك فاولدها رومولوس . ويذهب البعض الى أن رومولوس هو ثمرة اتصال سرى بين أميليا بنت انياس ولافنيا بالاله مارس .

ومن الرواة من يتحدث عن ميلاده باغرب الخرافات . يزعمون ان تارختيوس ملك الالبونيين وهو من أظلم الناس وأقساهم ؛ ترأت له وهو فى قصره رؤيا الهية ؛ رأى رمز اله التناسل خارجاً من بيته ليلا حيث قضى بضعة أيام ، وكان فى اترورياوحى تانيس فارسل هذا الملك يستشيره فاجاب الوحى ان عذراء تتصل بهذا الاله ويكون لها ولد جليل الشأن يتفوق على جميع رجال عصره بشجاعته وقوته وحظه . أفضى تارختيوس الى احدى بناته بهذا الوحى وأمرها باتمامه . لم تر الفتاة ذلك وأرسلت إحدى خادماتها، غضب الملك عندما علم الخبر وهم بقتل الفتاتين . ولكن الالهة فيستا تراءت له فى حلم ونهته عن قتلهما . امر بنتيه أن تنسجا قطعة قماش ووعدهما أن يزوجهما متى أتمتاه فكانتا تشتغلان طول النهار حتى اذ جاء الليل أمر تارختيوس نساءه بحل ما نسجتا . وضعت الخادم التى حملت من فالوس (اله التناسل) (توأمين) سلمهما الملك الى رجل يدعى تاراتيوس وأمره بقتلهما . وضعهما الرجل عند شاطىء النهر

(١) يدعو فلوطارخوس شقيق رومولوس ، روموس ا. اما جميع اللاتينيين فيدعونه راموس .

وهناك أسرعت اليهما ذئبة وأرضعتهما بما تحمله من الغذاء وأخذت الطيور ترقهما، تلتقط من الغذاء

بقيت هذه الحال الى أن رآهما راعى بقر فأخذته الدهشة لذلك ثم اجترأ على الدنو منهما وأخذ الطفلين . ولما شبا قتلا تراختيوس وهزماه . هذه رواية كاتب يدعى بروماتيون (١) في مؤلفه تاريخ ايطاليا

أما أشبه الروايات بالحقيقة والتى أجمع عليها اكثر الشهود فهى رواية ديوكلس البيبارستى التى أذاعها قبل سواه بين اليونانيين وأيدها فابيوس بيكتور (٢) وقد وقعت بها اختلافات الا انها فى جملتها ما يأتى

انتهى ارث سلالة أنياس الملكيين الى الاخوين . نوميتور واموليوس قسمه اموليوس الى قسمين أحدهما المملكة والآخر المال والذهب الذى جيء به من تروادة . اختار نوميتود المملكة ولكن اموليوس صار بماله أقوى نفوذاً من أخيه وسلبه التاج بأهون سبب . خشى أن تلد بنت أخيه أبناء فجعلها « فستا » كاهنة حتى لا تتزوج وتقضى حياتها عذراء . بعضهم يدعوها إليا . والبعض ريا وآخرون ، سلفيا ؛ ولكنها وجدت بعد قليل حبلى خلافا لقوانين الكاهنات . شفعت لها انتونبت الملك لدى والدها فأبقى على حياتها . خشى اموليوس أن تلد على غير علم منه فاودعها سجناً ضيقاً لا يراها فيه أحد . وضعت توأمين من أجمل وأفخم ما تلد الوالدات . ازداد خوف اموليوس فعهد الى خادم ان يعرضهما للهلاك . ويقال ان ذلك الخادم يدعى نوستولوس ويقول آخرون ان هذا اسم الذى التقطهما . وضع الخادم الطفلين فى مهد ونزل يلقى بهما في النهر ولكنه وجد التيار شديداً فلم يجرأ على النزول فالقى بهما على الشاطىء وعاد . هدأت المياه واحتملت المهد بلطف الى أرض ممهدة تدعى

(١) كاتب مجهول . (٢) أقدم مؤرخى اللاتينيين معاصر هنيبال وكتب حوادث روما ولم يبق منها شيء تقريبا

اليوم سرمانوم وكانت تدعى جرمانوم . وظنى ان ذلك لان اللاتينيين يدعون الشقيقين « جرمان » وكان على مقربة من هناك شجرة تين برية يدعونها « رومينال » ويظن البعض أن هذه التسمية نسبة الى رومولوس او لان الحيوانات المجتره كانت تذهب وسط النهار فتستريح فى ظلها . اوان ذلك نسبة لرضاع الطفلين هناك . وذلك ان قدماءاللاتينيين كانوا يدعون الثدى « روما » و يدعون الالهة التى تعنى برضاع الاطفال رومليا ، ولا يدخل الخمر فى تقدماتها أما المطهر فكان من اللبن

هناك بقى الطفلان ترضعهما الذئبة ،يعاونها الشقرق فى تغذيتهما والعناية بهما ، وهما من الحيوانات المفترسة للاله مارس . ويخص اللاتينيون الشقرق بعبادة خاصة وهم كذلك يصدقون شهادة الوالدة ان الطفلين ابنا مارس . ويقول بعض المؤرخين ان ذلك وهم منها . لان أموليوس كان مدججا بالسلاح حينما دخل يغتصبها . ويقول البعض ان اسم المرضع كان فى هذه الخرافة تورية لاحقيقة . لان اللاتينيين كانوا يطلقون كلمة ذئبة على أنثى الذئبة والمومس وتلك كانت حالة زوجة فوستولوس الذى عنى بتربية الطفلين . وكانت تدعى أكالارنسيا : يقدم اليها الرومانيون كل سنة التقدمات فى شهر ابريل و يقوم كاهن مارس بصلاة الجنازة و يدعى عيدها عيد لارنسيا .

وهم يكرمون أيضا لارنسيا أخرى للمناسبة التالية .

حدث ان حارس هيكل هرقل رأى فى ساعة ملل ان يقترح على الالهمقامرة بالنرد (الزهر) يشترط إذا ربح ان يمنحه الاله مايريده . واذا خسر قدم للاله وليمة فاخرة وحسناء ينام معها . اتفقا على ذلك وألقى النرد عن هرقل أولا . ثم عن نفسه فكان الخاسر . فوفاء بعهده أدب للاله مأدبة فخمة واستأجر له الانسيا التى كانت فى ريعان صباها لاتزال الا قليلا . وأقام سرير الوليمة فى الهيكل . واذ انتهت المأدبة احتجز لارنسيا ليستمتع بها الاله . ويقال ان هرقل استمتع بها حقيقة وأمر

ان تذهب باكرا الى الساحة العمومية وتقبل أول رجل تقابله وتتخذه خليلا وكان أول من قابلته وطنى عجوز وغنى جداً قضى حياته حتى تلك الساعة أعذبا. وكان يدعى تاروتيوس. لقى لارنسيا لقاء حسنا جدا وعلق بها حتى انه عند موته ترك لها أموالا عظيمة. أوصت بمعظمها للشعب الرومانى. ويقال انها نعمت بشهرة واسعة. وكانت تكرم بصفتها خليلة آلهة عند ما اختفت فجأة على مقربة من المكان الذى دفنت فيه لارنسيا الاولى. وهو يعرف اليوم باسم فالابر: مأخوذ من ان نهر التبر كان يطغى احيانا فيجتازه الناس على قارب الى الفوروم. (ساحة المدينة) واجتياز المياه على هذا النحو يقال له (فالاتورا) ويقول البعض ان الذين كانوا يقيمون الالعاب للشعب كانوا يدون الاقمشة من المكان الى الملعب (السرك) مبتدئين بهذه الساحة. والرومانيون يدعون القماش «فالا» هذا هو أصل الحفلات التى يقيمها الرومانيون للارنسا الثانية.

قام فوستولوس راعى خنازير أموليوس بتربية الطفلين فى منزله على غير علم من احد. ويزعم البعض وهو أدنى الى الصواب ان نوميتور كان يعلم ذلك وانه كان يمدها بما يحتاجون اليه خفية. نقلا بعد ذلك الى جابى. (١) ليتعلما اللغة وكل مايجب ان يتعلم الاشراف.

دعى رومولوس وروموس نسبة الى الثدى لانه قد شوهد ان الذئب ترضعهما. وكان لهما من اعتدال قامتيهما ووسامة وجهيهما مايدل منذ الصبا على مايكون لهما من شأن. وكلما زادت أيام حياتهما. ازداد كل منهما شجاعة وجرأة واقداما عند الخطر. ولكن رومولوس كان يفوق اخاه بسلامة الذوق والمهارة فى تدبير الامور. ففى المرعى او القنص او كل علاقاته مع جيرانه. يبدو عليه أنه خلق للقيادة أكثر منه للطاعة. لذلك كانا محبوبين من جميع زملائهما ومن كانوا دونهما. اما وكلاء الملك ورؤساء قطعانه الذين لم يريا لهم عليهما فضلا فى

(١) مستعمرة البا فى اللاتيوم على بعد اثنى عشر ميلا من روما.

الشجاعة . فكانا يحتقرانهم ولا يعبآن بتهديدهم وغضبهم وسارا فى حياتهما سيرة الاحرار . ولم تكن الحرية فى نظرهما البطالة بل العمل: رياضة البدن . القنص؛ الركض . القضاء على قطاع الطرق واللصوص . حماية المظلومين من ظلم الظالمين . بذلك اكتسبا شهرة واسعة .

وحدث ان رعاة نوميتور اشتبكوا مع رعاة امولوس فى معركة واختطفوا منهم قطعانا فاستاء رومولوس وروموس لذلك واقتفوا أثرهم وشتتوا شملهم وعادوا بالغنائم التى سلبت . فزع يوميتور لذلك ولكنهما لم يعبآ بالامر وكانا قد حشدا جنداً من الاهالى والعبيد بحجة اتقاء العصيان والثورة . وجرى بعد ذلك ان روملوس كان غائباً يقدم ضحية دينية لانه كان عليما بالتقاليد الالهية وفى غيابه التقى رعاة نوميتور بروموس في نفر قليل من رجاله فانقضوا عليه وجرح كثيرون من الجانبين ولكن النصر بقى لرجال نيميتور فاخذوا روموس أسيراً واقتادوه الى مصاحبتهم وعرضوا عليه شكاتهم ضده فلم يجرأ نوميتور على عقابه خشية اغضاب أوميلوس فنقد اليه لانصافه من الاهانة التى لحقت به وهو أخوه فى خدمة الملك ، فتأثر الالبانيون واشفقوا من اذلاله وأروا ان مقامه حقيق بالا يذل . عطف أمولوس على مطالبه وسلمه روموس يعمل به ما يشاء. اصطحبه الى منزله ولكنه لم يستطع الا يعجب بهذا الشاب لما رآه فيه من الجمال والقوة والجرأ والثبات ما ينطق بتلك الصفات التى جعلته لا يبالى بالخطر المحدق به . ليضاف الى ذلك ما يروى عن أعماله الجليلة التى تؤيدها ما يشهده عيانا وظنى أن ذلك أثر وحى إلهى قرر اجراء الاعمال الجليلة التى بدأت من ذلك الحين استشعر الحالة نوميتور واراد ان يستوضح الحقيقة فسأل الشاب من هو وما مولده ، وكان كلامه فى هوادة ولطف وعطف حقيق أن يدخل على نفس الشاب الثقة والامل .

أجاب روموس بجرأة . انى لا اكتمك شيئاً وأنت على ما يلوح لى أولى بالحكم من أميلوس انك على الاقل تسمع وتتحقق قبل أن تعاقب . أما هو فانه

يسلم المتهم بلا تحقيق . كنا نحسب أنفسنا حتى اليوم ابناء فوستولوس ولارانسيا خادم الملك . ونحن توءمان . ولكن منذ وشوا بنا اليك واضطررنا للدفاع عن أنفسنا سمعنا أقوالا مدهشة وسيكشف موقفي الخطر هذا اذا كانت حقيقة بالثقة أم لا . يقولون انا ولدنا خفية وانا غذينا وأرضعنا بطريقة غاية فى الغرابة . وان الطيور الجارحة والوحوش البرية التى القينا اليها قامت بتغذيتنا اذ كانت ذئبة ترضعنا ثديها وشقرق يقدم لنا ما يلتقطه ايام كنا فى مهد على شاطىء النهر الكبير ولا يزال المهد محفوظا تحيط به شرايط من النحاس وعليه حروف لا تكاد تقرأ قد تكون لوالدينا يوما ما علامة لتعرفنا ولا يحين ذلك الا بعد فوات الوقت اذ سوف يقضى علينا . قارن نوميتور بين هذه الاقوال وعمر رموس والزمن الذى عرض فيه الاطفال للهلاك فخامره امل بهيج فعول على محادثة ابنته خفية وكانت لاتزال رهن السجن

ولما علم فوستولوس ان روموس اسر وقد سلمه امولوس الى نوميتور تعجل رومولوس لاغاثته وكشف له عن سر ميلاده ولم يكن من قبل لايشير الى ذلك الا باشارات غامضة لايقصد منها سوى ازكاء العواطف الشريفة ثم حمل بنفسه المهد واسرع به الى نوميتور وهو يرتعد خوفا على رموس ءادخل ماكان عليه من رعشة الريبة الى نفوس حرس الملك وانتهى بهم الريب والجوابات المضطربة الى اكتشاف المهد الذى كان يخفيه تحت ردائه . وقضت الصدفة ان يكون بين الحرس احد الذين عهد اليهم امولوس ابعاد الطفلين وشهد ماتعرضا له من خطر . فما رأى المهد حتى عرفه من شكله وما كان محفورا عليه من الكلمات . تغلب الحارس على الشك فاسرع لفوره الى الملك مصطحبا فوستولوس ليحمله على تقرير الحقيقة . لم يتملك الخوف فوستولوس تماما ولكنه لم يملك الحزم تماما فاعترف بان الطفلين على قيد الحياة ولكنهما بعيدان عن البا يرعيان القطعان . وقد احضر المهد الى « اليا » لانها تريد ان تراه وتلمسه ليقوى فيها الامل بان ولديها لايزالان على قيد الحياة

أخذ اميلوس الطيش الذى يلازم المضطربين المترددين الواقعين تحت تأثير الخوف والغضب فارسل رجلا من اهل الخير صديق لنوميتور يسأله الم يسمع ان ابنا اليا على قيد الحياة . وصل ذلك الرجل بينما كان نوميتور يهم بمعانقة رموس وضمه الى صدره واخذ يشدد أمل الشاب و يدفعه لاغتنام الفرصة وانضم اليهم مقدما نفسه لمساعدتهم لم يكن فى الوقت متسع لان روملوس صار على مقربة منهم وقد انضم اليه اكثر اهالى المدينة يدفعهم خوفهم وبغضهم لاميلوس . وكان روملوس قد حشد جيشا عرمرما قسمه الى طوابر يؤلف الطابور منها من ماية رجل يقود كل طابور رجل بيده قناة على رأسها حزمة من العشب والحطب . وهذا ما يدعوا اللاتينيون حمالة العشب المانولول. ولا يزال الجنود الذين يستظلون هذا العلم يعرفون بهذا الاسم حتى اليوم . وكان روموس قد استمال الوطنيين المقيمين في البا . بينما كان روملوس يتقدم برجاله استولى الرعب على الظالم وحار فى أمره و بقى على غير هدى لا يدرى بما يدافع عن نفسه فقبضوا عليه وهو فى تلك الحالة وأعدموه

هذه رواية فابيوس وذيوكلس البياريتى يراها البعض مدخولا عليها الكثير من المحسنات الدرامية والزخارف الخرافية ؛ ولكن هل نستطيع نكرانها لو فكرنا فيما يحيكه الحظ الموفق من الروايات الشعرية او فكرنا فيما وفقت اليه روما من النجاح الباهر . فلم تكن لتصل الى ما وصلت اليه من قوة ومنعة اذا لم تكن مرتكزة على اساس الهى تدل عليه العظائم والمعجزات ؟

عادت السكينة الى المدينة بعد موت امولوس ولكن روملوس وروموس لم يقبلا المقام فى البا دون أن يحكماها ولم يقبلا ان يحكماها فى حياة جدهما . فبعد ان أقرا السلطة بين يديه وقاما بواجب التكريم لوالدتهما عولا على الرحيل ليسكنا مكاناً يكون لهما الامر فيه. وعليه اعتزما انشاء مدينة في المكان الذى أرضعا فيه فكان لهما من هذا المقصد أشرف عذر . على انه لم يكن لهما بد من ذلك . لم يكن جندهما سوى جماعات من المنفيين أو العبيد الهاربين فكانوا بين أمرين.

أما ان يعرضا سلطانهما للضياع بتشتيت شمل جيش كهذا أو أن يذهبا به الى مكان آخر يستقرون فيه. لان الالبيين لم يقبلوا مخالفة هؤلاء المنفيين والهاربين ولا اعتبارهم وطنيين. يدلنا على ذلك أولا اختطاف نساء السابيين. (Sabiue الذى لم يحدث عن شهوة وحشية بل عن ضرورة لانهم لم يجدوا سبيلا لزواج اختيارى والحقيقة انهم أحسنوا رعاية النساء اللواتى اختطفوهن. كما يدلنا على ذلك انهم لم تكد يستقر بهم المقام حتى انشأوا للهاربين ملجأ دعوه هيكل الاله ملجأ (١) يقبل فيه الجميع لا يسلم العبد لسيده ولا المدين لدائنه ولا القاتل لحاكمه محتجين بوحى من ابولون يكفل الحرية لجميع الهاربين. لذلك كثر عدد سكان روما التى لم يكن بها سوى الف منزل. وسأتكلم عن ذلك فيما يلى:

وقد شجر عند انشاء المدينة خلاف بين الاخوين على الموضع الذى تقام فيه. انشاء رومولوس المكان المعروف باسم روما المربعة. وهى قلعة على جبل (بالاتن) واعتزم المقام فيها ولكن روموس اختار حصناً على جبل «افانتين»(٢) ثم اتفقا ان يفض النزاع بينهما ما تشير اليه الطيور الكريمة. فوقف كل منهما فى المكان الذى اختاره. ويقال ان روموس شهد ستة عقبان أما رومولوس فشهد اثنتى عشر ويزعم البعض ان الاول شهد عقبانه حقيقة اما الثانى فقد خدع أخاه وانه لم ير الاثنتى عشر الا عند ما دنا منه روموس. ومهما يكن من الامر فان هذه الحادثة هى سبب ما نراه اليوم من ان الرومانيين يفضلون التفاؤل برؤية العقبان. ويقال ان هرقل أيضاً كان يسر اذا رأى عقابا قبيل اقدامه على عمل. والحقيقة ان العقاب أقل الطيور ضرراً فلا يمس ما يبذره الانسان ولا ما يذرعه ولا ما يقوته؛ انما يعيش من الجثث وهو لا يقتل ولا يجرح حيا ما، ولا يمس الطيور حتى الميت منها احتراما لنوعه، وهو فى ذلك على خلاف

---

(١) بلوطارخوس هو الوحيد الذى تكلم عن هذا الاله على انه خطأ. واضح كان هناك هيكل وملجأ لا اله «ملجأ» (٢) دعى باسم رمونيوم ويدعى الان ريناريوم

النسور والبوم والصقور التى تعتدى على الطيور الحية وتمزقها ، ولقد قال اشيل :

« هل يمكن ان يكون الطائر الذى يأكل لحم طائر نقياً (طاهراً)

ومع كل فان الطيور الاخر تقضى حياتها بمرأى منافتراها فى كل مكان . ولكن ظهور العقاب نادر جداً ومن الصعب العثور على أو كاره .وحدث عن هذه الندرة الرأى القائل بأن العقبان تأتى مهاجرة من بلاد أخرى : وهذا شأن الناس فى الحوادث غير الطبيعية حيث تجرى الاشياء على مايقول عرفاء الفال في غير مجراها العادى بل بارادة الآلهة تدل عليها باشارة ظاهرة .

و إذعلم روموس أنه خدع حزن حزناً شديداً لذلك كان يسخر منه أخيه وهو يحفر الحفرة التى تحيط بالجدران وكان يعطل تنفيذه . ويقول البعض أن رومولوس قتله فى الحال ويقول الآخرون ان «سيلر» احد اصدقاء رومولوس هو الذى قتله .وقد هلك فى المعركة . فرستولوس واخوه بلستنوس الذى كان عوناً له في تربية رومولوس. وقد لجأ القاتل الى اتريرى . (١)

و بعد أن دفن رومولوس اخاه ومربيه،فى الرمونيوم اشتغل ببناء المدينة واحضر من أتريرى اناساً علموه نظام الحفلات والتقاليد الواجب مراعاتها والاصفاء بالاسرار .

واحتفر حفرة حول المكان المعروف اليوم باسم « كوميس » وألقوا فيها بكورة من كل شىء حلال من حيث الشرع وضرورى من حيث الطبيعة . من ثم اخذ كل واحد قبضة من تراب البلد الذى أتى منه وألقاه فيها بعد مزجها كلها وأطلقوا على الحفرة اسم « العالم » ومن هذه النقطة رسموا حظيرة المدينة وضع المؤسس سلاحا من النحاس فى المحراث وعلق ثوراً وبقرة واحتز على الخط المرسوم حزاً عميقاً وكانت مهمة السائرين فى أثره أن يأخذوا الطين الذى يخرجه المحراث فيلقوه فى الحفرة لايتركون منه شيئاً . وكان الحز

(١) وقد اطلق اسمه على كل سريع خفيف كما اطلق على كنتوس مبتالوس الذى أقام بعد موت والده ببضعة أيام وقتله قتال الجلادين . اشارة الى السرعة التى جرى بها اعداد الحفلة .

رمىا لجدران المدينة ودعوه يومرٍيوم اى ورا ء أو بعد الحائط • وكان فى الاماكن التى يراد جعلها أبوابا يرفع المحراث فيبقى بلا أثر • لذلك يعتبر الرومانيون الجدران مقدسة • اما الابواب فلا • لانها لو اعتبرت مقدسة لكان ادخال الضروريات الى المدينة واخراج الاشياء النجسة مخالفة للدين •

ثم انشأ روما في الحادى عشر من مايو (١) ولا جدال في ذلك ولا يزال الرومانيون يقيمون هذا العيد السنوى ، يدعونه عيد ميلاد وطنهم وكانوا فى أول عهدهم لا يقدمون فيه ضحايا حية قائلين أن عيد ميلاد مدنيتهم يجب أن يكون طاهراً لا تلوثه الدماء • على انهم قبل تأسيس روما كانوا يقيمون عيداً خلويا يدعونه « بليلى » ولا يطابق اليوم تاريخ الرومانيين تاريخ اليونانيين. ويقولون ان اليوم الذى اسس فيه روءولوس المدينة بعد الثلاثين من الشهر اليونانى ، وان الشمس كسفت فى ذلك اليوم وان الشاعر انتياخوس من تاوس قد رقيه فى السنة الثالثة من الاولمبيادة السابعة

كان للفيلسوف فارون وهو أكثر الرومانيين معرفة بالتاريخ صديق يدعى تاروتيوس فيلسوف ورياضى يستخدم أوقات فراغه فى رصد الكواكب ويقال انه حذق هذا العلم طلب اليه فارون أن يحدد يوم وساعة ميلاد روءولوس يستنتجه من أعماله المعروفة كما يعمل فى المسائل الهندسية قائلا بما أنه توجد نظرية يستدل بها من تاريخ ميلاد الانسان على حياته .فاذا علمت حياة الانسان أمكن الاستدلال منها على تاريخ ميلاد صاحبها ، فقام تاروتيوس بما عهد اليه صديقه وبعد أن فحص حوادث روءولوس وحركاته مدة حياته وكيفية موته وما تلاها وقارن بينها بدقة قال بثقة وبلا تردد ان روءولوس حبل به في السنة الاولى من الاولمبيادة الثانية فى ٢٣ من الشهر المصرى كيهك في الساعة الثالثة نهاراً اثناء كسوف الشمس كسوفا تاما ، وولد فى ٢١ من شهر توت عند مطلع الشمس وانه أسس روما

(١) فى ٢١ ابريل سنة ٧٥٣ ق . م. هذا هو الرأى الاكثر احتمالا والاكبر انتشارا .

فى التاسع من برموده بين الساعة الثانية والثالثة

ويروى الرياضيون ان نصيب المدينة كنصيب الاشخاص له وقته المعين يمكن ملاحظته من موقع الكواكب أثناء التأسيس على أن ما في هذه الروايات من الملاحة لا يعادل ما فى الخرافة من مضايقة فى نظر القراء

ولما تم بناء المدينة أخذ روموُلوس فى تقسيم رجال جيشه الى فرق تؤلف كل فرقة من ثلاثة آلاف رجل وثلاث ماية فارس وأطلق عليها الجيوش المنتخبة دلالة على انه اختار من بين الاهالى من يصلح للقتال ، وترك للباقين مهام الشعب فاطلق عليهم هذا الاسم ، اختار روموُلوس من الاعيان ماية ، والف منهم مجلسا ودعاهم اباء او حماة . ودعى الهيئة كلها مشيخة او مجلس الشيوخ ويقال فى سبب هذه التسمية ان أعضاء المجلس كانوا اباء لابناء احرار أي لأنهم كانوا يستطيعون اظهار ابائهم ولم يكن ذلك في وسع جميع أهالى المدينة الاولى ويزعم البعض أن هذا الاسم مشتق من الرعاية او الحماية على ما كان معروفا من حماية العظماء للضعفاء ويقال انها مشتقة من كلمة باترون وهو اسم أحد رفق ايفندر وكان معروفا بغيرة وعطف على الضعفاء . والاولى ان يقال بان روموُلوس أطلق عليهم هذا الاسم لانه يجب على الاقوياء ان يحنوا على الضعفاء حنوا أبويا . ويعلم الشعب ألا يخشوا الاقوياء والا ينظروا الى ما يتمتعون به من شرف بعين الحزن بل يحفونهم بالاحترام والرعاية ناظرين اليهم نظرهم الى الآباء وان يكرموهم بهذا اللقب ، والاجانب يدعون الشيوخ حتى اليوم سادة ورؤساء اما الرومانيون فانهم يدعونهم الاباء المختارين وهو اسمى القاب الشرف لايعرض أصحابه للحسد أو الحقد . كانوا يدعون أولا لاباء فقط ولكن لما ضم إليهم غيرهم أطلقوا عليهم لقب الاباء المقدسين . وكان هذا اللقب اسمى مايشرف به الشيوخ تمييزا لهم عن الوطنيين .

ثم قسم الاهالى الى فريقين فريق العظماء وفريق الشعب ودعا الفريق الاول الحماة أو المحامين والآخر الاتباع (أو العملاء) . وجعل العلاقات بينهما على أحسن

وأفضل مايكون مبنية على الواجبات المتبادلة الحماة أو المحامين يفسرون الشرائع لاتباعهم يدافعون عنهم أمام المحاكم يمدونهم بنصائحهم وارشاداتهم و يتولون بانفسهم جميع أعمالهم . اما الاتباع أو العملاء فكانوا شديدى التعلق بمحاميهم يجلونهم و يرعون جانبهم و يساعدونهم فى أمهار بنات الفقراء وتسديد ديونهم ولم يكن لحاكم ولا لمحكمة ان تكره عميلا (أوتابعا) على اداء شهادة ضد عميله ولا محاميا ضد عميله . واستمرت هذه القوانين الا ان المحامين رأوافيما بعد ان من للعيب المخجل ان يتناولوا من الفقراءالصغار مالا .

يقول فابيوس ان روملوس بعد تأسيس المدينة باربعة شهور فكر فى ذلك المشروع الخطير وهواختطاف السابيات والمعتقدان الذى حمله على ذلك هو رغبته فى الحرب لاعتقاده بما أفضى به اليه الوحى ان القدر يخبىء لروما عظمة خطيرة وكلما غذتها الحرب ازدادت عظمة . فعمد روملوس الى هذه الشدة لاثارة السابيين لذلك لم يختطف سوى عدد قليل من الفتيات لايزدن عن الثلاثين عدا لان حاجته الى الحرب كانت أشد من حاجته الى زوجات . والاقرب الى الصواب هو انه رأى المدينة ملأى بالاجانب ولا نساء لهم سوى نفر قليل والباقون من ذوى الحاجة والامل المريب منظور اليهم بعين الاحتقار فلاح له ان هؤلاء لايبقون طويلا فى زمامه . فامل ان يمهد لهم بهذا الاغتصاب النبيل معاهدة السابيين متى تمكنوا من استرضاء زوجاتهم . اماتنفيذمشروعه فكمايلى : اشاع أولا انه وجد مذبح اله تحت الارض . وهوالاله كونسوس . أوالمشير والرومانيون يدعون اليوم جمعيتهم العمومية مجلس المشيرين : و يدعون كبار حكامهم قناصل أومشيرين . ويزعم البعض انه الاله نبتون لان المذبح وجد فى المضرب (الملعب) الكبير الذى تبقى مفتوحا الا فى ايام سباق الخيل . و يزعم البعض ان كتمان المداولات تنم عن سر بقاء المذبح تحت الارض وقد اعلن روملوس انه احتفاء با كتشافه سيقيم حفلة تكريم علانية للاله نتبعه العاب ومناظر . فهرع اليها الناس من كل جانب . وكان مرتديا ثيابا ارجوانيا يحيط

به كبار الوطنيين وجلس فى صدر المحفل (فى الصف الاول) اما اشارة الهجوم فهى ان يقف رومولوس فيثنى طرفا من ثوبه ثم يرده ووقفت طائفة من رجال ترقب الاشارة مسلحة بالسيوف ولما اعطيت الاشارة استل القوم سيوفهم وهجموا صارخين واختطفوا بنات السابيين وتركوا الرجال يهربون لا يتعقبهم احد. ويزعم البعض ان اللواتى اختطفن لم يتجاوزن الثلاثين فتاة ولكن فالاريوس الانيومى يقول ان عددهن سبعماية سبعة وعشرين فتاة ويقول «جوبا» انهن ستماية وثلاثة وثمانون وكلهن ابكار. وهى ملاحظة تخالف مقصد رومولوس كل المخالفة ولم يكن بينهن سوى امرأة واحدة تدعى هرزيلى اخذت خطأ ولم يكن من غرض الغاصبين الاساءة الى السابيين ولا اشباع شهوة حيوانية بل كان الغرض توثيق الاتحاد بين الامتين ويزعم البعض انها تزوجت من هوستليوس احد مشاهير الرومانيين ويقول غيرهم انها تزوجت من رومولوس نفسه فرزقت منه ابنة دعاها بريما (الاولى) لانها ولدت اولا ثم ابنا دعاه اوليوس (الجماعة) ذكرى لاجتماع الشعب تحت امرته . وقد دعته الاجيال بعده ابليوس . على ان رواية زينودوت التريزينى هذه كذبها غير واحد.

وحدث انه بينما كانت جماعة من الغوغاء الذين اشتركوا مع الغاصبين يقودون سابية غاية فى الجمال وحسن الاعتدال لقيتهم جماعة من الوطنيين فارادوا انتزاعها منهم ولكن اولئك صاحوا بهم قائلين انهم يقودونها الى تالاسيوس : وهو شاب وافر الكرامة والاحترام واذ سمع هؤلاء هذا الاسم صفقوا ايذانا بالموافقة والاستحسان وعاد بعضهم مع الموكب محبة وتكريما لتالاسيوس هاتفين باسمه. ومن هذا نشأت العادة المتبعة عند الرمانيين اذ يذكرون اسم تالاسيوس فى اناشيد اعراسهم كما يذكر اليونانيون اسم «ايمينه» ويقال ان هذه الزوجة كانت سعادة لزوجها . وقد علمت من سيلتوس سيللا القرطجنى وهو كاتب اصطفته اليها الشعر والكتابة. ان رومولوس اعطى هذا الاسم لجنده علامة الاختطاف وأن جميع الذين اختطفوا البنات كانوا يصيحون جميعا : تالاسيوس ! ولذلك جرت العادة بذكر اسمه في الاعراس .

ولكن معظم الكتاب وبينهم جوبايعتقدون ان تؤدى هذه الكلمة تحريض الزوجات على حب العمل وغزل الصوف وكانوا يدعونه « تالاسيا » لان الكلمات اليونانية كانت فى ذلك الحين كثيرة الامتزاج بالكلمات اللاتينية

اذا كانت هذه الملاحظة حقيقة وكان الرومانيون يستخدمون كلمة تالاسيا في معناها اليونانى جاز لنا ان نجد لهذه العادة اصلا محتملاً فى نص المعاهدة التى ختمت بها الحرب بين السابيين والرومانيين ، تنص بنودها الاولى على ان الازواج لا يكلفون زوجاتهم سوى غزل الصوف.واستمرت العادة على ذلك في كل زواج فلئن كان اهل العروس وصحبها وكل من يحضر الحفلة يهتفون فى مرح « تالاسيا » فلانهم يذكرون الزوج انهم يحضرون اليه زوجة غير مكلفة بشيء سوى غزل الصوف

وهناك عادات اخرى وهى ان العروس لا تجتاز بنفسها عتبة دار زوجها بل يحملها الغير فيجتاز بها العتبة ذلك لان السابيات لم يجتزنها قط بل حملن بالقوة . ويزعم البعض ان عادة تفرقة شعر العروس بحد الرمح دلالة على ان زواج الرومانيين كان اغتصابا وبحد السيف . وقد تكلمنا عن هذا الموضوع بالتطويل فى المسائل الرومانية .

وقع هذا الاختطاف فى الثامن عشر من الشهر المعروف الآن باغسطس وكان يدعى حينذاك سيكستليس.وهو يوم الاعياد القنصلية (القونسيوسية)

كان السابيون شعباً كثير العدد حربياً بطبيعته يسكن ضواحى لاأسوارلها . لاعتقادهم وهم جالية من لاسيديمون (سبارطه) انه يجب عليهم مواجهة الخطر بلا خوف . ولكنهم رأوا أنفسهم مأخوذين بتلك الرهائن الثمينة التى اغتصبها العدو وخشوا الاذى يصيب بناتهم فأوفدوا مندوبين الى روملوس يعرضون عليه شروطاً معتدلة وهي ان يرد عليهم بناتهم وان يرأب الشعب الذى احدثه ويعمد الى الاقناع والطرق المشروعة لتوثيق عرى المودة والاتحاد بين الامتين فابى

رومولوس رد البنات والزمهم المصادقة على الزواج .

و بما كان السابيون ينظرون في هذا الرد و يضيعون الوقت في اعداد معدات القتال أعلن اكرون ملك السنينيين الحرب وكان شجاعا وضابطا ماهراً قد داخلته الريبة من زمن بعيد فى مشروعات رومولوس ورأى من اختطاف السابيات انه جاره مخيف لا يسهل اخضاعه اذا لم يسرع بتأديبه . فتقدم اليه رومولوس فى جيش كبير وخرج هذا لملاقاته ولما وقعت العين على العين قارن كل منهما بين خصمه و بين نفسه ثم اتفقا على مبارزة يبقى اثناءها الجيشان ساكنين. أنذر روموليس لو تم له النصر ان يجعل أسلحة اكرون تقدمة لجو بيتر . (المشترى) انتصر عليه وقتله بيده وهزم جيشه واستولى على مدينته . ولم يلحق بالاهلين أذى الا انه الزمهم هدم منازلهم والسير معه الى روما . حيث يصيرون وطنيين لهم جميع حقوق سكانها . لم تكن لروما لتبلغ شأوها من العظمة لولا ضم الشعوب المغلوبة على أمرها اليها ومزجهم باهلها . أراد روموليس ان يجعل التقدمة أكثر قبولا لدى جو بيتر وان يشهد الوطنيين مشهداً طليا فعمد الى بلوطة فاجتثها وشذبها حتى جعلها فى هيئة شارة النصر وعلق بها سلاح اكرون منسقة وشد ثوبه ووضع على شعره اكليلا من الغار وحمل شارة النصر على كتفه اليمين وسار ينشد أناشيد النصر يتبعه جنده مدججين بالسلاح . فاستقبل فى روما بالفرح والاعجاب . وكانت هذه الحفلة أصلا وقاعدة لما تلاها من الانتصارات . وسميت هذه الشارة تقدمة جو بيتر الضارب لان روموليس سأله ان يضرب اكرون و يقتله .

يقول فارون ان هذه الاسلاب تدعى أو بيم من كلمة أو بس اللاتينية ومعناها الثروة ولكن يحتمل أن تكون من كلمة أوبوس (العمل) لانه لا يجوز تقدمة هذه الاسلاب الا من قائد قتل بيده قائداً عدوا له ولم يوفق لذلك سوى ثلاثة من قواد الرومانيين . أولهم روموليس بعد مقتل اكرون السنيني ثم كورنليوس كوسوس الذى قتل تولوميتوس زعيم الاترسكيين

ثم كلوديوس مارسلوس الذى قهر فيريدومار ملك الغاليين . وقد دخل الآخران الى روما فوق عربة يجرها أربعة خيول يحملان على اكتافهما اشارة النصر . وقد اخطأ دنيس فى زعمه أن روموليوس استخدم عربة لانه من المؤكد ان تاركان ابن دامارات كان أول من أعلى شأن الانتصارات الى هذا المقام . من ملوك روما . ويقول البعض أن بيبليكولا هو أول منتصر دخل روما على عربة. أما روموليوس فان جميع تماثيل انتصاراته فى روما تمثله على أقدامه

بعد هزيمة السنينين وبينما كان السابيون يستكملون استعدادهم اجتمع اهالى فيدان وكروستومريوم واتيتيم وهاجموا الرومانيين فلم يكن نصيبهم سوى الفشل فاخذت مدنهم وقسمت اراضيهم بين الفاتحين واخذوهم الى روما مجردين وقسم روموليوس املاكهم بين الوطنيين تاركا الاباء البنات المختطفة املاكهم

اهاجت هذه الفضائح غضب السابيين فعقدوا لواء الرياسة لتاتيوس على جميع جيشهم واخذوا سمتهم الى روما . لم يكن الدنو من المدينه امرا يسيرا اذ كانت تحمى مدخلها القلعة المعروفة الآن بالكابتول تحت قيادة تاربيوس ، لاابنته تاربيا كما يزعم بعض الكتاب الذين ينسبون الى روموليوس حماقة سخيفة والحقيقة ن تاربيا ابنة القائد اشتهت الاساور التى كان يلبسها السابيون فى معاصمهم اليسرى فعاهدتهم ان تفتح لهم ابواب القلعة نظير اعطائها مايلبسون من الاساور عاهدها تاتيوس على ذلك وفتحت لهم ليلا أحد ابواب القلعة فدخلها السابيون ولسان حالهم يقول مع انتيجونيس « أحب الذين يخونون اما الذين خانوا فلا » او يردد ما قاله قيصر اغسطس فى تراس ريميتالاك « احب الخيانة اما الخائن فلا . وهذه حال كل من يستخدم الاشرار مثلهم كمثل من يستخدم سم الحيوانات السامة يسر بوجودها عند الحاجه ولكنه متى اخذ منها مايحتاجه كره ما انطوت عليه من شر . وهذا شأن تاتيوس مع تاربيا أمر السابيين وفاء بالعهد ان لايضنوا عليها بما يلبسون فنزع هو سواره والقاه على راسها مع درعه واقتدى به الجند فلم يمض وقت على تاربيا

وهى هدف لهم حتى سقطت قتيلة تحت عباء الذهب والدروع .

ويقول سولبتيوس على ماوراه جوبا ان رومولوس اعدم تاربيوس[1] جزاء خيانته . وهناك روايات عن تاربيا غاية فى السخف منها قولهم انها ابنته . تاتيوس قائد السابنيين اكرهت على المقام مع روملوس وسلمت القلعة الى ابيها فعاقبها على الخيانة هذه رواية انتيجينوس (١) اما الشاعر سيميلوس[2] (٢) فقد كان مخرفا فى زعمه من انها لم تسلم القلعة للسابيين بل للغاليين الذين احبت مليكهم حبا جماً والبك اشعاره .

« هناك على قمة الكابتول كانت تسكن تاربيا ، التى احدثت خراب قلاع روما اشتد بها الشوق للزواج من ملك السلت ، فلم تصن بيت ابائها .

ثم يقول فى موتها

ان البويين وجميع امم السلت ، لم يقصوا شعرهم على قبرها وراء نهر البو :

بل انتزعوا سلاحهم عن اذرعهم الحربية ورموا بها تلك الفتاة التعسة فكانت حلة جنازاتها .

دفنت تاربيا فى هذا المكان وعرف باسم « التاربيين » حتى جاء تاركان القديم وكرسه باسم جوبتير ونقلوا عظام تاربيا واتخذ المكان اسما غير اسمها . على أنه لايزال بين صخور الكابتول صخرة تدعى حتى اليوم الصخرة التاربية وهى التى يقذفون منها المجرمين .

ولما رأى رومولوس أن السابيين امتلكوا القلعة دفعته سورة الغضب الى اعلان القتال فقبله تاتيوس بلا تردد واثقا ان طريقه الى التراجع مأمونة اذا اضطر الى ذلك . وكان موقع القتال محصوراً بين الجبال وكان القتال صعباً على الجانبين لسوء حالة الأرض حيث الميدان ضيق لايسمح بالهرب من العدو ولا

١ وليس هو الضابط المشهور فهذا يدعى انتيجنوس كارستيوس وكان فى عهد بطليموس فيلادلفوس وله مؤلفا فى تاريخ ايطاليا ومجموعة تاريخية عظيمة .

٢ شاعر يونانى قليل الشهرة . الف تاريخ ايطاليا شعرا .

بمطاردته . وكان نهر التبر قد طفى قبل ذلك بايام فترك الارض المعروفة اليوم باسم (فوروم) (ندوة المدينة) موحلة لاترى فيها العين شيئاً فلا سبيل لاجتنابها ولا سبيل للهرب . وكانت الاقدام تغوص فيها . كاد السابيون لجهلهم المكان ان يقعوا فيها ولم تنقذهم صدفة حسنة . ذلك أن كورتيوس وهو جندى شهير اخذته كبرياؤه وشجاعته وشهرته فاندفع بجواده بعيداً عن رفقه فغاص به الجواد فى الوحول أعمل سوطه وصوته لانهاض جواده على غير طائل ولما رأى أن جهوده تذهب عبثا ترك الجواد ونجا بنفسه. ولا يزال المكان يعرف حتى اليوم ببركة كورتوس

ولما حظر السابيون هذا الخطر تقدموا للقتال وحمى وطيس الحرب لاتعرف مغبته هلك اثنائها من الجانبين خلق كثير بينهم هوستيلوس زوج هرسيلى . وهو على مايظن جد تولوس هوستيلوس الذى صار ملكا على روما بعد « نوما»

تعددت المعارك فى أيام قليلة ولكن الاخيرة كانت اشهرها حيث أصيب روميولوس بجرح فى رأسه من حجر كاد يقتله فانقطع عن مقاومة السابيين وفى هذه الاثناء ثنى الرومانيون ذيل الفرار وتعقبهم الاعداء حتى جبل بالاتن واذ كان روميولوس قد شفى من جرحه قليلا نادى بالهاربين يعيدهم إلى صفوفهم وصاح بهم بكل قواه ان يثبتوا للعدو وأن يقفوا فى وجهه واذ رأى ان الفرار عاما وليس من أحد يجسر على العودة رفع يده الى السماء وتضرع لجوبتير أن يقف الجنود وينقذ روما من الخراب . وما فرغ من صلاته حتى رأى عدداً كبيراً من رجاله خجل من رؤية الملك وحده وحلت فيهم الشجاعة محل الفزع . فوقفوا فى المكان المعروف الآن بهيكل جوبتير ستاتور فنظموا صفوفهم للسابيين ودافعوهم حتى ردوهم الى المكان المعروف الآن باسم راجيا وهيكل فستا .

وبينما هم يتأهبون لمعاودة القتال وقف الجميع أمام مشهد غريب يعجز القلم عن وصفه . ذلك أن السابيات المسبيات جرت بين الجميع تصيح بهم

صيحات الفزع والالم استولى عليهن رعب الهى فاندفعن بين المحاربين والقتلى متقدمات الى ازواجهن وابائهن تحمل طائفة منهن الابناء فوق اذرعتهن والاخريات محلولات الشعور يدعون السابنيين والرومانيين باعز الاسماء تأثر المتقاتلون وافسحوا لهن مكاناً بين الجيشين بلغ صياحهن آخر الصفوف وكان منظرهن يملأ القلوب حنانا وبلغ أشده قولهم بعد اللوم الحر العادل

«ماذا جنينا ؟ باية جريمة أو اى ذنب استحقينا ما جلبتم وما تجلبون علينا من الالآم ؟ . اختطفنا رجال بالقوة رغم كل شريعة واصبحنا منهم . ولم يفكر فينا اخواننا واباءنا واقاربنا الا بعد أن صار هؤلاء الرومانيون الذين كنا نبغضهم اعزاء علينا . واصبحنا نألم ونبكي لقتال أولئك الذين حملونا قسوتهم وظلمهم لم تأتوا لتأخذوا بثارنا أيام كنا لا نزال عذارى وجئتم اليوم تنتزعون نساء من أزواجهن وامهات من ابنائهن ! يا ويلهن ! لم يسؤنا نسيانكم ايانا كما تسؤنا اليوم عودتكم هذه ثمار العطف والمحبة التى لقيناها من أعدائنا وهذه ثمار عطفكم علينا ! اذا كان هناك باعث آخر حملكم على حمل السلاح لكان الواجب أن تعدلوا عن ذلك اكراماً لنا نحن اللواتى جمعنا بينكم وبين من تحسبونهم اعداءكم بروابط القرابة والصداقة . اما اذا كنتم تحاربون من أجلنا فخذوا معنا أصهاركم وأحفادكم أعيدونا الى آبائنا وأقاربنا دون تحرمونا من أزواجنا وأبنائنا . انا نضرع اليكم أن توفروا علينا استعباداً جديداً . »

الحت هرسيلى بشدة وانضمت اليها رفيقاتها وأخيراً وقفت الحرب وتفاوض الزعماء وكانت النساء تجمع بين أزواجهن و أبنائهن وبين آبائهن واخوتهن تقدمن المؤنة للمحتاجين وتنقلن الجرحى الى منازلهن تضمد جراحهم وتواسيهم وتريهم مكانتهن من أزواجهن وكيف انهن موضع عطف واحترام الجميع . و بعد ذلك تم التعاقد على ما يلى :

ان النساء اللواتى ترغبن المقام مع أزواجهن لا ترغمن (كما قلنا) على شيء

سوى غزل الصوف . وان يشترك السابيون والرومانيون فى سكنى المدينة . وان يبقى لها اسمها (روما) من اسم رومولوس . وان يطلق على الرومانيين اسم الكريتيين أيضا نسبة الى وطن تاتيوس . وان يتولى الحكم تاتيوس ورومولوس بالاشتراك وأن يقتسما قيادة الجيوش ولا يزال المكان الذى عقدت فيه المعاهدة معروفا باسم « كوميس » المجتمع (محل الاجتماع) واذا تضاعف عدد سكان المدينة اخذ من السابيين « مايةشيخ » انضموا الى القدماء وزيد عدد الفرق كل الى ستة آلاف راجل ومتاية فارس وقسم الشعب الى ثلاثة فرق الاولى رامننس (من رومولوس) والثانية تاتينس (من تاتيوس) والثالثة لوسيرنس (المقدس) نسبة الى الغابة المقدسة التى افتتح فيها رومولوس ملجأ ولجأ اليه اغلب الذين عرفوا باسم وطنى روما :

اما انهم لم يقسموا فى بدء امرهم الا الى ثلاث قبائل فمعروف من اسماء القبائل او الفرق ؛ ومن لقب الزعيم الذي يلقب به رئيس كل منها تحتوى كل منهـا على عشرة اقسام ، يزعم البعض انها دعيت باسماء السابيات ولكنه زعم خاطىء لانها اسماء اماكن . وقد خصت النساء بكثير من امتيازات الشرف والتكريم يخلى لهن اسمى مكان فى الطرق ولا تلفظ فى حضرتهن كلمة غير شريفه ولا يتراأى لهن احد عاريا . وان القضاة الذين يعرفون جرايم خطره كبرى لا يذكرونها في المحاكم . وان يلبس ابناءهن حلى تدعى فقاقيع لتشابهها فقاقيع المياه . وان يلبسوا ثيابا ارجوانيه مزركشة

لا يجمع الملكان المجلس كله ليعرض عليه مايعد من المسائل بل ينفرد كل منهما بدرسها درسا مبدئيا مع شيوخه ثم ينعقد المجلس للفصل فيها وكان تاتيوس يسكن المكان المعروف الان بهيكل مونيتا وكان رومولوس يسكن المكان المعروف باسم درجات الشاطى الجميل الواقعة فى الطريق الذى يمر به السائرون جبل بالاتن الى الملعب الكبير

ويقال ان شجرة الزيزفون المقدسة كانت في هذا المكان وهى التي تروى

عنها القصة الآتية : اراد روومولوس ان يمتحن قوته فرمى من اعلى جبل افانتين رمحا كان خشبه من الزيزفون فنفذ فى الارض حتى صار من المحال اخراجه . واذا كانت الارض جيدة نبتت فيها الشجرة وامتطت جذورها وتشعب غصونها عنى خلفاء روومولوس بهذه الشجرة غيرة منهم على صيانتها اذ كانوا يعتبرونها أثرا مقدسا فاحاطوها بسياج فاذا مر بها انسان ورأى ورقها ذابلا لقلة (الرى) انطلق فى المدينة ينشر هذا النبأ فيتصايح الناس الماء ! الماء ! كأن هنالك حريق فتسرع الناس من كل جانب يحمل كل اناء مملوأ ماء . ويقال انه عند ما كان كايوس قيصر يصلح تلك الدرجات اضر العمال وهم يحفرون ، بجذور تلك الشجرة على غير انتباه فذبلت

تواضع السابيون على استعمال شهور الرومانيين وقد ذكرنا في حياة توما كل مابهم فى هذا الموضوع . واخذ روومولوس عنهم الدروع الطويلة واستعملها هو والجند الرومانى بدلا من دروعه . وكان الشعبان يشتركان فى تقدماتهم واعيادهم بدون ان يعطل كل منهما اعياده الخاصة . انشاءوا اعيادا وتقدمات جديدة . ومنها عيد ماترو نال (الامومه) حيث تكرم النساء اعترافا بفضلهن في عقد السلام ومنها عيد كرمنتال وكرمنتا على مايقول البعض هى احدى الهات الجحيم التى تتحكم عند ميلاد الذكور ولذلك كانت الوالدات تخصها بالعبادة . ويقول البعض انها زوجة ايفاندر الاركادى وهى نبية ملهمة تنطق بالوحى شعرا فلقبت كارمنشتا من كلمة كارمينا اللاتينية ومعناها شعر . واسمها الحقيقى نيكوستراتا باتفاق جميع الكتاب . وبالرغم من هذا يقول البعض على شيء متى . الحق ان كارمنشتا معناها فقدان الحواس . اشارة الى ماكان يعتريها من الهذيان اثناء حمى التنبوء . لان كلمة كاريرا اللاتينيه تفيد الحرمان او الفقدان وكلمة منس تؤدى معنى الفهم اوالادراك

قد تكلمنا عن عيد باليلى وعيد نوبارك فهو باعتبار مايجرى فيه عيد كفارة وهو احد ايام فبراير المشومة ، ومعنى إسم هذا الشهر التكفير . وكان يدعى هذا اليوم فيما مضي « فيرواتا » اما عيد لوبارك فمعناه عيد الذئاب وفى هذه التسمية

مايدل على قدمه وأنه نشاء في عهد الأركاديين اصحاب افاندر على ان هذا لا يصح أن يكون سببا • فقد يكون هذا الأسم مأخوذا من الذئبة التى كانت تغذى رومولوس ؛ وانا لنرى في واقع الامر ان اللوباركين يبدأون شوط الجرى من المكان الذى عرض فيه رومولوس على مايقال • ومع ذلك ففى بعض مايجرى اثناء هذا العيد مايلقى شيئا من الغموض على اصله حيث يذبحون معزا و يقربون طفلين من عائلة شريفة يمسها القايمون بالتقدمة بسكين داميه • يتلوهم اخرون يمسحون الاثر بخرقة من الصوف مغموسة فى اللبن • ومتى تمت هذه العملية يضطر الطفلان للضحك ثم يأخذ اللوباركون جلود المعز يصنعون منها احزمة ويجرون عرايا لا يسترهم سوى حزام من الجلد يضربون بالسياط كل من يقابلونه ولكن الزوجات الصبايا لاتفر من هذا الجلد لاعتقادهن انه ذا اثر صالح فى الحمل والوضع • ومما يجرى فى هذا العيد ان الرا كضين يضحون بكلب . ويزعم بوتوس (كاتب يونانى الاصل مجهول .) وقد اصطنع اشعاراً ذكر فيها عادات الرومانيين لاتستند الا الى خرافات . يزعم هذا الشاعر ان رومولوس بعد ان قهر أموليوس جرى فرحا حتى المكان الذى كانت الذئبة ترضع فيه الطفلين ثديها وان هذا العيد تقليد لجريه . وان أطفال العائلة الشريفة تجرى « وتضرب في سبيلها كما كان رومولوس وراموس يجريان والسيف مصلت فى أيديهما من ألبا.

ويقول ان مسألة مس الجباه بالسكين الدامية إشارة الى ماحدث ذلك اليوم من المذابح والمهالك . اما الاغتسال باللبن فاشارة الى أول غذاء أعطى للطفلين .

اما كايوس اسيليوس وهو خطيب الشعب سنة ٥٥٦ لروما وضع مؤلفا باليونانية عنوانه التواريخ . فيزعم ان رومولوس وراموس قبل انشاء روما ضلا أثر قطعانهما وبعد ان تقربا بتقدمة للاله « فون » اله الحيوانات . نزعا ثيابهما كي لاتعطلهما الحرارة وأخذا فى الجرى لذلك يجرى الراكضون فى العيد عريانين.

اما التضحية فيمكن القول اذا فرضنا انه عيد كفارة حقيقة فانه ضحية خليقة بالتطهير : لان اليونانيين أنفسهم يضحون بهذه الحيوانات فيما يشبه ذلك من التقدمات وما أكثرها عندهم (انظر كتاب المسائل الرومانية لفلوطارخوس المسألة (٦٨) اذ كانت تنطوى على الاعتراف بفضل الذئبة التي غذت وانقذت رومولوس فلا غرابة ان يضحى بكلب وهو العدو اللدود للذئاب وقد يكون عقابا لانه يعطل اللوبارك ين فى ركضهم . ويقال ان رومولوس هو الذى أنشأ عبادة النار المقدسة وانه عهد برعايتها الى عذارى تعرف باسم الفستال ويعزو البعض انشأها الى نوما مع الاعتراف بان رومولوس كان تقياً جداً وعالما بفنون العياقة وكان يحمل عصا الفال وهى عصا مقوسة الطرف تستخدم عند مراقبة الطيور لتحديد مناطق السماء وكانوا يحرصون على الاحتفاظ بها في القصر . وقد ضاعت عند ما أخذ الغالون روما ولكن بعد طرد أولئك المتوحشين (البربر) وجدوها تحت كومة من الرماد لم تمسها النار باذى مع أنها التهمت واتلفت كل شئ فى الضواحى

ويعدون بين الشرائع التى سنها رومولوس شريعة قاسية جداً وهى تحرم على النساء مفارقة ازواجهن وتخول هؤلاء حق طلاق النساء اذا اقترفن جريمة التسميم (دس السم) اوادعاء الاطفال أوامتلاك مفاتيح مزررة (مقلدة) أو لعلة الزنا . اما اذا طلق الرجل امرأته لغير احدى هذه العلل فتأخذ الزوجة نصف ماله وتعطى النصف الثانى للالهة سيرس . ويلزم الزوج بتقدمة لآلهة الجحيم .

ومن أغرب مايؤخذ على رومولوس انه لم يذكر جريمة « قتل الوالد » وانما يطلق هذه الجريمة على كل من قتل انسانا . كأنه يعتبر جريمة قتل الانسان جناية لاتغتفر وانه من المحال ان يقتل الولد أباه . والحقيقة انه مضى على روما ستمائة سنة لم تقترف فيها مايشبه قتل الوالد . وكان لوسيوس أوستيوس أول من اقترفها وذلك بعد حرب هنيبال . وكفى .

حدث بعد مضي خمس سنوات على حكم تاتيوس ان جماعة من ذوى

قرباه قابلوا وفداً من لورنت قاصداً رومه فطمعت الجماعة فى أموال المسافرين وأرادوهم على تسليمها فابى عليهم هؤلاء وطلبهم ووقفوا لهم موقف المدافع عن نفسه فانهالت عليهم جماعة تاتيوس وقتلوهم فطلب رومولوس أن يسلم الجانون للعقاب ولكن تاتيوس أخذ يسوف ويماطل وكانت هذه أول مرة شجر فيها الخلاف بينهما اذ كانا سائرين معاً على اعتدال واتفاق ولما اعيى اهل القتلى اقامة العدل بسبب تاتيوس هجموا عليه وهو يقدم تقدمة مع رومولوس للالهة لافانتيوم. وقتلوه . ولكنهم اطروا واعدل رومولوس وساروا حوله هاتفين. أخذ رومولوس جثة تاتيوس واجرى له الجنازة اللائقة بمقامه ودفنه فى جبل افانتين بالقرب من المكان المعروف باسم « أرميلوستورليوم » ولكنه لم يهتم بالانتقام له . ويزعم بعض المؤرخين ان ان اللورنتيين حدا بهم الخوف الى تقديم قتلة تاتيوس اليه فاطلق سراحهم قائلا لقد انتقم القتل للقتل . وكان هذا المسلك سببا لما قيل بانه ارتاح للتخلص من زميل . ومع كل فلم ينشأ عن هذا الحادث اضطراب ما . ولم يتخذه السابيون ذريعة للعصيان ضده . البعض عن طريق الحب لشخصه والبعض خوفا من بطشه والبعض احتراما واعجابا لانه في نظرهم إله . وكثير من الشعوب كان يخطف رومولوس بهذا النوع من الاكرام وهكذا أرسل اليه قدماء اللاتينيين وفداً ليعقدوا مع الرومانيين معاهدة اتحاد وصداقة .

ويزعم البعض أنه أخذ مدينة فيدين على غرة وهى قريبة من رومة . أرسل اليها أولا فرسانا حطموا متاريسها ثم اخذ الاهالى على غرة . ويزعم البعض أن الفيديين هم الذين بدأوا بالاغارة على أراضى روما وخربوا القرى فكمن لهم رومولوس وفاجأهم عائدين وأخذ مدينتهم ولكنه لم يخربها ولم يهدم مبانيها بل أقام فيها جالية رومانية وارسل اليها يوم عيد ابريل الفين وخمسمائة وطنى ليسكنوها .

وحدث بعد ذلك بقليل ان أصيبت روما بطاعون قتال وامتد حتى الى

الاشجار والحيوانات فعقمت . وامطرت المدينة دما . فاضيف الى هذا الشقاء رعب وهمى ولكنهم اذ رأوا لورنتا حل بها مثل ماحل بالمدينة لم يبق لدى الاهالى شك فى أنه غضب الله على المدينتين عقابا لمقتل تاتيوس وجماعة المسافرين والحقيقة انه منذ سلم الجانون من الجانبين خفت وطأة الوباء وطهر روموس المدينتين بكفارة يقال انها لاتزال قايمة حتى اليوم تعمل عند باب فارانتين

وقدهاجم الكانبريون الرومانيين قبل انقطاع الوباء انقطاعا تاما وهمين ان هؤلاء قد اعياهم الوباء فلا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم. ولكن روموس لم يضع الوقت سدى بل اسرع اليهم فهزمهم تاركا فى ميدان القتال ستة آلاف ، واستولى على المدينة ونقل من أهلها نصف الباقين الى روما وأرسل اليها من الرومانيين ضعف ماأبقى بها من الاهالى وكان ذلك فى شهر أغسطس .ولم يمض على بناء روما ستة عشرة سنة حتى غصت بالسكان على ماترى . ووجد بين اسلاب الكامريوم عربة من النحاس الاصفر تجرها أربعة جياد . فقدمها روموس الى هيكل فولكان وأقام عليه تمثاله متوجا بتاج النصر .

كان له من تعاظم شأنه ماالجأ الضعفاء من جيرانه لسلطانه قانعين منه بالسلام . اما الاقوياء فقد تولاهم الخوف والحسد وشعروا ان روموس جار لايستهان به فيجب عليهم تعطيل تقدمه ومعاقبته. رأى « الفييون » انهم أصحاب أراض شاسعة ومدينة كبيرة فبدأوه العداء اذ طالبوه بان يرد اليهم فيدين باعتبارها احدى مدنهم وهو زعم ليس فقط غير عادل بل أنه مضحك لصدوره من قوم لم يقدموا اية مساعدة للفيدايين وقت الخطر ابان حربهم مع الرومانيين ثم يأتون بعد سكوتهم عن قتل الرجال يطالبون ببيوتهم واراضيهم بعد أن وضع عليها الغير يده • ولما طردهم روموس باحتقار قسموا جيشهم الى فرقتين وجهوا احداهما لمحاربة الرومانيين فى مدينة فيدان والاخرى لملاقاة روموس فافلحت الاولى وقتلت من الرمانيين الفين ولكن الاخرى هزمت شر

هزيمة وفقدت أكثر من ثمانية آلاف من رجالها ثم وقعت معركة اخرى بالقرب من ميدان شهد الجميع أنه كانت من عمل رومولوس الذى بذل فيها كثيراً من المهارة والبسالة واظهر من القوة فوق طوق الانسان ولكن رواية القائلين ان رومولوس قتل بيده نصف الاربعة عشر الف جندى الذين بتوا في حومة الوغى خرافة لاتصدق كما أن المسانين متهمون بالمبالغة لقولهم ان اريستومين قدم ثلاثة مرات تقدمة هيكاتوفونى لانه قتل ثلاثمائة سبارطى في ثلاثة معارك •

لم يله رومولوس ، باقتفاء اثر الفيين بل قصد لفوره مدينة فايس فلم يبد الأهالى مقاومة بعد تلك الصدمة • وقبل رجاءهم في ان يعقد معهم معاهدة لمدة مائة سنة بشرط أن يسلموا الرومانيين جانباً كبيراً من اراضيهم يدعى السبع (جزء من سبعة) وان يسلموا إليه الملاحات المجاورة للنهر وخمسين من كبارهم رهائن . وأقام رومولوس حفلة النصر فى شهر اكتوبر يجر وراءه عددا كبيراً من الاسرى بينهم قائد الفيين وهو شيخ سلك مسلك الطيش بدل أن يسير على مايليق بخبرة سنه . ومنذذاك جرت العادة في حفلات النصر أن يأخذ شيخا الى الكابتول بعد الطواف به فى الاماكن العمومية يصيح دونه المنادى (سردى للبيع) لان الاترسكيين يعتقدون أن جالية جاءت من سرد الى ليديا وعليه تكون فايس مدينة اترسكيه .

كانت هذه خاتمة حروب رمولوس لم يستطع بعدها اجتناب العثرات التى لايقع فيها إلا القليل ممن نهض بهم الحظ الموفق إلى قمة السيادة والشرف . إذ دهى بنجاحه وامتلأ ثقة بنفسه واستخف بالجمهور وطغى .واستاء الناس من بذخه فى الملبس إذ كان يلبس الرداء الارجوانى ومن دونه الفروة . وكان يعقد الجلسات وهو جالس على مقعد منقلب . يحيط به شبان يدعون الراكضون لسرعتهم في تنفيذ أوامره . وكانت تمشى أمامه طائفة من هؤلاء يحملون عصيا يبعدون بها الناس عن طريقه يحملون أطواقا يغلون فيها من يأمرون بالقبض عليه ويطلقون

على هؤلاء لقب (المشاديد) لما كانوا يحملون من عدة يشدون بها الوثاق على المغضوب عليهم .

وقد آل الحكم الى رومولوس بعد وفاة جده نوميتور . على ألبا . ولكنه عامل هذا الشعب بكرم إذ نزل لهم عن حكومة بلادهم محتفظا لنفسه فقط بحق إرسال حاكم يقيم العدل بين الالبين . وكان هذا مثار الشهوات عظماء روما يطلبون السيادة على بلد مستقل لاملاك فيه يطاعون ويطيعون فى وقت واحد . ولم يكن الشيوخ « أعضاء مجلس الشيوخ » أصحاب رأى فى إدارة الحكم ولم تكن ألقابهم سوى علامات شرف إذ كانوا يدعون إلى المجلس بحكم العادة لا للمفاوضة والمناقشة ؛ يسمعون صامتين أوامر الملك . ولم يكن لهم من فضل على الجمهور سوى سبق المعرفة بما تقرر . ومما زاد صدورهم حرجا ان رومولوس بمحض ارادته ، وبدون موافقتهم ولا استشارتهم ، وزع على الجند الاراضى المكتسبة ورد الى الفينين رهائنهم .

رأى المجلس فى ذلك ذراية وامتهانا ، لذلك وقعت الشبهة على الشيوخ عند اختفاء رومولوس بعد ذلك بقليل ورماهم الناس بالظنون والتهم ، اختفى رومولوس فى أول شهر يوليو الذى يطلق عليه الآن اسم كنتليوس ، وكل مايعرف عن حادثة وفاته انها وقعت فى ذلك اليوم . ولا تزال تقام الحفلات فيه ذكرى لهذا الحادث وليس فى اختفاء الحقيقة بالامر الغريب فقد وجد سيبيون الافريقى ميتاً فى منزله بعد العشاء ولم يعرف أحد كيف مات . قال البعض إنه مات لكبر سنه وضعف بنيته ، وقال آخرون انه تناول سما . والمظنون ان اعداءه أغاروا على بيته ليلا وخنقوه ؛ على ان جثته عرضت على الجمهور وكان لكل انسان أن يرى فيها دليلا على كيفية موته » . اما رومولوس فقد اختفى دفعة واحدة ولم يبق من جسمه اثر ولا من ثيابه خرقة . لذلك يظن أن الشيوخ وثبوا عليه فى هيكل فولكان وقتلوه وأخذ كل منهم قطعة من جثته يخفيها تحت ردائه .

ويقول البعض إن اختفاءه لم يحدث لا في هيكل فولكان ولا في حضور الشيوخ وحدهم . كان رومولوس قد عقد ذلك اليوم جلسة للشعب خارج المدينة بالقرب من غدير العنزة . هبت فجأة عاصفة لا يستطيع القلم وصفها . وقامت في الجو زوبعة أخفت ضوء الشمس ؛ انتشر الظلام على الأرض ولم يسمع سوى دوي الرعد من كل جانب . وكانت رياح هوجاء تهب شديدة ؛ استولى الذعر على الناس فاختفوا ولكن الشيوخ التفوا حول بعضهم البعض هدأت العاصفة وعاد النهار ضوءه ؛ وعاد الشعب إلى اجتماعه ؛ وكان اول همه البحث عن ملكه واستطلاع اخباره ؛ منعهم الشيوخ عن البحث والتنقيب وامروا جميع الرومانيين ان يقيموا عبادة رومولوس ؛ قائلين انه رفع الى مضاف الآلهة . كان ملكا وديعا كريما فصار لكم إلها . صدق الشعب اقوالهم وعاد بين الفرح والامل وعكف على عبادة الهه الجديد ، ولكن الريب والانتقام اوغرا صدور البعض فطلب كشف الستار عن الحقيقة . ازعجوا الشيوخ اذ اتهموهم بقتل الملك واخفاء الجريمة باحاديث مضحكة .

بينما كانت الحال على هذا الاضطراب اذ تقدم احد اشراف الشيوخ وهو رجل معروف بفضله وصدقه مهيب الجانب وافر الكرامة محترم من الجميع ، يدعى يوليوس أبروكولوس كاتم سر وصديق رومولوس وكان زميلا له في رحلته من ألبا الى روما . تقدم هذا الرجل الندوة العمومية (الفوروم) بحضور جميع الشعب واقسم واضعا يده على المذبح ؛ انه بينما كان سائرا تراءى له رومولوس في اجمل وابهى ما يكون يحمل سلاحا وهاجا كالنار ، استولى عليه الرعب عند رؤيته وانه صاح به : ماذا جنينا ايها الملك ؟ لماذا تركتنا غرضا لتهم ظالمة وتركت المدينة كاليتيم غارقة في الحداد ؟ اجابه رومولوس هذه ارادة الآلهة يابروكولوس بعد ان عشت بين الناس زمنا طويلا وبنيت مدينة ستفوق جميع المدن قوة ومجدا واذ كنت ابن السماء فقد عدت للمقام في السماء وداعا اذهب وقل للرومانيين : ان لهم من الاعتدال

والشجاعة خير الوسائل لبلوغ قمة السيادة. اما انا فسأكون اله الوحي مختار النفس. اسم «كيرينوس». آمن الرومانيون بصدق هذه الرواية ثقة منهم بصدق راويها وقسمه. استشعر كل منهم بتأثير قاهر ووحي الهي ولم يفكر احد في المعارضة وعدلوا عن ظنونهم وخر الجميع ساجدين ومصلين لكيرينوس ضارعين ضراعتهم لاله.

تشبه هذه القصة ما يزعمه اليونانيون عن ارستياس البروكونزى وكليومد استباله، مات ارستياس في دكان صقال واسرع اصحابه لاخذ جثته ولكنهم وجدوها قد اختفت. وقال جماعة آتين من سفرأتهم لقوه في طريق كروتون. اما كليومد فكان رجلا في بنية وقوة لا مثيل لها ولكنه كان عرضة لنوبات جنون وغضب تدفعه الى اعمال غاية في الشدة والقسوة. دخل يوما مدرسة اطفال وضرب عمود القبة فحطمه وسقطت القبة على الاطفال وسحقتهم فلما رأى كليومد الناس يجرون وراءه دخل صندوقا واغلقه عليه وشد على بابه بقوة لم يستطع الناس فتحها متألبين فاضطروا لكسر الصندوق ولكنهم لم يجدوا به الرجل حيا ولا ميتا. بلغت الدهشة منهم اشدها فبعثوا من استوحى لهم وحي ولف مخبأهم النبأ الآتي: ان كليومد استباله اخر الابطال. ويقال ايضا ان جثة الكيمين اختفت بينا كان الناس يسيرون بها الى الحريق ولم يجدوا مكانها سوى قطعة حجر. وهناك كثير غير هذه من القصص التي لا تقل عن هذه بعدا عن الحقيقة اراد بها واضعوها ان يشركوا الانسان الفاني مع الالهة في الخلود. حقيقة إنه من الكفر والحسد ان ننكر ما في الفضيلة من الصفات الالهية ولكن من الغباوة ان نخلط بين السماء والارض. لنحرص على الحق ولنقل مع بندار: إن اجسام جميع المخلوقات خاضعة لسلطان الموت، ولكن هناك صورة تعيش ابداً وهي صورة ما يأتي الينا من الالهة ان هذا الجزء من الآلهة وهو يعود اليهم لا مع الجسد بل بعد ما يتخلص من الجسد. إذ ينفصل عنه تمام الانفصال ويصير طاهراً نقيا لا يتصل بشيء من الجسد الفاني. قال هيرا كليت ان النفس وحدها هي الكاملة، تنطلق من الجسد انطلاق

البرق من السحاب . اما التى انغمست مع الجسد وصارت شهوة جسدية فهى كالبخار الكثيف القاتم تلتهب بصعوبة وترتفع ببطء . فلنحذر ان نرسل الى السماء مع نفوس الابطال أجسامهم التى تأبى عليها طبيعتها ذلك . انما نرسل مع نفوسهم فضائلهم : فيكون من المؤكد انهم بفضل العدل الالهى يتجولون من اناس الى أبطال ومن أبطال الى عبقرين .ومتى تم لهم السلام ونالوا الرضى التام واجتنبوا كما يفعل المتقدمون فى الاسرار ، شهوات الجسد الارضيه النائية حينذاك ينقلون الى مصاف الآلهة لابمرسوم أو قرار علنى وبروح الحقيقة وانما لقضاء شرعى وهناك ينعمون باجمل وابهى سعادة .

وقد اختلفت الاقوال في لقب كيرينوس الذى أعطى لرومولوس ؛ يقول البعض ان في معنى كلمة « مارس » ويقول البعض انه نحت من كلمة « كيريت » التى أطلقت على الرومانيين ، ويقول البعض ان القدماء كانوا يدعون حديد الرمح أو الرمح ذاته « كيريس » ويدعون تمثال جونون الذى يضعونه أعلى الرمح كيريتيس ، وكانوا يدعون الرمح الذى يقدسونه فى القصر « مارس » . وكان يعطى المتفوقين فى الحروب رمحا مكافأة لشجاعتهم ، وعليه يكون رومولوس قد دعي كيرينوس لانه كان محبوبا من مارس أو لانه اله سلاحه الرمح . وقد أقيم لهذا الاله هيكل على الجبل المعروف باسم (جبل كيرينال) أو الكيريني

عرف يوم احتفائه بيوم هروب الشعب ، وعذارى كابراتين (العنزة) (كابرا كلمة لاتينية معناها العنزه) . وكانوا يقدمون فى ذلك اليوم القرابين خارج المدينة بالقرب من مستنقع العنزة وكان من عادتهم عند خروجهم لتلك التقدمة ان يتصايحوا منادين أسماء مختلفة مثل ماركوس ، لوسيوس كايوس تشبيها وتقليدا لما وقع منهم أثناء فرارهم . اذ كان الفزع قد ذهب بصوابهم واختلط عليه حتى معرفة الاسماء . ويقول البعض ان ذلك لم يكن تمثيلا لهزيمة ولكنه تمثيل لاناس يسرعون مهرولين . واليك السبب . لما طرد كاميي جيوش السلتيين عن المدينة

وكان الاهالى قد كدهم التعب وخارت قواهم . عندذاك اجتمعت شعوب من اللاتيوم على رأسهم ليفيوس بوستميوس وقفوا بجيوشهم أمام روما .أرسل قائد الشعوب مناديا ينادى : ان اللاتينيين يريدون تجديد المعاهدة القديمة التى كادت تتلاشى وانه يجب ان يجدد اتحاد الامتين بروابط زواج جديدة : فاذا أرسلت اليهم عذارى وأرسل فتية كانت بينهم صداقة على مثل ماحدث لهم مع السابين اضطرب الرومانيون لهذه المطالب وحاروا فى أمرهم بين حرب يخشونها و بين ارسال نساء يجعلهم ارسالهن فى حكم الخاضعين للاتينيين . و بيناهم فى حيرتهم جاءت جارية تدعى فيلوتيس وفي رواية أخرى توتولا . ونصحت لهم ان يعمدوا الى حيلة توفر عليهم عناء الحرب وتخليهم من قبول تلك المطالب . اما الحيلة فهى ان يرسلوا الى العدو فيلوتيس ذاتها ومعها أخريات من حسان الجوارى الرقيق . يلبسن ثياب الحرائر . ومتى جن الليل ترفع مشعلا موقداً من معسكر الاعداء فيخرج اليهم الرومانيون مسلحين يأخذونهم على غرة وهم نيام : قبل رأى تلك المرأة ووقع اللاتينيون فى الفخ رفعت فيلوتيس المشعل من اعلى شجرتين برية . وأسدلت بين المشعل ومعسكر العدو ستائر وابسطة تخفى عنه ضوءه. رآه الرومانيون وهرولوا مسرعين يتنادون. اخذوا العدو على غرة ومزقوا شمله شر ممزق . واحتفاء بهذا النصر يقيمون عيد هرب الشعب و يدعون يومه يوم عذارى شجرة التين ، يؤدبون فى ذلك اليوم ولمية للسيدات في ظلال اشجار التين . وتطوف نساء الرقيق لاعبات تتراحى بالحجارة تقليداً لما كانت تصنعه الاماء مساعدة للرومانيين إذ كن يرمين العدو بالحجارة . لم يذكر هذه الرواية إلا قليل من المؤرخين على أن طريقة التنادى والخروج نهاراً وتقديم القرابين بالقرب من غدير مستنقع العنزة أكثر ملاءمة للرواية الأولى هذا اذا لم تكن الحادثتان قد وقعتا فى يوم واحد لازمنة مختلفة

ومهما يكن من أمر هذه الروايات فان رومولوس قد اختفى من بين الناس وهو فى الرابعة والخمسين من عمره وفي السنة الثامنة والثلاثين لحكمه

الموازنة بين تزيوس ورومولوس

هذا ما استطعت جمعه حقيقا بان يذكر عن تزيوس ورومولوس . رأينا تزيوس حراً غير مكره وفي وسعه ان يخلف جده في حكومة لا تنقصها الأبهة وان يعيش ناعم البال في ترازين رأيناه يقدم من تلقاء نفسه وثابا على العظائم . ورأينا رومولوس على حد قول افلاطون لا يجرأ على العظائم الا عن خوف وفرار من الرق الذي كان يعيش فيه ، ومن عقاب الموت الذي كان يهدده ، وكان أخطر ما قام به هو قتله ظالما واحدا هو حاكم البا . اما انتصارات تزيوس على سيرون ، وستنيس وبرو كرست وكورنت ، لم تكن سوى لهو وطلائع اعمال . لم يكن حين اهلك أولئك الطغاة وقضائه على طغيانهم وانقاذه اليونانيين من شرهم معروفا ممن احسن اليهم كل هذا الاحسان . اضف الى ذلك انه لو اراد السفر بحرا لسافر مطمئنا آمنا جانب أولئك السفاحين . أما رومولوس فلم يكن له من سبيل للطمأنينة مادام اموليوس حيا واليك دليلا على تفوق تزيوس انه دون ان تصل اليه اية اهانة شخصية انحط على أولئك الاشرار لخير الآخرين . اما رمولوس واخوه فكانا يعيشان مطمئنين مادام بعيدين عن اذى الطاغية لا يباليان بما يصيب الناس من شره . ولئن برهن رومولوس على بسالة حين جرح في حربه مع السابيين ، وحين قتل اكرون بيده وحين انتصر على اعدائه في حومة الوغى ، فلا ندري كيف نوازن بين هذه الاعمال الجليلة وبين حروب تزيوس مع المونيتور والمترجلات (الأمازون)

اما اقدام تزيوس على تحرير اثينا من الضريبة التي كانت تدفعها إلى كريت وسفره مختارا مع الفتيان والفتيات وتعرضه لخطر الموت فريسة المونيتور او الذبح على قبر اندروجيه او احتمال نير العبودية من قوم معروفين بغلظة كبارهم وقسوة طباعهم ، فلا نستطيع التعبير عما يستلزم هذا الاقدام من الشجاعة وعظمة النفس والاخلاص للخير العام . يا لها من رغبة شديدة في المجد والفضيلة بلا اظن

الفلاسفة مخطئين في قولهم ان الحب قانون وضعته الآلهة لحماية الناس وحفظ كيانهم (١) ان حب ارديادنه كان ولا شك من عمل الآلهة استخدمته لنجاة تزيوس فلا نلوم من اولعت به ذلك الولع الشديد بل يجب ان ندهش من أن جميع الرجال وجميع النساء لم يحملوا اله مثل هذا الحب . ولكني استطيع القول ان هذا الغرام الذي احبته وحدها هو الذي جعلها أهلا لحب اله ، لأن من احبته كان الجمال والخير والبطولة ولقد احبت فيه من أحب الجمال والخير والبطولة.

خلق تزيوس وروموليس ليحكما . وكلاهما لم يعرف الحرص على طبيعة الملك : امتهنا الملكية اخذها عن طريق الديموقراطية والآخر عن طريق الاستبداد ، سقط كلاهما في غلطة واحدة عن طريقين مختلفين . ان أول واجب على من يتولى الحكم هو صيانة المملكة . يجب عليه أن يجتنب ما لا يجب ويأخذ بما يجب واذا زاد في لينه أو شدته لم يعد ملكا ، ولا رئيس شعب بل يكون مملقا أو ظالما يجلب على نفسه البغض او الاحتقار . ينشأ احد هذين العيبين عن الدعة والانسانية ، وينشأ الآخر عن الأنانية والقسوة .

اذا لم نلق تبعة شقاء الناس على القدر وحده ورأينا من الواجب ان نقدر ما لاضطراب العقول والقلوب من الاثر ، فلا يسعنا الاغضاء عن الغضب الاعمى والانفعال المشهور اللذين ركبهما رومولوس ضد أخيه وتزيوس ضد ابنه . واذا راعينا الظروف كان أولاهما بالعذر من كانت أسباب هياجه خطيرة ، وكانت صدمته أشد عنفا . شجر الخلاف بين رومولوس وبين أخيه على مسألة عامة تحت المداولة ولا يمكن ان نفهم كيف ذهب به الانفعال إلى ذلك الحد . اما تزيوس فكان في ثورته ضد ابنه خاضعا لمؤثرات قوية لم يستطع التغلب عليها الاقليل من الناس : الحب والغيرة ووشايات امرأة . وهنالك فارق عظيم ، انتهى غضب رومولوس الى عمل وفاجعة ، اما غضب تزيوس فانتهى الى سباب ولعنات

(١) الوليمة لافلاطون .

وهي الانتقام العادي للشيوخ . اما نكبة ابنه فمن صنع القدر . وعليه يتعين علينا ان نعطى الافضلية فى هذه المسألة لتزيوس .

يمتاز روميولوس أن سلطانه بدأ حقيراً اذ كان هو وأخوه عبدين معروفين انهما أبناء راعى الخنازير ، حررا أنفسهما قبل أن تتحرر جميع الشعوب اللاتينية تقريباً ونالا أعظم الالقاب وأمجدها ، انتصرا على اعدائهما وانقذا الاهالى ، وحكما الامم وأقاما المدن وأنشأها دون أن يعمدا الى نقل السكان كما فعل تزيوس الذى خرب مدنا مأهولة قديمة معروفة باسماء ملوك وأبطال لكي يجمعها هيئة واحدة ومركزاواحداً . يمتاز روميولوس أيضاً بالزامه الشعوب المغلوبة على أمرها بهدم مدنهم والسكنى مع الفاتحين ولم يكن الغرض فى الاصل نقل أو توسيع مدينة انشاء كل شيء من لا شيء ، أوجد أمة ووطنا ومملكة وعائلات وروابط زوجية ومعاهدات لم يصب أحد من جرائها موت ولا خراب بل كان العكس ، خيراً عظيما لجميع اللاجئين الذين لم يكن لهم ملاذ ولا ملجأ اجتمعوا ليكونوا شعباً ويصيروا وطنيين . لم يقل روميولوس قاطع طريق ولا عابثا ، ولكنه أخضع أمماً ومدناً وأجرى فى موكب نصره ملوكا وقواداً .

تضاربت الاقوال فى مقتل ريموس ، يعزو البعض الجريمة الى غير روميولوس ومن المؤكد أنه انقذ والدته من الموت وأجلس جده نوميتور على عرش انياس بعد ما آل به الامر الى عبودية حقيرة .

أوفى له الخدمة راضياً ولم يسىء اليه حتى عن غير قصد . أما نسيان تزيوس أو اغفاله العمل بوصية والده في تغيير شراع المركب فليس له فى اعتقادنا مبرر ولا تخليه البراهين المطولة ، فى نظر أعدل القضاة من عقاب قاتل والده . تكلف أحد كتاب اثينا الثناء عليه فادعى أن إيجيه لما علم بقدوم السفينة أسرع مهرولا الى القلعة ليراه عن بعد فزلت قدمه وهوى . وكأن لم يكن معه أحد من حاشيته أو أتباعه .

ولا ندرى عذراً لتزيوس فى اختطاف النساء ، ارتكب هذه الجريمة غير مرة ، سبى أريدنية ، وانتيوب ، وانا كسوس من ترازان وبعدهن هيلانه وهى دون سن البلوغ . سبى وهو شيخ طفلة صغيرة حين لم تكن شيخوخته لتسمح له بالدنو من امرأة وان كانت حلالا • على أنه ليس للسبى ذاته سبب معقول لان بنات ترازان وسبارطه والمرتجلات لم تكن له مخطوبات ولاهن أهلا لان تعطيه أبناء مثل الاتينيات بنات أريحته وسيكروب . فهو ولا شك موضع للتهمة وانه لم يسلك فى ذلك سوى مسلك الهوى والشهوة

أما رومولوس فقد سبى مالا يقل عن ثمانمائة امرأة لم يخص نفسه بهن جميعاً بل اكتفى بواحدة وهى هرمليا وترك الاخريات لكبار الوطنيين. وقد ثبت من سلوك الرومانيين مع تلك النساء المسلك الحسن أن الغرض من ذلك السبى هو اتحاد الشعبين وهذا عمل حكيم وسياسة رشيدة . ، جمع بذلك الشعبين وجعل منهما أمة واحدة وكان ذلك منشأ الرعاية والودالمتبادلين بين السابيين والرومانيين ومنشأ قوة وسيادة رومولوس .

ان الزمن خير شاهد ينطق بما أوجده رومولوس في الاسر من الحياءوالحب والوئام،اذمضت مايةوثلاثون سنةلم يحدث فيها أن رجلاهجر امرأته او امرأةهجرت زوجها لم يعرف سوى الخبراء من اليونانيين اسم أول قاتل لابيه، كما يعرف الرومانيون أن سبوريوس كارفيلوس أول من طلق امرأته على انه كان له من عقمها عذر . هذه شهادة السنوات التى تلت حادثةالسبى . وقد نجم الاتحاد عن ذلك ووزعت السلطة بين الملكين وسنت قوانين المدينة التى جرى عليها الشعبان . أما زواج تزيوس فانه على العكس من ذلك لم يجلب للاتينين صداقة ولا عهدا بل عداوة وحروبا وقتلا شنيعا : وقد انتهى بهم الى ضياع مدينة (افيدنس) ولم ينج اهلها الا بشق النفس واطراح انفسهم على اقدام اعدائهم ضارعين اليهم كانهم آلهة حتى

وثنوا هم واقالوهم من ان يصيبهم ما اصاب الترواويين بعد أن سبى اسكندر (١) هيلانه ولم تنج والدة تزيوس من الخطر اذ اصابها ما اصاب (هاكوبا) اذ تخلى عنها ابنها خيانة ، اذا لم تكن هذه الرواية خرافة كما يقال عنها وسواها من حوادث تزيوس على أن ما ينسب للآلهة من رعاية نحو تزيوس ورمولوس يجعل بينهما فارقا كبيرا : حمت الالهة رومولوس في ميلاده وكانت حمايتها ظاهرة بارزة في حين انه يظهر من نهى الالهة لايجيبه ان يغش امرأة على ارض غريبة . ان تزيوس جاء الى العالم بالرغم من ارادة الالهة :

(١) هو المعروف باسم باريس عندالبونانين

ليكورجوس

نحو سنة ٨٨٤ ق . م .

لاتسمع كلمة عن ليكورجوس المشرع الا وسمعت ماينافيها . فقد اختلفت الاقوال فى اصله واسفاره وموته حتى شرائعه والحكومة التى انشأها ، واشدها اختلافا ماقيل عن زمن وجوده . من الناس من يقول انه كان معاصرا لايفتيوس وانه عاهده على الهدنة ايام الالعاب الاولمبية . ومن هؤلاء الفيلسوف ارسطو ، مستشريدين بالقرص الذى يعرض فى اولمبيا وعليه اسم ليكورجوس ولكن امثال اراتوستنيم (١) وابرلودور (٢) الذين يحسبون الزمن باعتبار عدد ملوك اسبارطه يرجعون به الى عدة قرون قبل تلك الالعاب ويزعم « تيما » (٣) انه وجد اثنان فى اسبارطه بهذا الاسم فى ازمنة مختلفة وقد نسبت الى اشهرهما اعمال الاثنين ويقال ان اسبقهم عاصر هوميروس ، ويزعم البعض انهما تقابلا ، ويريدنا كسونوفون على الاعتقاد بقدم عهد ليكورجوس اذ يرجع حياته الى زمن المراقة والحقيقة ان اواخر ملوك اسبارطه كانوا من هذه الاسرة ولكنه قصد طبعا الاشارة الى خلفاء هرقل مباشرة على أنا بالرغم من هذه التناقضات التى يظهر التاريخ على سطحها سنعنى فيما نورده من سيرة ليكورجوس باقل الحوادث تناقضا على ماتسمح به رواية الثقاة

قال الشاعر سيمونيدان ليكورجوس لم يكن ابن ايمونوس بل ابن برتيانيس ويخالفه اكثر المؤلفين فى هذا القول كان والد دوس يدعى باتروكاس بن اريستوديم وخلف ولدا يدعى اريتون وهذا ، ولدا يدعى برتيانيس وهذا ولدا يدعى اينوموس رزق ولدا من امرأته الاولى دعاه بولتيكيتس وآخر من امرأته الثانية ديان اس دعاه

(١) مؤرخ وفيلسوف وشاعر عاش فى عهد بطليموس فيلوباتر (٢) لغوى له مؤلف دعاه المكتبة وكان معاصرا للمؤرخ السابق (٣) من صقلية وكان معاصرا للسابقين

ليكورجوس . ويزعم المؤرخ او تيخيداس أن ليكورجوس هو السادس من سلالة باتروكلس والحادى عشر بعدهرقل

كان سويوس اشهر اسلافه وفى عصره استعبد السبارطيون اهالى هيلوت ووسعوا اراضيهم باغتصاب جزء كبير من اراضى الاركاديين ويقال انه لما حاصر شديوس الكايتورين فى مكان صعب لاماء فيه قبل النزول عن الاراضى التى اكتسبها السبارطيون بشرط ان يسمحوا له ولرجاله ان يشربو من مياه النبع المجاور ، وبعد أن تبادل الجانبان الايمان جمع سويوس رجاله وأعلن فيهم انه يتنازل عن الملك لمن يمنع عن الشرب .فلم يقووا على ذلك وبعد ان شرب الجميع كان هو آخر من نزل الى النبع واكتفى بان رطب وجهه من مائه مستشهدا اعداءه الذين كانوا لايزالون هنالك.فاحتفظ بالاراضى بدعوى ان الجيش كله لم يشرب ولكن بالرغم من اعجاب الجميع به لم يعط اسمه لخلفائه بل دعوا لاريتتونيين كنسبة الى ابنه والسبب على ماأظن أن اريتيون أول من تراخى في سلطة ملوك سبارطه المطلقة تملقا للجمهور واكتسابا لرضاه

نشأ عن تسامح اريتيون ازدياد مطالب الشعب فكان خلفاؤه من الملوك موضع سخط الشعب كلما حاولوا ردعه بالقوة ، وموضع زراية كلما تراخوا مجاملة وضعفا . لذلك بقيت سبارطة زمنا طويلا فريسة للفوضى حتى ان احد الملوك وهو والد ليكورجوس ذهب ضحية بينما كان يفصل بين متشاجرين اصيب بطعنة سكين قضت عليه وترك الملك لابنه البكر بوليد كتيس فتوفي هذا بعده بقليل فكان المنتظر ان يتولى ليكورجوس الحكم والواقع انه صار ملكا لان احداً لم يكن يعلم ان زوجة اخيه حبلى ، ولما ذاع هذا الخبر قال ان الحكم من حق الطفل اذا كان ذكراً ولم يجر الاحكام الا بصفةوصيا. وكان من عادة السبارطين ان يدعو الوصى على الملك اليتيم قيما .

ارسلت اليه الأمل خفيةمن أفهمه أنه لو رضى بها زوجة وصار ملكا فانها تقتل

ثمرة احشائها . استفظع ليكورجوس لؤم طبعها ولكنه لم يرفض طلبها بل تظاهر بالموافقة قليلا أنه لا يرى حاجة للاجهاض فقد يؤذي الشراب المجهض صحتها ويعرض حياتها للخطر وانه سيجد متى ولد الطفل وسيلة للتخلص منه وبقي يأخذ هذه المرأة بهذه الحيل حتى جاءت ساعة الوضع فارسل اليها من بناته من يعينها على الوضع ويراقبها . فاذا ولدت بنتا سلمتها للنساء وان كان ابنا اسرعت باحضاره اليه مهما يكن لديه من الاعمال • ولدت ذكراً وكان ليكورجوس يتعشى مع القضاة عندما احضرت الامينات الطفل اليه . اخذه بين يديه وخاطب الحضور قائلا « أيها السبارطيون لقد ولد لنا ملك». وضعه على العرش الملكي ودعاه خاريلاوس (فرح الشعب) لشدة فرح جميع الحاضرين واعجابهم بعظمة نفس ليكورجوس وعدله .

لم يحكم ليكورجوس سوى ثمانية شهور ولكنه بقي موضع احترام مواطنيه يصغون له الطاعة وينفذون اوامره احتراما لفضائله ولأنه صاحب الأمر الملكي والقائم بالسلطة الملكية . ولكنه لم يخل من الحاسدين يبذلون جهدهم للأضرار بهذا الشاب ، لاسيما اقارب الوالدة التي ادعت أنها خدعت وقد أهان ليوتيداس ، شقيق الملكة ، ليكورجوس بلا حياء قائلا « اعرف جيداً انك ستتولى الحكم » اراد بهذه الفرية اتهامه واثارة الخواطر ضده حتى اذا أصيب الملك بأذى وقعت التهمة عليه ، وكانت الوالدة ايضاً تذيع مثل هذه المفتريات . فدفعه الحزن والخوف مما يخبئه القدر الى الابتعاد إتقاء هذه التهم واعتزم التجوال فى العالم حتى يبلغ ابن اخيه سن الرجولة ويكون له وريث .

سافر وكانت أول رحلاته الى كريت فاخذ يدرس انظمة البلاد ويحادث كبار رجالها . فاستحسن بعض القوانين وحرص عليها ليجريها فى سبارطة متى عاد اليها وتمكن برجائه وتودده من اقناع رجل هناك معروف بحكمته وعلوه السياسية أن يغادر كريت ويقيم فى سبارطه . كان هذا الرجل يدعى تالس لا يرى فيه

مواطنوه سوى شاعر ولكنه تحت ستار الشعر كان يؤدى فى الحقيقة مهمة المشرع العظيم . وكانت قصائده تحض على الطاعة والوئام ، بديعة النظم والتنسيق تملأ النفس قوة وايناساً . تلطف مزاج الجمهور وتوحى اليه حب الخير وتنفى روح البغضاء التى كانت تمزق شمل الاتحاد فمهد على نوع ما السبيل أمام ليكورجوس لتعليم وتهذيب السبارطيين

انتقل ليكورجوس من كريت إلى اسيا . ويقال إنه قصد برحلته هذه ان يقارن بين سذاجة ومروءة الكريتيين و بين ماانطوت عليه حياة اليونانيين وشهواتهم وترفاتهم كما يقارن الطبيب بين اجسام الاصحاء والضعفاء و يقدر الفارق بين اخلاق وحكومة هؤلاء واخلاق وحكومة أولئك . وهناك عرف لأول مرة قصائد هوميروس وكانت بين يدى خلفاء كليوفيل . و أدرك أن ماتنطوى عليه من آداب وسياسة لايقل قدراً عما فيها من طرائف الخيال وغرائب القصص . فاسرع إلى نسخها وجمعها وجعل منها مؤلفا واحداً حمله الى اليونان حيث كان بعض الشيء منها متفرقا ولكن ليكورجوس هو أول من اذاع شهرة ذلك الشاعر الكبير بين الناس و يعتقد المصريون أن ليكورجوس سافر إلى بلادهم وانه اعجب فيما اعجب به من انظمتهم وتفريقهم بين رجال الحرب والطبقات الأخر فنقل ذلك عنهم الى سبارطة حيث انشأ طبقة خاصة من الجنود والصناع وأوجد بذلك هيئة حكومية طاهرة نقية . و يزيد المؤرخون اليونانيون بعض الشيء فى رواية المصريين. أما سفر ليكورجوس إلى ليبيا وايبريا ورحلته الى الهند لمحادثة الرياضيين الروحيين فلا أعرف أحداً قال بها سوى اريتوقراطس السبارطى (١) ابن هيبوكرات .

عم الاسف السبارطيون لغياب ليكورجوس ورجوا اليه غير مرة ان يعود قائلين ان ملوكهم لاتختلف عن عامة الشعب الا بالقابهم ومقامهم ولكنهم يعرفون

(١) كاتب مجهول .

فيه قدرة طبيعية على القيادة وقدرة على اجتذاب الناس الى رأيه . وكان الملوك انفسهم راغبين في عودته آملين أن يزوع وجوده الجمهور عند الغواية والتمرد وقد وجد عند حضوره العقول مهيئة ، فبدأ بالقضاء على عوامل السوء وتغيير هيئة الحكومة اقتناعا منه بان القوانين الجزئية عديمة الجدوى وانه يجب أن يبدأ بمداواة الاجسام المشوهة المريضة ، وابادة طبائع الفساد بالعقاقير والاشربة وتغيير المزاج قبل رسم نظام جديد .

ولما قر رأيه على ذلك ذهب الى دلف لاستشارة الاله . وقدم اليه القرابين وعاد بذلك الوحي المعروف . حيث دعي صديق الآلهة وانه اله اكثر منه انسان يضاف الى ذلك ان ابولون اجاب سؤله . وانه سيمنحه القدرة على ايجاد قوانين صالحة . تمتاز بقوتها على جميع انظمة الشعوب وشددت هذه الوعود ساعد ليكورجوس فكاشف كبار المدينة والح عليهم في تعضيده . افضى بذلك سراً الى اصدقائه ثم اخذ يضم اليه شيئاً فشيئاً عددا كبيرا من مواطنيه ، عاهدوه على تنفيذ عزمه .

ولما حانت الفرصة المناسبة امر ثلاثين من كبار القوم ان يجيئوا مسلحين الى الساحة العمومية ارهابا لخصومه . وقد ذكرها رميبوس عشرين من اشهرهم . وكان بين اصدقاء ليكورجوس رجل يدعى ارثمیادس كانت له اليد الطولى في تنفيذ المشروع واقامة القوانين . خشي خار يلادس في بدء الحركة ان يكون مقصودا بأذى فهرب الى هيكل كالسيبوكوس ولما علم نيات كيلورجوس الحقيقية اطمأن الى الايمان التي اقسموها له وخرج من الهيكل ووافق على كل ما تم لانه كان بطبيعته ميالا للسلام . وقد اشار ارخلاوس زميله في الملك الى هذا الخلق المرضى بقوله لمن كان يثني على سلامة نية هذا الشاب « كيف لا يكون خاريلادس صالحاوهو يأبى القسوة حتى على الاشرار ؟ » .

ان اول واهم ماوضعه ليكورجوس من الانظمة هو مجلس الشيوخ . وهو كما

قال افلاطون.قوة تشارك الملوك في سيادتهم لتهذب من حيرتهم ولا يقل سلطان المجلس عن سلطان الملوك . يمد الحكومة في الاوقات العصيبة وسائل السلام ونصائح الحكمة . كان دأب الحكومة ان تسبح فى لجج من الاضطراب يميل بها الملوك الى الاستبداد و يجتذبها الشعب الى الديموقراطية . وقف مجلس الشيوخ بين هاتين القوتين المتعارضتين قوة ثالثة تحفظ التوازن بينهما ، و بذلك استقرت الحال واستقامت الشؤون .

كان الثانى وعشرون شيخا يعضدون الملوك كلما اقتضت الحال وقت تيار الديموقراطية و يعضدون حزب الشعب لردع الاستبداد عند الحاجة

يقول ارسطوا أن ليكورجوس جعل عدد الشيوخ ثمانية وعشرين لان اثنين من الثلاثين الذين اختارهم تولاهما الخوف وابتعدا عن المشروع . و يقول سفاروس (وله مؤلف فى احياة ليكورجوس وسقراط ومبحث عنوانه جمهورية اسبارطة) مؤكدا أن العدد الذى اختير من البدء هو ثمانية وعشرون . ولعله نظر فى ذلك الى خاصية العدد الناتج من ضرب ٧ فى ٤ وأن العدد ٦ هو العدد الزوجى الكامل لانه يساوى جميع اجزائه والرأى ان اختيارهم ثمانية وعشرين شيخا حتى اذا انضم اليهم الملكان كانت الجملة ثلاثين شخصا .

كان لهذا النظام في نظر ليكورجوس أهمية كبيرة حتى انه ذهب الى دلف يستوحى (و يترا) لهذه الهيئة خاصة وجرى الوحى كما يأتى « عند ماتقيم هيكلا لجو بيتر السيلانى ومنيرفا السيلانية وتقسم الشعب الى قبائل وفروع قبائل وتنشىء مجلسا للشيوخ مؤلفا من ثلاثين بما فيهم الملكان وتعقد المجلس كلما اقتضت الظروف بين بابيس وسناسيون حيث يقترح الشيوخ القوانين و يكون للشعب حق رفضها ؛ وهذه الاماكن تدعى الآن اوومونت ولكن ارسطو يقول ان الاول اسم جسر والثانى اسم نهر ومن عادة السبارطيين ان يعقدوا مجلسهم هناك حيث لا اعمدة ولا مبانى و يعتقد ليكورجوس أن هذه الزخارف لا تعين على تدبر الاراء

الصحيحة بل تضر بما توحيه من تخيلات عقيمة وكبرياء ونفخة لاولئك الذين اجتمعوا للمداولة فى الشؤون العامة . اذ يتلهون بالنظر الى التماثيل والصور والزخارف المسرحية وسقوف غرفة المجلس المتقنة الصنع

لم يكن لغير الشيوخ والملوك فى الجلسة العمومية حق الابتداء فى عرض موضوعات المداولة بل كان ذلك من حق هؤلاء فقط وللشعب السلطة التامة فى تقريرها . ولكنه حدث فيما بعد ان الشعب اخذ يفسد قرارات المجلس بالحذف والاضافة ؛ فاضاف الملكان بوليدور وثيونوتب الى الوحى العبارة التالية « اذا حاول الشعب احداث خلاف ، فعلى الملكين والشيوخ ان ينسحبوا » ومعنى هذا انهم لا يوافقون على القرارات وان يؤجلوا الجلسة و يلغوا قرارات الشعب لانها غير مشروعة وقد اقنعوا مواطنيهم ان هذه اوامر الاله والى هذا المعنى اشار الشاعر تيرته بقوله .

سمعوا الوحى من فم ابولون . ونقلوا الى وطنهم وحى الاله وهذه الكلمات التى لاريب فيها . يرأس المجلس الملكان المقدسان ، الساهران على مدينة سبارطة الهادئة يليهما الشيوخ ثم رجال الشعب . يؤيدون القرارات العادلة :

على هذا النحو أعد ليكورجوس الجمهورية ولكن حدث بعد عهده أن اصبح الثلاثون شيخا حكومة طائفة (اوليجارشيه) مطلقة تهدد الحرية العمومية بسلطتها التى لا حد لها فقيدت كما يقول افلاطون بسلطة النواب ، بعد ليكورجوس بثمانية وثلاثين سنة . وكان اتاتوس أول من عين نائباً وكان ذلك في عهد الملك تيوتب سمع الملك زوجته تعيب عليه أنه سيترك المملكة لاولاده أقل سعة مما كانت يوم استلامها . فاجابها إن الامر على عكس ذلك سأتركها لهم أعظم شأناً وأثبت قدما . والحقيقة أنه باطراحه عنها المزيد ، جعلها في مأمن من حسد الحاسدين وخطر المعتدين ولذلك لم يتعرض ملوك سبارطة لشيء من الهوان الذى أنزله أهالى مسين وارجوس بملوكهم لاستئثارهم بالملك وعدم ميلهم للتهاون فى شىء مما

مرضاة للشعب ، ولا شيء أدل على حكمه وبعد نظر ليكورجوس من اتقائه الاضطرابات والويلات السياسية التي نزلت بمسين وارجوس ملوكا وأهالى وهم من ذوى قربى السبارطيين وجيرتهم كانوا ينعمون فى أول عهدهم بما ينعم به هؤلاء وكان نصيبهم من الارض خير نصيب ولكن سعادتهم لم تستمر طويلا أساء الملوك السلطة وتمرد الشعب فاضطرت الانظمة وظهر فضل الآلهة على السبارطيين الذين كانت حكومتهم تسير بحكمة بين النظام والاعتدال على أن هذا الفضل لم يظهر الا فيما ولى من الايام .

والثانى من أنظمة ليكورجوس هو تقسيمه الاراضى . كان عدم التساوى بالغاً أشده لا يملك الكثيرون شيئاً ولا مورد لهم وهم سواد الوطنيين فى حين أن الثروة كلها مستفيضة بين أيدى نفر قليل العدد . عمد ليكورجوس رغبة فى اجتناب الاعتداء والحسد والبخل والفخفخة وما هو أضر منها بالحكومات أى الغنى والفقر الى اقناع السبارطيين بالنزول عن أراضيهم وتقسيمها من جديد وجعل كل الثروات على قدر واحد ومساواة تامة . تتولى الفضيلة وحدها توزيعها اذ لا فرق بين الناس الا باحتقارهم ما يخجل وحبهم للخير . نفذ المشروع فقسم ليكورجوس أراضى لاكونيا الى ثلاثين الف جزء لأهالى الريف وتسعة آلاف لاهالى سبارطة مراعاة لعدد السبارطيين الداخلين فى القسمة . ويزعم البعض أن ليكورجوس لم يزد عدد نصيب السبارطيين عن ستة آلاف ثم أضاف اليها الملك بوليدور الفا ويزعم البعض أن الاول وضع نصف التسعة آلاف والآخر النصف الثانى . وكان ينتج كل جزء سبعين مد (كيلة) من الشعير لكل رجل واثنى عشر لكل امرأة مع ما يناسبها من الاثمار السائلة (لعله يريد ما يستخرج منها من الشراب) وفى هذا القدر ما يكفى لحياتهم فى طمأنينة وصحة وما يسد حاجتهم وحدث بعد ذلك بسنوات ان ليكورجوس مر بلا كونيا وهو عائد من رحلته وكان ذلك ابان الحصاد واذ رأى أكوام الحزم مصفوفة صفوفا منتظمة ومتساوية قال

قال لاحد رفاقه « كأن حصاد لا كونيا ميراث تتقاسمه اخوة».

ولكي يقضى قضاء مبرما على جميع أسباب التفاوت بين الاهالى شرع في تقسيم الاموال غير العقارية . ولكنه رأى ان أصحابها لا تطيب نفوسهم لذلك فسلك طريقا أخر وهاجم الترف من سبيل غير مباشر . فبدأ بالغاء النقود الذهبية والفضية غير مجيز سوى النقود الحديدية وجعل القطع ثقيلة الوزن زهيدة القيمة بحيث أنه يلزم لوضع مبلغ عشرة « مين » (١) غرفة كاملة ولا يمكن نقلها الا على عربة يجرها ثوران . وكان تداول هذه العلة سببا لازالة كثير من المبادىء ومن يقبل أن يسرق نقوداً لا يمكنه اخفاؤها . أو يطمع في سرقة أو اغتصاب مالا يشتهى وما لو قطع أجزاء لا تصلح لشيء . ! لان ليكورجوس كان يغمس الحديد بعد احمراره فى الخل لتذهب عنه صلابته ولم يبد صالحا لغير ما وضع له لأنه يصير سهل الكسر تحت المطرقة

ثم الغى من سبارطه جميع فنون الترف الكمالية على أنه لو لم يلغها لاختفت مع العملة القديمة اذ لا يجد صناعها نفقات صناعتهم لان النقود الحديدية لم تكن لها قيمة بين الشعوب اليونانية الآخر ، يهزأون بها ولا يرغبون فيها ولذلك لم يستطع السبارطيون مشترى بضاعة من الخارج مهما يكن ثمنها زهيداً ولم ترس مركب تجارية فى موانيهم ولم تطأ أرض لا كونيا قدم سوفسطائى ولا عراف ولا سمسار عاهرات ولا جوهرى يتجر في الذهب والفضة . ولما جرد الترف مما يزكيه و يغذيه ذبل من تلقاء نفسه ولم يكن لاصحاب الاموال ميزة على الفقراء ولم يكن لاموالهم منفذ بين الجمهور فيبقونها مكدسة فى بيوتهم عاطلة بلا فائدة لذلك اتقنت صناعة الادوات الضرورية مثل الاسرة والمقاعد والموائد وكان ذلك سبباً لذيوع شهرة الكوز اللاكونى . ذلك الكوز سهل الاستعمال لاسيما الجنود فى المعارك ، لونه يخفى قذارة المياة التى يضطرون احيانا لشربها وقد يقرفهم

١ المين مائة دراخمة والدراخمة أقل من الفرنك الفرنسى ببضع سنتمات .

منظرها ، وتحجز اسلاكه الداخلية ما يرسب فى الاناء من الوحول فلا يصل الى الفم سوى المصفى والفضل فى ذلك للمشرع لأن الصناع لما تركوا صناعة مالا ينفع انصرفت همتهم الى اتقان الضرورى

اندفع ليكورجوس فى اضطهاد الترف والقضاء على شهوة المال فانشأ نظاما ثالثا من أجمل ما يكون . وهو نظام الطعام العام . الزم الوطنيين أن يأكلوا جميعاً معاً وأن يتغذوا من لحوم واحدة ومن الاطعمة التى تبيحها القوانين . وحرم عليهم تناول الطعام فى منازلهم أو اقتناء الاسرة الناعمة والموائد الفخمة فلا يجعلوا أنفسهم تحت رحمة صناع الفطائر والطهاة وان تسمن أبدانهم فى الظلام شأن الوحوش النهمة والحقيقة أن فى ذلك افساد للعقول والاجسام واطلاق سراح الشهوات والدعارة . ثم الاضطرار الى النوم الطويل والحمامات الساخنة والبطالة الدائمة والتزام عيشة المرضى . هذه مسألة عظيمة الشأن ولكن نتيجتها أعظم . ذلك أنها جعلت الاموال فى أمان من السرقة أو كما يقول ثيوفراست أقل من أن تشتهى ، أو كأنها صارت لا شيء بتلك الولائم المشتركة والموائد البسيطة ولم يكن فى وسع أحد أن يبذخ أو يباهى بشىء لأن الفقير والغنى يشتركان فى غذاء واحد فكانت سبارطة بذلك هى المدينة الوحيدة تحت الشمس التى حق عليها مايقال أن بلوتوس (١) ، أعمى مضطجع على الارض بلا حياة ولا حركة كأنه تمثال ، لم يسمح لاحد أن يأكل فى بيته قبل الميعاد ويحضر الولائم المشتركة شبعان

وكانت الرقابة شديدة على من يمتنع عن الشراب والطعام مع الآخرين يعيبون عليه علانية ترفه وضعفه عن تناول الاغذية التى يجب أن يتقاسمها الجميع

وكان هذا أشد أنظمة ليكورجوس اغضابا للاغنياء فاجتمع منهم عدد كبير وصاحوا صيحات الغضب والاستياء ضده ولما تساقطت الحجارة حول ليكورجوس من كل جانب فر من الساحة العمومية وأسرع بالالتجاء الى هيكل ولم يلحقه أحد

(١) آلة الثروة

ولـكن فتى يدعى الـكاندر سليم النية ولكنه حاد المزاج أصر على تعقبه واذكان ليكورجوس يلتفت اليه ضربه الفتى بالعصى فقلع عينه . لم تفت هذه الضربة فى عضد ليكورجوس بل تقدم الى مواطنيه مرفوع الرأس وأراهم وجهه داميا وعينه مفقوءة فتولاهم الخجل والخبل أمام هذا المنظر وسلموا اليه الـكاندر ثم ساروا به الى بيته مواسين متأسين وبعد أن شـكرهم على صنيعهم وصرفهم ، أدخل الـكاندر إلى منزله ولم يسىء إليه ولا أنبه على فعلته بل أمر خدمه بالانصراف وعهد اليه أن يقوم بخدمته. فقام الفتى وهو طيب العنصر بجميع أوامره دون أن يفتح فاه واذكان دائم القرب من ليكورجوس يراقبه كل يوم يشهد منه العطف والدعة والانفة والدأب على العمل بلا ملل أحبه حبا جما وكان يقول لمعارفه وأصحابه ان ليكورجوس أبعد الناس عن القسوة والـكبرياء وانه الين الناس عريكة والطفهم خلقاً هكذا انتقم ليكورجوس لنفسه من الـكاندر بأن جعل من ذلك الفتى الغضوب العنيد رجل حكمة واعتدال ثم أقام تذكاراً لهذه الحادثة هيكلا للالهة مينرفا الاوبتيلية (العينية) لان أهالى هذه البلاد يدعون العين « أوبتيل » ويقول البعض و بينهم ذيوسكوريد (١) الذى الف كتابا عن جمهورية سبارطة . أن ليكورجوس جرح ولم تفقأ عينه فاقام هيكلا للالهة تذكاراً لشفائه ومذ هذه الحادثة لم يحمل السبارطيون عصا فى مجتمعاتهم

كان الـكريتيون يدعون هذه الولائم العمومية اندريا ولـكن السبارطيون كانوا يدعونها فيديتا ولعلها فيليتا (الاخاء) لمـا كانت تدعو اليه من الصداقة والرعاية ولعلها من اريتيا وهي كلمة يونانية معناها الاكل وكن يجتمع على المائدة الواحدة خمسة عشر شخصا أو اقل أو اكثر وعلى كل ان يقدم فى الشهر مديمن (٢) دقيق وثمـانية كونج (٣) من الخمر وخمسـة ارطال من الجبن . ورطلين ونصف

(١) يحتمل ان يكون هو الذى بقى من مؤلفاته ستة كتب فى المادة الطبية كان يعيش فى القرن الاول تاريخنا

(٢) المديمن يساوى ٥٩٠ ر٥١ لترا (٣) الـكونج ٣٣٧ ر ٣ لترا

رطل من التين ومع هذا نقود المشترى اللحم . اما اذا كان احد الوطنيين يقدم ضحية او ذهب للقنص فعليه ان يرسل الى الوليمة المشتركة باكورة الضحية أوجانبا من غنيمته لانه كان مباحا لمن يقدم ضحية أو يقتنص ان يأكل في بيته من ضحيته أو غنيمته وما عدا ذلك كان الكل ملزما ان يحضر الولائم العمومية. بقي السبارطيون زمنا طويلا حريصين على هذا النظام ولكن الملك اجيس طلب عند عودته من حمله فنهر فيها الاثنين نصيبه ليتعشى مع زوجته فأبى الزعماء عليه ذلك . اهمل اجيس لشدة حنقه اداء التقدمة المعتادة فحكموا عليه بغرامة

كانت الاطفال تحضر هذه الولائم العمومية يؤخذون اليها كأنهم يؤخذون الى مدرسة زهد وقناعة . هناك يسمعون الاحاديث السياسية ويتمرسون بطباع الاحرار. وهناك يتعلمون كيف يمزحون فى خفة وكياسة وكيف يسخرون بلا فحص وكيف يحتملون السخرية . صفات يحسبونها حقيقية بالسبارطي أما الذى يضيق بها ذرعا فما عليه الا ان يشير بوقفها فتنقطع.ومن عاداتهم ان اكبر الحضور سنا يقف وهو يشير الى الباب ويقول لكل ضيف « لاتخرج كلمة من هنا »ومن عاداتهم الا يقبل وطنى فى الوليمة المشتركة الا برضى الآخرين. تجرى الموافقة عليه على ما يأتى يطوف عبد بأناء يلقى فيه كل من الحضور قطعة من لباب الخبز مستديرة وهى علامة القبول أو مبسوطة علامة عدم الموافقة وواحدة من هذه كافية لرفض قبول الطالب لانهم لا يريدون قبول من لا يرضى عنه الجميع وكانوا يدعون المنبوذ « كادا» نسبة الى « كادوس » الوعاء الذى يوضع فيه فتات الخبز

ومن اشهر اطعمتهم الشربة السوداء اذا اكل منها الشيوخ ذهبت شهيتهم للحم يتركونه للشباب ويأكلون الشربة فرحين . يقال ان احد ملوك البونت اشترى عبدا سبارطيا يصطنع له الشربة ولما ذاقها الفاها كريهة فقال له الطباخ ايها الامير لا يستطيب هذا الطعام الا من استحم (اغتسل) فى الايروتاس ! ! وبعد ان يشرب الجميع قليلا من الخمر ينطلقون تحت جنح الظلام دون ان تنار

الطريق امامهم لتعوديهم الا ولاج بجرأة وثبات جأش فى الظلام هـذا هو نظام الولائم العمومية

لم يكتب ليكورجوس شرائعه بل من سننه مايحرم كتابته الشرائع فمن رأيه ان اقوى واعظم مايجعل الشعب سعيدا وحكيما هو ما كان فى اخلاقه وعاداته اذ تكون المبادىء ثابتة لايزعزعها شيء لان اساسها الارادة وهى اقوى من كل اكراه لذلك تمتزج بروح الشباب اثناء التربية وهى الشريعة الاولى للحياة . اما العقود وهى اقل من هذه شأنا فلا تعنى الا بالوجهة الفقهية فانها تتغير بتغير الحاجة فمن الصالح عـدم اخضاعها لاساليب مكتوبة أوعادات تتبدل بل يجب ان يترك للاختيار يزيد عليها أو ينقص منها على مقتضى الظروف فليكورجوس كان يجعل التربية الغاية الجلى التى ترجع اليها جميع الشرائع لذلك رأيناه كما تقدم يحرم تدوينها وله ضد الترف امر آخر الا يستعمل في تسوية السقوف واراضى البيوت سوى المطرقة ولا فى تسوية الابواب سوى المنشار .ليس غير. قال اباميننونداس بعد ذلك بزمن طويل فى حديث عن المائدة « لاموضع للخيانة مع غذاء كهذا » وقال ليكورجوس من قبل فى هذا المعنى .لاموضع في بيت كهذا للترف والكماليات . والحقيقة هل يمكن ان يتجرد انسان من الذوق وسلامة الطبع فيضع فى بيت بسيط بل خشن سريرا ذا قوائم فضية ، و بساطا ارجوانيا أو اوانى ذهبية أو مايلائمها من عدة البذخ ؟ الا يرى الانسان على العكس من ذلك ان يلائم بين البيت وما فيه ، و بين الغطاء والسرير و بين جميع الاثاث ؟ . والى هذه البساطة ترجع كلمة ليوتخداس القديم . رأى وهو يتعشى في كورنت سقف الغرفه كثير الزخرف فسأل مضيفه هل في بلاده اشجار ذات اربع الوان

ويروى عن ليكورجوس امر ثالث وهو تحريمه على مواطنيه اطالة الحرب مع عدو بعينه لئلا يستبسل و يتمرس لفنون القتال و يعتاد مقاومة الاعداء . لذلك

يعيبون على الملك اجزيلاس موالاته الحملات على البيوتى حتى تمرس الطيبيون بالحروب ووقفوا فى وجه السبارطين ؛ لذلك قال له انتالسيداس اذ رآه جريحا «انك تنال من الطيبيين الجزاء العادل عما علمتهم . لم يكونوا يرغبون في الحروب ولا يعرفون شيئا من فنونها ، فعلمتهم ضروبها» وكان ليكورجوس يدعو اوامره الثلاث هذه (وحيا) كأنها مراسيم وحى املاها الاله ابولون لاقتناعه ان تربية الاطفال اجل واجل اعمال المشرع واقومها عدة تتولاهم منذ نشأتهم الاولى بماسن من القوانين للزواج والميلاد . اما ماورواه ارسطو عن ليكورجوس فلا نصيب له من الحقيقة. زعم أن المشرع السبارطى حاول اصلاح المرأة ثم عدل عن ذلك لانه لم يستطع كبح جماح النساء أو الاقلال من الحرية التى أباحها لهن ازواجهن اذ كان هؤلاء ملزمين الابتعاد عن منازلهم لاشتغالهم بالحروب. تركوا ادارتها للنساء فاستفحلت سيطرتهن حتى كانوا يدعونهن « سيدات »، والحقيقة أن المشرع جردهن من كل ما كان لهن من شأن . أراد تقوية عضلات البنات بالمران على الجرى والقتال ورمى الرمح والسهام لكي تكون أطفالهن اقوياء المنبت شديدى الاصلاب يشبون شجعاناً ويحتملن الوضع بلا خوف ويقابلن آلامه بشجاعة . أبعد البنات عن رخاوتهن وتربيتهن فى ظلال الحياة الناعمة مما أضعف جنسهن . عودهن الظهور عاريات امام الجمهور كالشبان ، والرقص والغناء فى الحفلات امامهم وعلى مرأى منهم فكانت الفتيات تشهد مسابقات الشبان توبخ من اخطاء وتثنى على من أصاب ، فكانت بذلك تؤخز الشبان بمنخاس ذى حدين تثير فيهم التنافس فى حب الخير وحب الفضيلة . فمن نال منهن مديحا واحس بالشهرة بينهن عاد مفاخرا بثنائهن كذلك كانت واخزاتهن لغير المفلحين اشد آلاما لنفوسهم من التوبيخات العلانية . لان الحفلات لم تكن قاصرة على الوطنيين بل كان يشدها الشيوخ والملوك أنفسهم . ولم يكن فى تعريهن شيئاً من الخجل إذ كان لهن فى الفضيلة والحياء حمى . ولم يكن أحد يفكر فى

سوء ؛ بالعكس كان لهن من ذلك اعتياد البساطة والعناية باجسامهن وسمو قلوبهن إلى مافوق عواطف جنسهن إذ يرين أنفسهن قادرات على مساواة الرجل ومشاطرته المجد والفضيلة. لذلك يحق لجميع نساء سبارطة إن تفكر و تقول مايعزى إلى جورجو زوجه ليو نيداس . إذ قالت لها أجنبية « انتن نساء سبارطة وحدكن تسيطرن على الرجال » فاجابتها « ذلك لانا وحدنا نلد رجالا »

وكان من مثيرات الشهوة للزواج سير البنات عاريات في المواكب وقيامهن بالتمرينات الرياضية تحت أنظار الشبان الذين يحسون أنفسهم منجذبين اليهن لا بدافع « هندسى كما يقول افلاطون بل بدافع الغرام وزاد ليكورجوس في ذلك المعنى حتى جعل العزو بة عاراً . يحرم على العذاب حضور هذه الحفلات و يضطرهن الحكام أيام الشتاء ان يطوفوا الساحة عريانين ينشدن وهم سائرون أناشيد ضد أنفسهم منها أنهم يعاقبون بعدل لعدم طاعتهم الشرائع . ويحرمون عدا ذلك من الاحترام الواجب على الشبان للشيوخ . لذلك لم يلم أحد ما قيل للاعزب درسيليداس رغم كونه من مشاهير القواد . ذلك انه دخل على جماعة وكان بينهم شاب لم يقف له احتراما « ليس لك ولد يقف لى احتراما . »

والعادة عند الزواج ان يختطف الشاب زوجته على ان لا تكون طفلة ولا دون البلوغ ، بل رشيدة صالحة للزواج . ومتى اختطفها سلمها الى مساعدة الاعراس فتقص شعرها وتلبسها ثياب وحذاء رجل ، وتنيمها على طبقة من اوراق الشجر وتدعها وحدها بلا نور ؛ يأتى الشاب غير مخمور ولا منهك القوى بملاذ ، بل في اعتداله العادى بعد تناول طعامه في الوليمة المشتركة ، ينسل الى جانب خطيبته ويحل حزامها ويحملها الى فراشه . يقضى معها وقتا قصيرا ثم يعود فى وقار الى الغرفة التى اعتاد النوم فيها مع الشبان يستمر على ذلك زمنا يقضى نهاره وليله مع رفاقه لا يذهب لمشاهدة امرأته الا حذراً ، كأنه يختلس ذلك اختلاسا يخجل ان يراه أهل البيت ، تعينه المرأة من جانبها بمهارتها على اختلاس الفرص المناسبة

لزيارتها سراً ، وقد تستمر هـذه الحالة زمنا طويلا حتى انه ليحدث ان يصير الازواج اباء قبل ان يروا نساءهم على ضوء النهار . لم يكن من شان هذه العلاقات مران الزوجين على القصد والحكمة فقط . بل تبقى لاجسامهم قوتها وخصبها وتحفظ نشاط الجدة الاولى وتجدد الحب وتمنعهما اشباع شهواتهما التى ينهك الافراط فيها . الرغبات والقوى ، اما اذا افترق الزوجان على ما قدمنا بقيت فى نفس كل منهما بقية من لهب الغرام ودافع للحب والعطف .

لم يكن ليكورجوس بعد ان سن للزواج هذا الحياء وذلك الحذر اقل اهتماما بتعطيل فكرة الغيرة الكاذبة المتخنثة التى تحدث الشجار والاضطراب في الحياة الزوجية اباح الشركة في الاولاد لمن اراد ، ومن ارائه انه تجب السخرية بمن يريدون جعل الزواج ميزة شخصية لايشاركهم فيها احد ، ينقمون ممن يعتدى عليهم فيه بالغدر والحرب . جعل من المباح لشيخ تزوج من فتاة غضة الشباب ان يدخل اليها فتى شريفا يحترمه ويحبه ، وان يعترف بمن يولد له من دم زكي كابن له. كذلك يباح للرجل المتأنق الذى يولع بجمال حسناء متزوجة ذوات اولاد ان يطلبها من زوجها ليغرس فى تلك النبعة الخصبة ، ويلد اولادا اقوياء يمنحهم كبار النفوس دماءهم والقابهم . ذلك ان ليكورجوس كان يعتقد ان الاولاد ليسوا لابائهم خاصة بل جميعهم ملك الدولة ، لذلك اراد ان لا تكون الابناء نسل أول قادم بل الاكثر جدارة من الرجال . لم يكتف بذلك بل كان يسخر من حماقة وكبرياء ماسنه المشرعون الآخرون للزواج ، قال فى ذلك ، انهم يبحثون لكلباتهم وافراسهم عن خير الكلاب واكرام الخيول يتوسلون الى اصحابها بالرجاء والاموال ويحجرون على نسائهم يحتمون عليهن الا يكون لهن ابناء الا من بعولتهن ولو كانوا اغبياء، عاجزين ، مرضى . كأن ليس من الحزن للاباء والمربين قبل غيرهم ، ان يكون لهم ابناء ضعفاء سلالة اباء ضعفاء ، وكان ليس من السعادة ان يكون لهم ابناء اقوياء يشبهون اباءهم فى القوة وسلامة البنية .

كان ليكورجوس يستمد قوانينه من الطبيعه والسياسة . لم يحمل نظامه النسوى السبارطيات على التساهل ، با كثر مما كن عليـه فقد قيل ان الزنا لم يعرف في سبارطة يستشهدون لذلك بعبارة قالها جراردس احد قدماء السبارطين . سأله اجنبي ماهو عقاب الزاني فى بلادكم ؟ فاجابه جراردس لازنا في بلادنا . — قال الاجنبي واذا حدث ؟ . فاجابه يلزم الزاني بثورطويل العنق يستطيع ان يشرب من نهر اوروتاس وهو فى اعلى تايجت فقال الاجنبي ، وكيف يحصل على ثور فى مثل هذا الطول ؟ فاجابه جراردس ضاحكا وكيف يوجد في سبارطة زنا . ؟ . هـذا مايقرر التاريخ عن نظام الزواج .

لم يكن الوالد حرافي تربية ابنه ، كان عليه أن يحمله الى محل يدعى «لسنشه» حيث تجتمع مشايخ كل قبيلة لفحصه فاذا كان سليما قوى البنية أمروا بتغذيته وخصوه بجزء من التسعة آلاف نصيب التى قسمت اليها الاراضى ، أما اذا كان ضئيلا نحيلا أمروا بطرحه فى جفوة قريبة من جبل تايجت تدعى » أبوتت » لا يرون فائدة من بقائه لاله ولا للدولة اذ خلق ضعيفاً مقضيا عليه بالحرمان من الصحة والقوة . ولـكي تمتحن النساء سلامة الاطفال لا تغسلهم بالمياه بل بالنبيذ لان المصروعين والمرضى من الاطفال لا يحتملون حمام الخمر ، بل يذبلهم ويميتهم ولـكن تزيد متانة الاصحاء وتقوى أعصابهم ، من ثم تتولى المرضعات تغذيتهم بطريقة فنية ، لا تشدهم فى قماط بل تدع جميع أعضائهم طليقة حرة . تظهر هيئاتهم على طبيعتها . يتعلمون منهن الا يتأثر ون من طعام وأن يقنعوا بالبسيط منه . وان لا يهابوا الظلام أو العزلة . لا صياح ولا تهييج ولا بكاء فما هذه سوى علامات الضعف والجبن . لذلك كان الاجانب يشـترون المرضعات السبارطيات لتربية أبنائهم . ويقال أن اميكلا التى أرضعت السيبياد الاثينى كانت سبارطية . ولـكن افلاطون يقول أن بريكاس خص ذلك الشاب بمرب من العبيد يدعى زو بير لا يمتاز عن أمثاله بشيء . أما ليكور جوس فقد أبى أن يعهد

بأبناء سبارطة الى عبيد تشترى بالمال ولا الى مربيين من المستأجرة.

لم يكن الانسان حراً فى أن يربى ويعلم ابنه على ما يريد : تؤخذ الاطفال متى بلغت السابعة ، وتقسم صفوفا تتلقى تربية مشتركة على نظام واحد . يعودونهم اللعب والعمل معا ، ويرأس كل صف اذكاهم وأبسلهم فى القتال تتجه اليه أنظاره يطيعون أوامره ويحتملون ما يأمر به من عقاب بلا تذمر . وهذه التربية كانت تعودهم الطاعة ولا شك . كانت الشيوخ تحضر العابهم وتحدث بينهم أسباب الخصام والعراك ليروا حقيقة أخلاقهم ويتبينوا جرأتهم، واذا كانوا لا يهربون من القتال . لا يأخذون من العلوم الادبية الا الضرورى وما بقى فمحصور فى تلقينهم الطاعة ، واحتمال المتاعب بشجاعته ، والانتصار فى المعارك . وكلما تقدموا فى السن أخذوهم برياضة أشد ، يحلقون لهم رءوسهم ويعودونهم السير بلا أحذية واللعب معاً أكثر الوقت عريانين .

ومتى بلغوا الثانية عشر ، لا يلبسون جلبابا بل يعطى لكل منهم رداء فى السنة ويبقون قذرين لا يستحمون ولا يتعطرون الا فى أيام معدودة يسمح لهم فيها بتذوق هذا النعيم . ينام كل فريق فى غرفة على فراش من القش يصنعونه بايديهم من أطراف العيدان التى تنمو على شاطىء نهر الاوروناس . يجنونها ويقطعونها بايديهم دون ان يستعملوا حديدا . وفى الشتاء ينامون على هذا القش مضيفين اليه بعض الشىء من الفحم القطنى وهو مادة مدفئة . وفى هذا السن تتطلع أعين العشاق الى المتازين . وتزداد عليهم رقابة الشيوخ . يلازمونهم فى العابهم ومعاركهم ؛ يقوم الشيوخ بذلك لا كتأدية واجب بل بحرص وعناية كأنهم أباء ومعلمين ومهذبى جميع الاطفال ، لا يخلو الولد فى وقت ولا مكان يرتكب فيه خطاه الا وجد من يوافيه ويعاقبه . يضاف الى ذلك أن معلمى الاطفال يختارون من خير الناس.

ويختار هؤلاء من كل فرقة أوفر شبانها عقلا وشجاعة على أن يكونوا قد تجاوزوا سن الطفولة بسنتين . يتولى زعيم الفرقة وهو فى العشرين من عمره قيادة

فرقته فى القتال ويستعمل أفرادها أيام السلم فى خدمة الموائد. يكلف الكبار احضار الاخشاب والصغار احضار الخضروات والبقول ، يسرقون مايحضرون سواء بتسلقهم أسوار الحدائق أو انسلالهم الى أماكن الموائد العمومية بمهارة وحذر . ومن أوخذ منهم عوقب على اهماله و بلادته. يسرقون مايسيطعون سرقته من اللحوم و يفتنون في اغتنام الفرص ، يسرقون النوام والغافلين عن الحراسة يعاقبون من يقبض عليهبالجلد والحرمان من الاكل ، ولا يأكلون عادة إلاقليلا. لانهم مضطرون للحصول على حاجاتهم بأنفسهم ، فالجرأة والحيلة من لازماتهم الضرورية . وهذا هو الغرض الاولى من الاقلال في اطعامهم ، وهناك سبب أضافى وهو أن الاجسام تطول قامتها متى كانت الاعضاء غير متعبة باستهلاك أطعمة تعطل نموها طولا ولا تسمح لها إلا بالنمو عرضاً . فكانوا ينمون بسهولة خلقهم وتطول قاماتهم بلا عائق ولا معطل . و يظن البعض أن ذلك من دواعى الجمال ، لان الطبائع الرقيقة المرنة تلائم قوانين القوام المعتدل الجميل ، اما التى يثقلها السمن والافراط في الطعام فتفسد الجمال . وقد لوحظ أن الاولاد الذين تشرب والداتهم شراباً مطهراً اثناء الحمل يكونون اجمل خلقة لان المادة التى تتألف منها اجسامهم خفيفة ، وقابلة للتكيف . وأولى بنا أن لانجزم فى هذا الموضوع برأى خاص فلندعه لغيرنا يبحثه بحثاً وافياً .

واليك حادثة تدل على شدة خوف الاطفال من افتضاح سرقاتهم . سرق احدهم ثعلباصغيراً واخفاه تحت ثوبه ، وصبر على ذلك الحيوان يمزق بطنه باظافره واسنانه دون أن يبدوا الولد صيحة الم ومات فى الساحة العمومية حريصا على سره لانرى فى هذه الحادثة شيئا من الغرابة اذا اعتبرنا حالة شبان سبارطة اليوم ، فقد رأيت غير مرة شبانا يموتون صامتين تحت سياط الجلاد ، على مذبح « ديانا اورتيا . »

كان الزعيم بعدالعشاء وقبل الانصراف عن المائدة يأمر احد الاطفال ان يغنى ،

و يلقى على غيره اسئلة . كان يسأله من هو خير رجال المدينة . وما رأيه فى عمل ما . و بذلك يعودون الاطفال من صغرهم على الفصل بين الصالح والطالح . وتعرف اخلاق الوطنيين لان التردد فى الجواب على سؤال مثل : من هو الوطنى الصالح ! ومن هو سيء السمعة . ؟ كان فى نظر السبارطين دليلا على النذالة وفقدان العواطف التى تحث على حب الفضيلة . وكان من الواجب ان يشفع الجواب بسببه ، والدليل عليه بايجاز في كلمات مهذبة جلية . اما الجواب المهمل فكان جزاوه العقاب وهو أن يعض الزعيم ابهام (اصبع) المجيب وكان العقاب يحدث غالبا بحضور الشيوخ والحكام ليتأكدوا اذا كان العقاب الذى يوقعه الزعيم عادلا وفى دائرة اختصاصه ام لا . لايعرضون له اثناء توقيع الجزاء بل يدعونه حتى ينصرف الطفل فيعاقبونه بدوره اذا كان قد قسى فى المعاقبة او تراخى فى اجرائها .

وكان العشاق يشاركون الاطفال الذين يعشقونهم فيما يصيبهم من عار او مجد و يقال ان طفلا وهو يقاتل آخر صاح صيحة دالة على عدم الشجاعة فحكم القضاة على عاشقه بغرامة . كان العشق فى سبارطة طاهراً ، وكانت الشريفات من السيدات تتعشق بناتا ، اما الغيرة فلم تكن معروفة بين السبارطين .

كان العشق نوعا من الصداقة تربط بين المتعاشقين . يتنافسون فيما بينهم ايهم يجعل حبيبه أكثر مروءة وفضلا .

كانوا يعودون الاطفال على أسلوب من الكلام حاد وقارص في ملاحة ورقة يتضمن معان كثيرة فى كلمات قليلة . رأينا ليكورجوس يجعل النقود قطعاً ثقيلة من الحديد لاقيمة لها . ولكنه في النقد البيانى عمد إلى العكس . أراد أن تكون الكلمات قليلة ولكنها ذات معان دقيقة وأفكار قيمة . كانوا يطبعون الاطفال على الصمت الطويل و يجعلون همهم فى مناقشاتهم وفرة المعانى فى قليل من الكلام ، لئن كان الافراط فى الفحش يضعف اعصاب الانسان وينهك قواه فكذلك الهذر فى القول يجعله مبتذلا ساقطاً خالياً من المعنى . سخر اثينى يوما ملم

اجيس ملك سبارطه ، من سيوف السبارطين القصيرة قائلا « ان المصارعين يبتلعونها بسهولة على مسارح الالعب » . فأجابه اجيس ، « وبهذه السيوف القصيرة نصيب أعدأنا عن بعد . » ورأيي أن خطب السبارطين على ايجازها واضحة الغاية اشد وضوح ، سريعة النفوذ إلى عقول السامعين .

كان ليكورجوس ذاته قصير العبارة جلي المعنى ، يدلنا على ذلك ما بقي من اجوبته ، ومنها عبارته عن شكل الحكومة . اشار عليه بعضهم أن يقيم الديموقراطية في سبارطه فاجابه « ابدأ باقامتها في بيتك . » ومنها كلمته في الضحايا سئل لماذا لم تأمر إلا بتقديم ضحايا صغيرة قليلة القيمة فأجاب « ليكون لنا دائماً ما نكرم به الآلهة . » وقوله عن المصارعة الرياضية . « لم احرم على مواطني سوى القتال الذي تمتد فيه الأيدي . » يذكرون له أجوبة غير هذه جاءت في رسائله الى مواطنيه مثل جوابه على سائل سأله . كيف نستطيع دفع غارة الاعداء . ؟ فكان جوابه ، متى كنتم فقراء ، لا يطمع احدكم في نصيب أوفر من نصيب سواه . وقوله عن الاسوار ، « ما من مدينة بلا سور متى كان سياجها لا الطوب بل قلوب الشجعان . » على أنه لا يمكن الحزم بنفي أو اثبات هذه الرسائل وغيرها بلا تردد .

اما بغض السبارطين للخطب الطويلة فدليلنا عليه العبارات التالية

كان انسان يكثر في غير مناسبة كلمات لا تخلو من معنى فقال له الملك ليونيداس « ما اقدرك على وضع الكلمات الطيبة في غير موضعها » . وقيل لخاريلاوس لماذا لم يسن ليكورجوس سوى قليل من الشرائع . » فقال لانه يلزم قليل الكلام قليل من الشرائع وعيب على السوفسطائي هيكاتيه الذي اجيز له الاشتراك في الموائد العمومية ، عدم تفوهه بكلمة فقال ارخيداميداس « ان من يعرف مواضع الكلام يعرف ايضا متى يجب الكلام هذه من طائفة من اجوبتهم القارصة التي تزينها اللياقة كما قدمنا . — تضايق وامارات من اسئلة متنطع في غير موضعها كان يكرر سؤاله من هو خير السبارطين فاجابه « اقل الناس شبها لك » اثنى بعضهم امام اجيس على

عدالة احكام الآلين في اعياد اولمبيا فقال « من اعجب العجب ان يعدل الامبون يوما كل خمس سنوات .باهى اجنبي باخلاصه للسبارطين قائلا أنهم فى بلدنا يدعوننى صديق السبارطين فقال ثيونوتب ليتهم يدعونك صديق مواطنيك .
— نعى احد كتاب اثينا على السبارطين جهلهم فقال بلستونا كس « صدقت نحن الوحيدين الذين لم نأخذ عنكم مايضر » وسئل ارخيداميداس كم عدد السبارطين؟ فقال عددنا ايها الصديق كاف لطرد الاشرار . »

ولو تتبعناهم في هزلهم لرأيناهم قد اعتادوا حتى في ذلك الا ينطقوا سخفا او يأتوا الكلام على غير هدى ، اقترح على سبارطى ان يذهب لسماع رجل يقلد البلبل ، فقال « لقد سمعت البلبل ذاته. » وقال بعضهم بعد تلاوة البيتين التالين « بينما كانوا يطفئون الظلم افترسهم مارس الجبار » « هلكوا عند ابواب سالمانت » . « حق عليهم الهلاك كان يجب ان يدعوا الظلم يحترق . » وعد شاب ان يعطى ديكة يقتل بعضها بعضاً في العراك بينها . فقال لا اريدها اعطونى ديكه يقتل وهي تدافع عن نفسها . » ورأى أحدهم أناسا محمولين على حمالة فقال « معاذ الله أن أكون فى موضع لا أستطيع منه النهوض احتراما لشيخ . » هذه صراحتهم فى عباراتهم على أنه قد قيل بحق ان ايجازهم فى المران الجسدى كان أقل منه فى حب الحكمة .

كان ولعهم بالغناء والشعر الغنائى يعادل طلبهم الرقة والهناء فى اللغة . كان فى شعرهم ما يثير الشجاعة و يوحى الحماسة و يحمل على جلائل الاعمال اسلوبه بسيط قوى ومواضعهم جدية كفيلة بتكوين الاخلاق يطرى من ماتو فى سبيل سبارطه و يذم من أظهروا الجبن يصور حياة هؤلاء بين الاحزان والتعاسة وكان معشما بين ما يلائم كل سن حاثا على التقدم الى الفضيلة اواظهار ما يحسن أن يتجمل به الانسان . و يحسن بى أن أذكر بيانا لهذا المعنى كانوا يقيمون فى الاعياد ثلاث فرق غنائيه مختلفة من حيث الاسنان فكان الشيوخ يقولون. « كنا

فتيانا وشجعانا . » فتجيبهم فرقة الشبان « ونحن اليوم كذلك (شبانا وشجعانا) اقترب تربا ندر » وتقول فرقة الاطفال « ونحن سنكون يوما كذلك . وأوفر شجاعة . »

واذا القينا نظرة عامة على شعر السبارطين وقد وصل الينا بعضه ، وعلى الالحان الحربية التى كانوا يرتلونها وهم سائرون لملاقاة العدو لرأينا أن تربا ندر و بندار لم يخطئا الصواب عند قولهم ان الشجاعة ترافق الموسيقى . قال الاول عن سبارطه . : هناك تزهر شجاعة الجنود والانغام الشجية والعدالة حامية المدن . . . وقال بندار « هناك مجلس الشيوخ وفوارس الحروب ، يدهم على الرماح . وفرق المرنمين والاغانى والاعياد . » كلاهما يمثل لنا السبارطى شديد الولع بالموسيقى والحرب . والحقيقة أن هناك شيئان متعادلان ، هزات الرماح ودقات المزاهر . كما قال الشاعر السبارطى .

كان الملك يقدم قبل الموقعة قربانا لاله الموسيقى تذكيرا للجنود بما تلقوه من التربية وماسوف يحكم به عليهم ولتبعث فيهم الحمية فيخوضون المخاطر ويقومون بجلائل الاعمال . وفى هذه الحالة يتسامحون مع الشبان فيما يقتضيه النظام من الشدة ، يباح لهم ان يعنوا بشعورهم وثيابهم واسلحتهم . وان موقفهم كالجيادة الفتية تنتظر المعركة لمن اشهى ماتتوق النفس الى رؤيته حيث تبرق عيونهم جرأة وكبراً وتزداد عنايتهم بتنسيق شعورهم قبيل اقتحام الخطر على انها موضع اهتمامهم منذ الشباب واضعين نصب عيونهم قول ليكورجوس ان الشعور الطويلة تزيد الجمال هيبة والقبح رهبة . كانت تمارينهم فى المعسكرات اخف منها فى ميادين الرياضة وحياتهم الين وافسح فالشعب السبارطى هو الشعب الوحيد الذى يجد في الحرب راحة من عناء المران والاستعداد للحرب .

ومتى اصطف الجند للقتال ولاقى العدو وجها لوجه ، نحر الملك عنزة وامر الجند بلبس التيجان والموسيقيين ان يرنموا على المزمار لحن كاستود وهو ذاته يغنى نشيد الحرب ايذانا بابتداء الهجوم . ومن المناظر التى تجمع بين الجلال

والرهبة ، مرأى الجنود تسير بخطى منتظمة على نغمات المزمار ، كل فى صفه لايخرج عنه.ولا اثر للخوف في نفوسهم يقتحمون الخطر باقدام ثابتة و وجوه طلقة تخدرهم الانغام الموسيقية. والحقيقة ان رجالا تسير بهم امثال هذه العواطف لايمكن ان يخامرهم خوف ولا يساورهم غضب ؛ ان صدورهم ملأى بالثقة والامل والجرأة معتمدين على حماية الألهة .

كان الملك يتقدم الى العدو ومعه مقاتل على راسه تاج ويكون ممن فازوا فى الالعاب اليونانية ، ويحكي لهذه المناسبة ان عرض على مصارع سبارطى مبلغ جسيم ليتخلص عن المصارعة فى الالعاب الاولمبية فابى ، و بعد أن صرع خصمه وقد شاقه مشاقة طويلة ، ماذا استفدت ايها السبارطى من انتصارك ؟ فقال باسما . « اصحب الملك فى ميدان القتال »

متى تغلبوا على العدو وا كرهوه على الفرار ؛ لايتعقبون الهار بين الا الى حيث يتأكدون النصر و يقفون لاعتقادهم ان ليس من المروءة ولا من الشهامة ولا مما يخلق بشعب يونانى ان يتعقب ويقتل اناسا اعترفوا بالهزيمة وولوا الادبار

وهذا مسلك يجمع بين الفائدة والنبالة اللائقة بالنفوس الكبيرة ، يرى الاعداء انهم يقبضون على من يقاومهم ويبقون على الهار بين فيؤثر الفرار على المقاومة .

زعم هيبياس السوفسطائى (١) ان ليكورجوس كان محاربا عظيما وانه قام بعدة حملات . و يعزو فيلوستفانوس (٢) ان ليكورجوس تقسيم الخيالة الى دوائر يؤلف كل منها من خمسين فارسا وتكون مربعا . ولكن دمتريوس الفالارى يدعى ان ليكورجوس لم يحمل السيف وانه وضع نظام حكومته ايام السلم ومن

(١) من اليس ومعاصر السقراط ، وقد سخر افلاطون فى محاوراته من ادعائه العلم بكل شيء
(٢) مؤرخ وجغرافى ولد فى سيرين وعاصر بطليموس فيلادلفوس .

المؤكد ان ايجاد فكرة « الهدنة » ايام الالعاب الاولمبية دليل على رقة خلقه وميله للسلام ومع كل فان هرمنتوس يروى عن بعض الكتاب ان ليكورجوس لم يكن يفكر فى ذلك اولا ، ولم يقل عنه شيئا لايفيتوس ، ولكنه حضر الالعاب اثناء رحلاته متفرجا ، حيث سمع خلفه صوت رجل يعيب عليه فى استنكار عدم الزامه مواطنيه الاشتراك في عيد حافل كهذا ، التفت ليرى مخاطبه فلم يجد أحدا . وقع فى روعه ان هذا تنبيه من الالهة فقصد ايفيتوس ونظم معه معدات الاعياد فزادها بهاء وضمن استمرارها زمنا طويلا .

كان نظام التربية فى سبارطة يخضع لقوانينه الرجال الكاملين لاتبيح لاحد حرية العيش على مايريد . وكانت المدينة اشبه شيء بمعسكر يعيش فيه الاهالى على مانصت عليه القوانين لكل عمله فى الحكومة . وكلهم يعيشون على فكرة انهم ليسوا ملك انفسهم بل ملك الوطن . ومتى كانوا غير مأمورين بعمل وليس لديه عمل تولوا مراقبة الاطفال وتعليمهم مايفيد ، او انقطعوا الى تعليم انفسهم يأخذون العلم عن الشيوخ ، فمن خير ما احسن به ليكورجوس على مواطنيه ، اخلاؤهم من العمل واكسابهم الوقت الطويل بفضل ما حرم عليهم من الاشتغال بالاعمال الرابحة حيث جعلهم فى غير حاجة عمل يحصلون به ثروة وقد صار المال لاشى اوشيئا حقيرا . كان الهيلوتيون يقومون لهم بتفليح الارض ويدفعون لهم خراجا معينا . كان سبارطى في اثينا يوم قضاء فسمع ان قد حكم على رجل لانه كان عاطلا . فلما عاد مع رفاقه الى منزله قال « اين ذلك الرجل الذى يحكم عليه لانه يعيش عيشة الرجل الحر . » الى هذا الحد بلغ احتقارهم للفنون والصناعة ، وجمع الاموال . خرجت القضايا والخاصمات من سبارطة يوم خرجت الاموال ، وهذا امر طبيعى اذ لم يكن هناك ثراء ولا فقر . فضت المساواة على الفاقة ، واجتلب التقشف الخصب . لم يكن هنالك سوى

المراقص والولائم ، والتلهي بالصيد والقنص والمران على الالعاب الرياضية والمحادثات العامة لايذهب الذين بلغوا الثلاثين من العمر الى الاسواق بل يقوم بقضاء حاجاتهم زووقرباهم او معشوقوهم ، اما الشيوخ فكانوا يخجلون من ضياع الوقت فى شأن كهذا ، يقضون بياض نهارهم في الالعاب الرياضية أو اماكن الاجتماع حيث يتجاذبون اطراف الحديث عن الفضائل غير مفكرين فى تجارة ولا ثروة . حديثهم اطراء الاعمال الصالحة رذم الطالحة فى اسلوب يجمع بين النقد والاستفادة .

لم يكن ليكورجوس عبوسا فقد قال عنه سوسيبوس (١) انه صنع بيده تمثالا صغيراً للضحك ، اراد به ان لا تفارق المشاشة الولائم المشتركة والالعاب فتكون ملحا يصلح مزاج العمل والمجتمعات . ارادان يعود مواطنيه الا يشعروا العزلة أو يعرفوها ، بل يكونون كالنمل داعى الاتحاد للمصلحة العامة . ملتفين حول رؤسائهم خارجا عن زواتهم فى نوع من الانشراح لالهى وحب المجد مما ينعش النفوس فكانوا جميعا للوطن . تعرف ذلك مما يرى عنهم من الاحاديث ، لم يفز بادارتيه بالانتخاب ضمن الثلاث مائة فعاد من الاجتماع جزلان راضيا لانه يوجد فى سبارطة ثلاثمائة خير منه . كان يرز بسيستراتيداس بين الموفدين الى قواد الفرس فسألهم هؤلاء ، هل انتم موفدون من قبل رئيسكم أو من قبل جمهوريتكم ؟ فاجابه إذا نجحنا فنحن موفدون من قبل جمهوريتنا والأفمن قبل رئيسنا . » جاءت جماعة من امفيبوليت الى سبارطة لزيارة ارخيلونيوس والدة برازيداس فسألتهم هل مات ابنها شجاعا خليقا بابن سبارطه ، فاطراه الاجانب قائلين ان ليس في سبارطة كلها اشجع منه ، فاجابتهم الوالدة ، لاتقولوا هذا ايها الاصدقاء كان ابني شجاعا ولكن في سبارطة كثيرون خير منه واشجع . »

قلنا ان ليكورجوس انتخب رجال مجلس الشيوخ (السينا) من بين الذين عاونوه فى عمله ثم سن بعد ذلك شرعة مؤداها انه اذا توفي شيخ انتخب بدلا منه

(١) نحوى من سباطة عاش فى عهد البطالسة الاول .

اوفر الوطنيين فضلا ممن تجاوزوا سن الستين. وكان التنافس معركة من امجد المعارك فى العالم وخير ماتبذل فيه جهود المتنافسين لم يكن القصد انتخاب انشط النشطاء ولا اقوى الاقوياء بل احكم الحكماء وافضل الفضلاء ، يستمتع المنتخب طول حياته باجر الفضيلة ، وهو السيادة التامة المطلقة فى الحكومة ، يحق له التصرف فى حياة وسمعة الاهالى اى فى اهم مصالحهم واليك تفصيل عملية الانتخاب

يجتمع الشعب في الساحة العمومية ويجتمع المختارون (المرشحون) في بيت مجاور لا يرون احدا ولايراهم احد ولكنهم يسمعون هتاف الجماعة لان الشعب كعادته يعطى صوته عاليا . ولا يرى المرشحون سوى المكتوب على لوحة الدرجات الاول والثانى والثالث وهلم جرا . ولا يدخل المتنافسون الى الساحة دفعة واحدة بل يجتازونه الواحد بعد الاخر صامتين فمن كان موقن كان الهتاف له اكثر واقوى كان المنتخب فيتوج باكليل من الزهر ، ثم يذهب الى الهيكل يقدم الشكر للالهة يمشى خلفه جماعة من الشبان يثنون على شمائله ويطرون فضائله ، ثم طائفة من النساء تنشد الاناشيد تهنئة بحياته الفاضلة . ثم يعد له كل من اصحابه طعاماً ويقول له ان المدينة تكرم فضله بهذا الطعام ، وبعد ان يزورهم جميعا يعود الى الساحة العمومية حيث يقضى الشؤن . عادة . غير أنهم يعدون له طعامين (حصتين) يترك احداها وبعد تناول العشاء تحضر ذات قرباه يقفن عند ابواب الساحة فيدعو اكثرهن احتراما فى نظره يقدم اليها الحصة الثانية قائلا ، أعطيت هذا جزاء الفضيلة وبهذه الصفة اقدمها اليك » فتصحبها النساء الى منزلها وتكون هى ايضا موضعا للحفاوة والتكريم .

ولا تقل شرائع ليكورجوس عن الموتى والحيازات حكمة عن سواها. فلكي يبعد الاوهام عن العقول لم يحرم دفن الموتى فى المدينة ولا اقامة المقابر بالقرب من الهيا كل فعود بذلك الشبان رؤية الموت وحال بينهم وبين الفزع من مشهده وتوهم الدنس من لمس الجثة أو الطواف حول المقبرة ولم يسمح بدفن شيء مع الميت ،

انما يكفن في قماش أحمر وورق الزيتون ؛ وحرم كتابة الاسماء على المقابر الا أسماء الذين يموتون فى ميدان القتال أو المرأة المكرسة لعبادة دينية . جعل ليكورجوس مدة الحداد احد عشر يوما وفى الثانى عشر يذهبون لاداء التقدمة للالهه سيرس فينقضى الحداد . ولذلك لانه لم يرد بقاء القوم عاطلين زمنا طويلا . اذ كان دأبه ان يجمع بين أداء الواجب الضرورى والتشجيع على الفضيلة وتقبيح الرذيلة . لم يدع رواية في المدينة دون ان يقيم فيها الأمثلة والقدوات الصالحة يقتدى بها الوطنيون اذ يرونها نصب عيونهم على الدوام تجتذبهم بقوتها القاهرة الى الخير وتفرغهم في قالبه .

اما حرمان مواطنيه السفر والطواف فى العالم فلانه كان يخشى عليهم ان يجتلبو عادات البلاد الاخر والأمثلة السيئة أو يرون فى الحكومة رأيا غير رأيه . لقد فعل أكثر من ذلك ، طرد من سبارطة جميع الاجانب الذين أتوا اليها لغير مصلحة . لم يكن منه ذلك ، كما زعم توسيديد خوفا من ان يقلدوا حكومته أو يتمرسوا بالفضيلة بل كان ذلك منه خوفا من ان يكونوا فى سبارطة معلمين للرذيلة . والحقيقة انه لا بد من ان يدخل مع الدخلاء فى المدينة اراء جديدة ، ومع الآراء الجديدة ، وجهات نظر جديدة ، ولا تلبث هذه ان تلد أهواء ورغبات توقع الاضطراب فى النظام كما تحدث الأصوات الناشزة عند الغناء اضطرابا فى الاداء والتوقيع . لذلك رأى ليكورجوس انه تجب صيانة المدينة من الاخلاق الفاسدة بعناية أكثر مما يلزم لابعاد المرضى والموبوئين عنها .

يوجد فيما قدمنا أثر للظلم أو القسوة التى يعيبونها على شرائع ليكورجوس . يقولون انها صالحة لايحاء الشجاعة ولكنها قليلة الفائدة فى اقامة العدل . ولعلهم يقصدون مايدعونه فى سبارطة الغدر (أو الاغتيال .) اذ كان ذلك مما سنه ليكورجوس على مازعم ارسطو الذى ادعى أفلاطون استياءه من حكومة المدينة ومشرعها .

وتفضيل هذه الشرعة ان الحكام كانوا يرسلون أشد الشبان حذرا وقوة يقطعون الطريق فى المزارع غير مسلحين الا بالخنجر والمؤنة . يتفرق الشبان نهاراً ويختفون فى أماكن بعيدة عن الانظار ، يستريحون فيها حتى اذا جن الليل يخرجون وينتشرون فى مفارق الطرق يذبحون من يلاقونه من جماعة الهيلوت . وقد يغيرون نهاراً على المزارع يقتلون أشد الهيلوتين بأساً . قال توسيديد فى تاريخ حرب البيلوبونيز ان السبارطين اختاروا عدداً كبيراً من رجال الهيلوت الممتازين بشجاعتهم لتحريرهم وتوجوهم باكاليل الزهر وساروا بهم الى الهياكل ليقدموا واجب الشكر للآلهة على ماأصابوا من الحرية ؛ وحدث بعد ذلك ان اختفى أولئك المحررون وكان عددهم ألفين . لم يقل لنا أحد فى ذلك العصر ولا فيما بعده كيف ماتوا . و يقولون أيضاً وارسطو يؤيد القائلين ان النواب عند استلامهم مهام الحكم يبدأون باعلان الحرب على الهيلوتين حتى لايعد قتلهم رجساً . وان السبارطين كانوا يعاملونهم حيناً وجنوا باقسي مايكون من القسوة . كانوا يكرهونهم على الافراط فى شرب الخمر ومتى ثملوا ساقوهم الى ساحة الطعام العمومية ليرى الشبان ماهو السكر . وكانوا يكرهونهم على ان يغنوا ويرقصوا أغان ورقصات وقحة مزرية ويحرمون عليهم كل ماتحتوى عليه هذه الملاهى من خير وشرف . ويقال أيضاً انه حدث بعد ليكورجوس بزمن طويل أيام حملة الطيبيين على سبارطة ان الهيلوتين أبوا ان يغنوا شيئاً من شعر تارباندر والكيمان ، وسبانلدون السبارطى لان سادتهم حرموا عليهم ذلك .

وعليه يكون أجلى ما توصف به حكومة كهذه ، ان أحرارها كانوا على أسمى ما يكون من الحرية وعبيدها فى أدنى ما يكون من العبودية . أما أنا فرأيى أن السبارطين لم ينزلوا الى هذا الدرك من القسوة الا بعد ليكورجوس بزمن طويل . اشتدت وطأة القسوة بعد الزلزال الخطير الذى حدث ٤٨٩ سنة ق . م . انتهزه الهيلوتيين فرصة للثورة فنهضوا لها بالاتفاق مع المسينين

وقد أنزلت هذه الثورة بالبلاد شر الويلات وعرضت المدينة لاشد الاخطار.على انى لا أستطيع ان أنسب لليكورجوس بدعة هذا الضرب الاثيم من العذر، فنى أحكم عليه حسب أخلاقه ودعته وعدله ، تلك الخلال البارزة فى مسلكه وهى التى شهدت لها الآلهة .

ما لبست روح الانظمة الجديدة ان انتظمت أخلاق الوطنيين فتوطد دعائم الحكومة الى درجة تستطيع معها البقاء والاحتفاظ بكيانها . قال افلاطون ان الله لما أتم خلق العالم سر سروراً عظيما عند ما رآه يتحرك حركته الاولى . كذلك سر ليكورجوس سروراً عظيما عند ما رأى جمال وخلال شرائعه تسير وحدها وافية بالغاية التى قصد اليها . حينئذ أراد أن يضمن لها جهد المستطاع بقاءاً خالداً وسلامة لا تشوبها شائبة . جمع مواطنيه كلهم وقال لهم انه أنشأ هذه الحكومة كما يحب لسعادتهم ودوام فضائلهم ولم يبق إلا نقطة واحدة ، هى في الحقيقة أهم ما سبق . ولكنه لا يريد احداثها قبل استشارة وحى ابولون . حثهم على صيانة الشرائع بكل حرص وأمانة لا يغيرون فيها ولا يبدلون حتى يعود من دلف متعهداً بتنفيذ ما يأمر به الاله ؛ عاهدوه على الطاعة التامة واستعجلوه فى الرحيل. اخذ ليكورجوس اليمين على الملكين والشيوخ والشعب أن يحرصوا على الحكومة التى أنشأها ثم سافر الى دلف . ولما وصل الى الوحى وقدم التقدمة الى الاله سأله اذا كانت شرائعه صالحة لسعادة السبارطين وانماء الفضيلة بينهم ، فاجاب ابولون أن شرائعه عظيمة جديدة وان سبارطة ستبقى أشهر المدن مادامت حافظة للانظمة التى وضعها ليكورجوس ؛ كتب ليكورجوس جواب الوحى وارسله الى سبارطه ، ثم أدى تقدمة أخرى وعانق أصحابه وابنه وارتضى ان يموت حتى لا يتحلل مواطنوه من قسمهم . كان فى تلك السن التى يكون فيها الانسان من القوة بحيث يستطيع الحياة ، ومن النضوج بحيث يستطيع الموت اذا أراد . رأى جميع متمنياته محققة على وجه التقريب فامات نفسه جوعامعتقداً ان موت

السياسى أوفر فائدة لمواطنيه من حياته العاطلة.

هنا مجال فسيح للنظر فى هذا الموقف العظيم للفضيلةوالعمل . رأى ان يتم سعادته بعد ما قام به من جلائل الاعمال بالموت . رأى أن يحفظ لمواطنيه الذين أقسموا أن يحرصوا على شرائعه حتى يعود ، دوام ما اجتلب لهم مدة حياته .

لم يخب ظنه فقد بقيت سبارطة في المقام الاول بين مدن يونان متفوقة بفضل حكومتها الحكيمة متحفظة بمجدها مدة الخمسمائةسنة التى حرمت فيها على شرائع ليكورجوس . لم يحدث أحد من الاربعة عشر ملكا الذين تلوه فى الحكم من المشرع الى أجيس بن أرخداميس تغيراً ما فى الشرائع لان النواب لم يتهاونوا فى شأن من شؤون الحكومة بل ازدادوا حرصاً على صيانتها .وكان فى ذلك الخير كل الخير للشعب . ولكن قوة الارستوقراطية أخذت فى النمو أيضاً. فى عهد اجيس تسربت النقود إلى المدينة ومعها البخل والجشع . وفى ذلك العهد اجرى ليزاندور فى وطنه محبة المال والترف ؛ ولوانه لم يكن يسمح لنفسه أن تستهويها شهوة الذهب . وانتهى الأمر بان تغلبت الاموال التى عاد بها من الحرب على شرائع ليكورجوس . اما أيام احترام سبارطة تلك الشرائع فكانت اشبه ببيت عاقل حسن النظام منها بمدينة تسودها الحكمة .أوكما يقول الشعراء عن هرقل أنه طاف العالم لابساً جلد أسد وبيده « زقلة » يطهره من أولادالخنا والطغاة الظالمين ، كذلك كانت سبارطة برسالة صغيرة وطاقية حقيرة تملى إرادتها على جميع بلاد اليونان فتدين لسلطانها طائعة . تقوض اركان الظلم والاستبداد اللذين يرهقان المدن ، تحكم فتبطل الحروب والفتن ؛ وكثيراً كان يحدث ذلك دون أن تجرد سيفاً أو تدبر ترسا ؛ لايكلفها ذلك سوى ارسال سفيريخضع الجميع لارادته كما يعمل النحل متى رأى ملكه يسرع اليه و يصطف حوله . فما أعظم ما كان لسبارطه من هيبة وما اشتهر عنها من عدل !

يدهشني بعد ماتقدم ان يقال بأن السبارطين لايعرفون سوى الطاعة ، أما القيادة فلا . انى أفهم مايعلقون من خط على كلمة الملك تيو نوثب ، قيل أمامه يوماً أن سبارطة محتفظة بتمامها لان ملوكها يعرفون كيف يقودون . فقال تيونوثب « الاولى أن يقال أن الوطنيين يعرفون كيف يطيعون . » إن الشعوب على ماازى؛ لاتخضع طويلا لمن لايعرف كيف يقودها . إن طاعة الرعية ثمرة علم الراعي. فمن احسن القيادة حسنت له الطاعة. وكما أن الغرض من رياضة الخيل هو كبح جماحها واخضاعها للشكيمة ، كذلك الغرض من السياسة الملكية هو افراغ الشعب في قالب الطاعة.

لم يخضع السبارطيون الشعوب لارادتهم فقط بل كانت الامم تتنازع شرف رياسة أحدهم عليها يخضع لامره . لم يطلب منهم الا جانب سفنا ولا مالا ولا جيوشا ، بل قائداً سبارطياً . ومتى فازت به امة تقدمته اليها الهيبة والرهبة . على هذا خضع الصقليون لزعامة جيليب ، والكاليديون لزعامة برازيداس ، وجميع يونان اسيا لزعامة ليزاندر وكاليكراتيداس واجزيلاس . كان القواد السبارطيون يدعون حكام ومصلحي شعوب وملوك العالم . كانت سبارطة سيدة العالم في فنى الحياة الطيبة والحكمة. وهذا مادعا ستراتونيكوس (١) إلى إلقاء عبارته الساخرة. « على الاثينيين ان يحفلوا بالاسرار والاعياد الدينية ، وعلى الالبيين ان يقيموا الالعاب العمومية التى برعوا فيها واذ أخطؤا تولى السبارطيون جلدهم . » كلمة اراد بها الضحك . ولكن انتستين السقراطى (٢) قال فى جد إذ رأى الطيبين يفاخرون بانتصارهم فى ليكثر ، انهم يشبهون تلاميذ يباهون بضرب معلميهم .

لم يكن من هم ليكورجوس ان يجعل سبارطة على رأس جملة شعوب لاعتقاده ان سعادة المدينة كسعادة الفرد ثمرة الفضيلة والنظام . قصد إلى ذلك واحسن

---

(١) مؤسس المذهب الكلى ومعاصر افلاطون .
(٢) موسيقى اثينى معروف بنكاته وملحه م

الوضع بحيث جعل الاهالي وهم احرر مكتفين بانفسهم يحرصون جهد استطاعتهم على الفضيلة . عنه أخذ أفلاطون وديوجنوس وزينوت وجميع المؤلفين السياسيين واراءهم السياسية ولكنهم لم يتركوا سوى كتب وخطب . اما هو فقد أخرج للعالم ، لافي الكتب ولافي الخطب ، ، بل في دائرة الحقيقة جمهورية لامثيل لها . واقنع الذين يدعون ان الرجل الحكيم على ماحدده الفلاسفة لا وجود له ، انهم مخطيئون : لذلك فاق مجده بحق جميع امجاد مؤسسي الجمهوريات في يونان .

لذلك قال ارسطوا ان السبارطين لايفون ليكورجوس مايستحق من التكريم وان كانوا يكرمونه تكريماً خارقاً للعادة . أقام له السبارطيون هيكلا يؤدون له التقدمات كل سنة كأنه اله . ويقال أيضاً أنه لما احضرت رفاته الى سبارطه انقضت الصاعقة على قبره ؛ ولم يحدث هذا لغيره من العظماء سوى اوريبيد الذى مات بعد ذلك بزمن بعيد فى مقدونية ، ودفن بالقرب من اراتوس ؛ وهذه شهادة مجيدة وفي بها المعجبون به لانها ميزة انفرد بها وحده بعد موته كافرس واعز رجل على الآلهة .

يقول البعض أن ليكورجوس مات في جبرها ؛ يقول أبولوتنيس (١) أنه نقل إلى أوليد ، ويؤكد تيما (٢) وارستوكسين (٣) أنه ايامه في كريت وان الكريتين يدلون على قبره بالقرب من الطريق الكبير ويقال أنه ترك ابنا وحيدا وهو انتيوروس ومات بلا عقب فكان آخر أسرته . أقام أصحاب وأهل ليكورجوس عيداعاما يحيون به ذكراه ، بقي زمناغير قليل . يدعون أيامه باسمه « الليكورجوسية » ويقول اريستوكرات بن هيبارك (٤) أنه لما مات ليكورجوس فى كريت أحرق

١ كاتب مجهول . ٢ لعله تيما التوروموينى الذى سبقت الاشارة اليه . ٣ له ثلاث مؤلفات فى الموسيقى نشرت باسمه فى مجموعة مايبوسيوس . وله مؤلف فى سير الفلاسفة . ولد سنة ٣٥٠ ق م . وكان تلميذا لارسطوا . ٤ مؤلف غير معروف

الأهالى جثته وذروا رمادها فى البحر بناء على وصيته . لانه ان تعاد رفاته الى
سبارطة فيتحلل السبارطيون من ايمانهم بحجة أنه عاد فيغير شكل حكومته هذا
ما يعرف عن ليكورجوس .

نوما

من سنة ٧٥٤ الى سنة ٦٧١ ق. م.

تتناقض الاقوال فى زمن حكم الملك نوما على ان السلالات متصلة اليه من جيل الى جيل. حقيقة ان كاتباً يدعى كلاوديوس يؤكد فى مؤلف له عنوانه مناقشات فى الازمنة. ان جميع السجلات ضاعت ايام اغار الغاليون على روما وان الموجود منها مختلق اصطنعته ايدى البعض رغبة فى اثبات سلسلة انسابه الى قدماء الرومانيين ليفسحوا لانفسهم مكانا فى منازل العظماء. يقال ان نوما كان صديق فيثاغوروس. ويقال انه لم يكن يعلم شيئاً من الآداب اليونانية؛ ولان الطبيعة وحدها هى التى كونته وحملته على التزام الفضيلة. واذا كان قدتلقى العلم والادب على استاذ فيجب ان ينسب هذا الشرف الى رجل من البربر (الاجانب) أعلى كعباًمن فيثاغوروس ويؤكد البعض ان فيثاغوروس لم يوجد إلا بعد نوما بزمن طويل يقدر بخمسة أجيال على الاقل. ولكن فيثاغوروس السبارطى الذى أحرز قصب السبق فى الالعاب الاولمبية للدورة السادسة عشر للتى حدث فيسنتها الثالثة انتخاب نوما. قام برحلة الى ايطاليا وصار صديقاً للملك وأعانه على تنظيم شؤون مملكته. هذا سبب ماتراه من لانظمة السبارطية خلال النظم الرومانية. ولكن النصائح التى تعزى الى فيثاغوروس هذا قد تكون هى انها أتية الى نوما عن طريق أصله السابى لان السابيين يزعمون انهم سلالة جالية سبارطية. على انه من المتعذر ضبط الزمن؛ لاسيما اذا أردنا تطبيقه على الدورات الاولمبية التى أنشأها أخيراً هيبياس الاليسى ولا يستند الى وثيقة حقيقية ثابتة. ومع كل سنروى ماوجدناه عن نوما جديراً بالذكر وفى الموضوع ذاته مايدلنا على بدايته.

في السنة السابعة والثلاثين لبناء روما وحكم رومولوس وفي السابع من شهر يوليه وهو اليوم المعروف الآن بيوم العذارى السكا براتية. ذهب رومولوس الى خارج المدينة ليؤدى تقدمة عامة بالقرب من غدير المنزة يصحبه جميع رجال مجلس الشيوخ والشعب كله تقريباً. تغير الجو فجأة تغييراً غريباً. انتشرت على الارض غيمة كثيفة مظلمة وهبت رياح عاصفة فكانت زوبعة مخيفة. استولى الرعب على الجمهور فتفرقوا بددا واختنق رومولوس وسط هذه العاصفة ولم يجدوا حتى جثته. اشتدت الشبهة ضد الشيوخ وجرت الاشاعة بين الناس؛ انهم ملوا الخضوع لسيطرة ملك فعملوا على التخلص منه ليستأثروا بالحكم. فى الواقع ان رومولوس كان قد مال عليهم وعاملهم بالقسوة والاستبداد ولكنهم كسروا حدة هذه الاراجيف بتقديمهم الى رومولوس التقدمات الالهية واقناع الشعب بأنه لم يمت وانه ينعم بحياة أوفر سعادة. وأكد لهم برو كولوس وهو من أكثر رجالهم شهرة مقسما أغلظ الايمان أنه رأى رومولوس صاعداً الى السماء متقلدا اسلحته وانه سمعه يأمرهم بان يدعوه كيرنيوس.

ولكن مسألة انتخاب ملك جديد أوقعت المدينة فى الاضطرابات والفتن لم يكن الاجانب قد امتزجوا بالوطنيين. وقع الخصام بين الاهالى وتفرقت كلمة الشيوخ كل يسيء الظن بالاخر. كان الكل مجمعين على ضرورة وجود ملك ولكنهم مختلفون في من ينتخبون، ومن أية أمة من الامتين يختارونه. رأى الذين اشتركوا مع رومولوس فى تأسيس روما أنه من الظلم أن يدعى السابيون السيطرة على شعب دعاهم لمشاركته فى المدينة وأراضيها. ويقيم السابيون البراهين التى لا تقل قيمة عن هذه بقولهم إنهم بعد موت تاتيوس ملكهم لم يشقوا عصا الطاعة على رومولوس بل تركوا له الحكم هادئاً مطمئنا وعليه يجب لهم فى مقابل ذلك ان يختار الملك منهم. يضيفون الى ذلك أنهم يوم جاءوا الى روما لم يكونوا أقل قدراً من الرومانيين. وانهم زادوا فى قوتهم زيادة كبيرة وجعلوه

زيادة كبيرة وجعلوه من مدينتهم تلك المدينة القادرة القاهرة ولكن الشيوخ خشية اضطراب الحال اتفقوا فيما بينهم أن يتولى كل منهم الحكم واحداً بعد واحد يقدم التقدمات المعتادة على ما كان يفعل روموليوس وان تكون مدة حكمه ست ساعات نهاراً وست ليلا . رضى الشيوخ بهذا الاتفاق لتداول السلطة بين أيديهم و يرى كل شيخ في كل نهار وفي كل ليلة وطنياً وملكا فتزول أسباب الغيرة و يطلق الرومانيون على هذا العهد (عهد ما بين الحكومتين)

لم ينج الشيوخ بالرغم من اعتدالهم وتقربهم للشعب من الريب والظنون والتذمر ضدهم . اتهمهم الشعب بتحويلهم الحكومة الفردية الى حكومة جماعة وانهم يضمرون عدم انتخاب ملك ليبقوا الحكم بين أيديهم . فتفق الفريقان اتقاء هذه الظنون ان يعين أحدهما ملكا يختاره من الفريق الآخر . هذه هى الطريقة التى ظن أنها خير ما يصلح الحال ، تحمل الملك المنتخب على العدل لعطفه على الفريقين يعطف على هذا الذى اختاره مدين له بالملكية وتعطفه على الآخر لحمة القرابة . ارتضى السابيون أن يقوم الرومانيون بعملية الانتخاب ورأى الرومانيون أن خير لهم أن يعينوا سابيا يختارونه هم من أن يقبلوا حكومة رومانيا ينتخبه السابيون . وبعد المداولة قر قرارهم على اختيار نوما بونبليوس ، ولم يكن من السابيين الذين أقاموا فى روما ولكنه رجل أذاعت فضائله شهرته بين الجميع بحيث أن السابيين هتفوا عند سماعهم اسمه أكثر من الذين انتخبوه . أعلن الانتخاب الى الشعب وأرسلوا وفداً من الفريقين الى نوما يرجوا اليه المجيء لاستلام أزمة الملك .

كان نوما من كوريس وهى احد مدن السابيين الشهيرة اخذ منها الرومانيون والسابيون الذين اكتسبوا حقوق الوطنية الاسم الذى اطلقوه على أنفسهم الكيريت وهو ابن بونيونيوس رجل محترم وهو اصغر اخوته الاربع . وهو وليد توفيق الهى

اذ ولد في اليوم الذى وضع فيه رومولوس اساس روما ، الحادى عشر من شهر مايو حملته فطرته الطيبة على التحلى بالفضائل زادها كمالا بالعلم والصبر والفلسفة . طهر نفسه لا من جميع الاهواء المخجلة بل من الاهواء التى يفتخر بها البربر (المتوحشون) كالقسوة والشراهة . لاعتقاده ان الشجاعة الحقيقية هى اخضاع الشهوات لغير العقل وحرصا على هذه المبادىء ابعد عن بيتة جميع اسباب الترف والفخفخة . رأى فيه الاهالى والاجانب حكما عادلا لاغش فيه . خص أوقات فراغه لا للسعى وراء التمتع بالملاذ ، ولا بجمع الثروة بل لتكريم الآلهة والسمو بعقله الى معرفة طبائعها وقدرتها حتى اكتسب من الصيت الحسن والمجد ما حمل تاتيوس زميل رومولوس فى الحكم على اختياره صهرا له ، زوجه من ابنته الوحيدة تاتيا . لم تستوهه هذه القرابة الى مغادرة موطنه والمقام بقرب حميه بل بقى فى كوريس يعتنى بخدمة والده العجوز وقد اثرت تاتيا امرأته البقاء مع زوجها فى بيته الخصوصى ناعمة البال قريرة العين على ما كانت تجد من انواع الاحترام والتبجيل فى روما وفى بيت ابيها يقال ان تاتيا توفيت بعد زواجها بثلاث عشرة سنة فهجر نوما بعدها المدينة واعتاد سكنى الريف وكان من دواعى السرور عنده ان يتنزه منفردا بين خصاص الآلهة والمروج المقدسة والاماكن الخربة . وظنى ان هذه الحياة كانت سببا لما اشيع عنه من اتصاله باحدى الآلهات :

ظن القوم ان لا الضجر ولا الحزن هما اللذين حملا نوما على الابتعاد عن الناس ، بل انه وجد اليفة اسمى وان الهة وجدته خليقا بعهدها وانه صار زوجا للالهة اجيرى تغدق عليه خيرات حبها فصار بفضل المقام معها سعيداً عالما بجميع الامور الالهية وفي هذا ما يشبه ما تتوارثه الابناء عن الاباء من الخرافات كالتى يرويها الفريجيون عن أتيس والطيبيون عن هيردوتوس والاركاديون عن انديميون وغيرهم مما يروى عن رجال أسعدهم الحظ بصداقة الآلهات لا بأس ، لا بل من الطبيعى ان الله الذى يحب الخيول والطيور ، بل الناس يرضى مخاطبة الممتازين بفضائلهم

ولا يأبى محادثة التقى الورع . اما ان الها أو ذاتا الهية تتصل بجسد انسان فان تتعشق جماله ، فهذا مالا يسهل تصديقه . ويذهب المصريون فى ذلك مذهباً خاصاً اذ يرون انه ليس محالا ان تقترب روح الآله من امرأة وتبذر فيها غرساً ولكن لايستطيع بحال ان يتصل أو يتحدجسديا بآلهة. ولكن هذا لايتفق مع المبدأ المعروف ان كل ذات تتصل بمادة تترك فيها جزءاً منها وتأخذ منها جزءاً لايقل عن ذلك فى الحقيقة ؛ ان الآلهة تود الناس . ومن هذه المودة ينشأ فيهم مايدعى حب . وما هو منهم سوى عناية خاصة بتكوين أخلاق من يحبون وجعلهم فضلا . هذا مايمكن تصديقه وبهذا تفسر أحاديث الشعراء عن حب أبولون لفورباس ، وهيانث وادميت وهيبوليت البسيونى ويقال ان هيبوليت لم يكن يركب البحر من مدينته الى غيرها إلا ومتى شعر الآلهة بقربه وفرح بعودته حتى يوحى الى مستلم الوحى ان ينطق بهذا الشعر الحماسى

«هيبوليت تلك الرأس العزيزة يجتاز البحر ويعود» ويقال أيضاً ان « بان» أحب بندار وشعره وان الآلهة أكرمت هزيود وارخيلوك بعد موتهما لانهما كانا عزيزين على آلهة الشعر وان الاله اسكولاب أقام فى مسكن سوفوكل مدة حياته ولا يزال هناك حتى اليوم أدلة على هذه الزيارة وان بعد موته قام له اله أخر بالواجب الاخير . اذا كان هذا شأن الآلهة مع الشعراء فهل نستطيع فى غير عدل ان ننكر عليهم . تكريمهم أمثال زالوكيس ومينوس وزردشت ونوما وليكورجوس وهم حكام ومؤسس جمهوريات ؟ الا يجدر بنا ان نقول بان داعيا خطيراً يحمل للآلهة على مواصلة هؤلاء العظماء ؟ وجب عليهم أن يأتوا ليوحوا اليهم مشروعاتهم المجيدة وتشجيعهم على تنفيذها فى حين انه اذا صح اتصالهم بالشعراء والموسيقيين فلا يكونوا لغير شيء سوى التلهى . وإذا رأى احد غير هذا فالمجال فسيح . كما قال اكيليدس ، فلا بأس من الاعتقاد بما ذهب اليه بعض المؤلفين ان ليكورجوس ونوما وغيرهما من العظماء ممن تولى قيادة جماهير خشنة الطباع شديدة المراس

ادعوا لقبول ماارادوا احداثهمن التغييرات صدروهاعن الالهة : تخيل وافر الخير حتى لمن خدعوا

كان نوما فى الاربعين من عمره عندما وصل اليه وفد روما يرجو اليه قبول الملكية . قام بمخاطبته بروكلوس وفالازيوس اللذان وقع عليهما الانتخاب الاول من الرومانيين والثانى من السابيين ، لم يكن خطابهما طويلا ولم يشكا فى ان نوما سيتلقى الخبر الذى يحملانه اليه كنعمة كبيرة ولكنهما لم يجدا السبيل لاقناعه سهلا . كان لابد لهما من تقديم الاسباب المعقولة والرجاء لاقناع رجل اعتاد العيش بين الراحة والسلام ، بقبول حكومة مدنية ولدت في الحروب ونمت فى ظل السلاح . اجاب بحضرة والده وماريوس احد اقاربه بما يأتى .

« فى كل تغيير يحدث في حياتنا خطر علينا اما من لايعوزه شيء ولا يشكو حالة فمن الجنون ان يعدل عن عاداته ويغير من شأنه وان يستعيض عما هو مؤكد الفائدة بما لاتؤمن عقباه كما يستفاد مما حدث لرومولوس فقد الصقت به تهمة قتل زميله تاتيوس وتركه التهمة لاحقة برجال مجلسه بعد موته بأنهم هم الذين قتلوه .

مع ان الشيوخ يحتفلون بذكرى رومولوس بصفته ابن الالهة . يقولون ان رومولوس غذى فى طفولته وانقذ بعناية الهية خاصة . اما انا فمن البشر غذيت ونشأت بين رجال تعرفونهم وماتمتدحونه فى من الصفات ليست مايلزم لرجل يقدم على تولى الحكم .

ان ماجبته دائما هو الراحة والدرس بعيدا عن مهام الاشغال وما يلازمها انى احس بميل شديد للسلام ، للرياضة البعيدة عن الحرب ، لتلك المجتمعات التى تشتغل بتكريم الالهة التى تمتع بالمسرات البريئة يعودمنها الى حراثة الارض ورعاية القطعان .

اما انتم ايها الرومانيون فقد خلف لكم رومولوس حروبا يحتمل انكم

لم تكونوا تودينها . ان المدينة محتاجة في مقاومتها الى ملك ممتلىء حماسة وفي عنفوان الصبا . لقد اعتاد هذا الشعب الحروب والنصر مغرى بشجاعته ويعلم الكل انه لا يريد سوى التوسع والسيادة على الشعوب الاخر. فيكون من المضحك خدمة الآلهة وتعويد الاهالى العدل وبغض الحروب واحتمال الشدائد في أمة حاجتها إلى قائد جيوش اشد منها الى ملك

قابل الرومانيون قدمه نوما من الاسباب لرفض الملكية بالالحاح الشديد وتوسلوا اليه الا يرمى بهم ثانية بين الاضطرابات والحرب الاهلية لانه هو الرجل الوحيد الذى ارتضاه الفريقان . ولما انسحب بذل والد نوما وماريوس الجهد لاقناعه بقبول هذه المنحة الجميلة الالهية .

« اذا كان لك من ثروتك مايغنيك ولم تكن فى حاجة إلى كنوز : اذا كنت لاتطمع في مجد السيادة والسلطة بما لك من الفضيلة من مجد محقق فلتعبر على الاقل انه فى تولى الحكم خدمة للالهة . ان الاله هو الذى يدعوك اليوم ؛ لا يريد ان تبقى العدالة التى اقترنت به عاطلة لا ثر لها . فلا تقاوم ارادته . لاترفض الحكم انه مجال يأتى فيه الرجل العظيم جلائل الاعمال هناك يستطيع أن يكرم الالهة أكبر تكريم باخضاع الرجال لعواطف التقوى بما يقدمه الملك من القدوة الصالحة المؤثرة ،

لقد أحب الرومانيون تاتيوس وهو غريب عنهم واكرموا ذكرى روموليوس بتكرمات دينية ومن يدرى اذا لم يكن هذا الشعب المنتصر قد مل الحروب وشبع من النصر والاسلاب تاق الى رجل يحب العدل يقيم خير الشرائع التى تكفل لهم السلام ؟ و إذا بقى ذلك الشعب على ميوله وشهوته الحربية الا يكون من الخير تحويل هذه الحمية إلى شؤون اخرى متى قبضت على اعنة الحكم. تجمع كلمة الوطنيين وتوفيق روابط المودة بين السابين وأهالى المدينة العامرة الرهيبة ؟ ويقال ان فالا حسنا ايد هذه الاسباب ، وزادها رجاء مواطنيه

الذين اسرعوا اليه عند ماسمعوا بقدوم وفد روماء الحواعليه فى السفر وقبول الملكية ليوثق الاتحاد والالفة بين رجال الامتين .

ومذ قبل قدم تقدمة للالهة وسافر الى روما فاستقبله رجال مجلس الشيوخ والشعب يحدو بهم الشوق لرؤيته هتفت له النساء هتاف الفرح وقدمن التقدمات فى الهياكل وشمل الفرح الجميع حتى كأنهم لا يستقبلون ملكا بل ملاكا ولما وصل الى الفروم (ساحة المدينة) شرع سيوريوس فتيوس القائم بالحكم فى اجراء الانتخاب فاجتمعت الاصوات على انتخاب نوما وقدموا اليه الشارات الملكية . فطلب اليهم نوما أن يتريثوا حتى يتأكد من رضى الآلهة فاخذ طائفة من الكهنة والعرافين وصعد الى الكابيتول الذى كان يدعوه الرومانيون حينذاك تل تاربيا فالقى على وجهه رئيس العيافة غشاء واداره نحو الجنوب ووقف خلفه . ونوما يده اليمنى على رأسه وصلى وادار نظره فى جميع الجهات ليرى ما تعلنه الآلهة بطيران العصافير أو علامات اخرى . وكان السكوت الرهيب يخيم على تلك الساحة المكتظة بالناس والكل ينظر ما يحدث الى أن ظهرت اخيرا طيور حسنة الطالع سائرة إلى اليمين وحينئذ لبس نوما الرداء الملكي وتوسط الشعب فعلا هتاف الفرح يحيي الجميع الملك يلقبونه القديس ابن القديسين واعز انسان على الآلهة وكان أول عمله بعد تولية الملك الغاء فرقة الحرس وهى مؤلفة من ثلاثمائة جندى التى كان رومولوس يقيمها حوله وكان يدعوها السريعة لخفة رجالها في الجرى . لم يرد نوما ان يظهر عدم الثقة فيمن وثقوا به ولم يرد الا الحكم بين أناس يثقون به ثقة تامه . ثم زاد على كاهنى جوبيتر ومارس كاهنا اخر لرمولوس ودعاه فلامين كبير ينال . وفلامين كلمة مأخوذة من لفظة بكلاتين اليونانية ومعناها القبعة الحمراء وهى التى كان يلبسها الكهنة . وذلك لان الكلمات اليونانية كانت كثيرة التداول بين الرومانيين فى ذلك العصر كذلك كلمة لين التى تطلق على اردية الملك مأخوذة من « كاين » اليونانيه وكاملوس وهو الاسم الذى كان يطلقه بعض شعوب اليونان على مرقير لانه وزير (أورسول) الآلهة

و بعد هذه الاصلاحات التى اكسبته عطف الشعب و رضاه لم يضع نوما لحظة من الوقت . أخذ يلين أخلاق الوطنيين كما يلين الحديد وان يبدلهم من ميولهم القاسية الحربية عواطف أرق وأعدل ، كانت روما حينذاك المدينة الثائرة التى تكلم عنها أفلاطون . صنيعة أجرء الرجال وأسلهم فى القتال اجتمع أبناؤها من كل حدب عاشوا بين الحملات والحروب المتوالية تحت قوتها بفضل السلاح وكانت المخاطر يزيد قدمها رسوخا كما يزداد الوتد تمكيناً بالدق . كان نوما يعلم انه من الصعب جداً ان يحمل هذا الشعب المتبكر الحربى على حب السلم فاستعان بالدين وتوسلا باقامة الاعياد وتقديم القرابين واقامة المراقص يديرها بنفسه و يخفف من حركتها بما يودع فيها من أسباب السرور و بهذا راض تلك الطبائع الهائجة وهذبت من سورتها وكان يعمد احيانا الى الافضاء اليهم باحاديث معجزات مخيفة أظهرتها اليه الالهة : رؤى غريبة واصوات تهديد ، وأخيرا أفلح فى تهدئة تلك النفوس وثناها تحت سلطة الدين

كان هذا المسلك داعياً للقول بان نوما مدين بحكمته لتعاليم وصداقة فيثاغوروس والواقع أن أساس حكومة نوما ومبادىء الفيلسوف هما عبادة الالهة والرياضة الصالحة ، ويقال أيضاً إنه ذهب مذهب فيثاغوروس في ابراز جميع ما يعمله في شيء من المباهاة . فقد راضى الفيلسوف نسرا حتى جعله يقف طيرانه متى دعاه وينحط على رأسه . وكان في الالعاب الاولمبية يمر بين الجماعات مظهراً فخذه الذهبى وكم من حيلة تعزى اليه وكم معجزات ، حملت تيمون الفليازى (١) على القول .

« فيثاغوروس صاحب البيان الساحر الجشع فى حب المجد »

---

١ شاعر هجاء اشتهر بهجائه الفلاسفة التفنيدين وكان من أهل الشك على مذهب بيرهون معلمه لا يجب الخلط بينه وبين تيمون النفور الذى عاش قبله بقرن

« كان يأسر الناس بخطبه الخطيرة الفخمة »

وفى الناحية الروائية من حياة نوما حبه لاحدى الالهات او عذارى الجبال تلك الصلة التى سبق لنا الكلام عنها ، واحاديثه المرغومة مع الهة الشعر . وكان يعزو الى هذه اكثر ماأوحى به اليه وسن للرومانيين شرعة تكريم احداها ودعاها (تاسيتا) (الصامتة أو الخرساء) وكأن قصد بها ذكرى وتقديس الصمت الذى سنه فيثاغوروس كحمية .

اما اوامره عن تماثيل الالهة فكانت شديدة الشبه بتعاليم فيتاغوروس وكان الفيلسوف يعتقد ان الذات أو الروح الاولى لاتدرك ، ولا تحس ولا ترى ، معصومة من الفساد كلها « أدراك »

حرم نوما على الرومانيين ان ينسبو اللالهة شكل انسان اوحيوان ولم يكن بينهم فيما مضى صورة ولا تمثال الهى . وظلو امدة المائة وسبعين سنة الاولى لا يضعون فى هياكلهم ولا معابدهم صورة ماثلة . معتقدين انه من الكفر تمثيل « الاكمل » فى « الاحقر » وانه لاسبيل لمعرفة الله إلا بالفكر . وكذلك كانت تقدماته مطابقه للتقاليد الفيثاغورية لا يستخدم فيها الذبائح بل الدقيق والفول وأشياء بسيطة أخرى

ويستشهد الذين يتمسكون بوجود صلة بين الرجلين بادلة محسوسة يقولون ان الرومانيون منحوا فيتاغوروس حقوق المدينة يذكرون تأييداً لدعواهم شهادة ابيشارم وهو شاعر هزلى روى ذلك فى مؤلف اهداه الى انتنور وهو شاعر قديم كان تلميذاً لذلك الفيلسوف(١) ودليلهم الثانى ان نوما دعا احد ابنائه الاربعة مامركوس اسم احد ابناء فيثاغوروس ونسلت من هذا الابن اسرة الاميلين وهي من انبل واشرف عائلات الشيوخ اما اسم اميليوس فهو اسم تحبب اعطاه الملك لابنه للدلالة على رقة طبعه ولطف حديثه

(١) خطأ تاريخى لان الشاعر أبيشارم عاش سنة ٤٥٠ قبل الميلاد وكان معاصر لسقراط

(ميليوس كلمة يونانية تؤدى ذلك المعنى) وقد سمعت بنفسى غير مرة فى روما أن الوحى أمر الرومانيين أن يقيموا فى المدينة نصباً لاوفر رجال اليونان حكمة وآخر لاوفرهم شهامة . فاقاموا فى الفوروم نصبين من (النحاس) أحدهما لفيثاغوروس والآخر لاكسبياد

على أن هذا الرأى كثير الشك ومن البله والسخف ان نطيل فيه الحديث اثباتاً أو نفياً

ويعزى الى نوما ايضا انشاء وتعظيم كلية الكهنة المدعون الاحبار (السادة) وتولى رياستها وكلمة بونتيف في عرف البعض مأخوذة من ان أولئك الكهنة كانوا يخدمون الالهة القادرة على كل شيء سيادة كل شيء لان كلمة صاحب القدرة أو السيادة فى اللغة اللاتينية (بونس)

ويزعم البعض انهذه الكلمه تعين شرطا «لو كان فى الامكان» وذلك لان الشرع لم يعين على الكهنة سوى التقدمات التى يستطيعون تقديمها ولا يجعلهم مسؤلين اذا عاقهم عائق مشروع . ولكن أغلب الكتاب مجمعين على أصل أراه مضحكا . يزعمون أن كلمة بونتيف فى عرفهم معناها الجسور واطلقت على الكهنة نظرا للتقدمات التى كانوا يقدمونها فوق الجسور وهى أقدم واقدس من سواها

وفى الواقع ان كلمة جسر في اللغة اللاتينيه « بونس » يضيفون الى ذلك ان صيانة واصلاح الجسور لم تكن أقل وجوبا على الكهنة من التقدمات الغير معينة ولا الحفلات القوميه عدا ان الرومانيين يعتقدون بحكم الدين انه من الرجس تحطيم جسر (كوبرى) من الخشب(١) ويزعمون أن هذا الجسر انشىء بلا حديد متماسك وايا خشبية طبقا لما اراد الوحى ولم يبن الجسر الحجرى الا فى عهد اميليوس . ويقال ايضا أن الجسر الخشبى لم يكن موجودا في عصر نوما . وانه بنى فى عهد

١ كوبرى (جسر) سابليسيوس مشهور فى مفاخر روما الجمهورية

حفيده مارسيوس، يقوم الكاهن الاكبر بوظيفة المفسر والعراف لا يقوم بالتقدمات العامة فقط بل يراقب ايضا من يقدمون التقدمات الخصوصية ويحرص على الا يتعدى احدهم الاوامر الدينية وهو الذى يتولى تعليم الجميع مايجب عمله لتكريم الالهة او تسكين غضبهم .

ومن وظيفة الكاهن الاعظم مراقبة العذارى المقدسة (فستال) اذ يقال ان نوما هو الذى انشأ نظامها يعهد اليهن العناية بالنار المشتعلة على الدوام والحرس على الطقوس والتقاليد ولعل نوما رأى أن مادة النار الطاهرة النقية لا يصح ان يعهد فى رعايتها الا لاجسام طاهرة بلا دنس ولعله لاحظ الشبه الجامع بين اللهب العقيم بطبيعته والبتولة والواقع انه فى بيثنو واثينا (اليونان) حيث تشعل النار على الدوام لا تحرسها العذارى بل الارامل اللواتى تجاوزت سن زواج ثان واذا حدث ما اطفأ هذه النار كما انطفأ المشعل المقدس فى اثينا ايام ظلم اريستيون وفى بيثو حين احرق الميديون الهيكل وفى روما ايام حرب ميرايداد والحروب الاهليه حيث التهمت النار الهيكل والمذبح . متى حدث هذا كان من المحرم اعادة اشعالها بنار عادية بل يجب احداث نار جديدة فيقتبس من الشمس لهب طاهر نقى . يعملون لذلك إناء مقعرا يقسم داخله الى زوايا متساوية حادة تتجه جميع اضلاعها الى مركز واحد تعرض هذه الاوانى للشمس فتعكس جميع الاشعة من جميع نقط محيطها وتتحد فى المركز المشترك يشف الهواء وينقسم فيحصل من الانعكاس طبيعة وقوة النار وتشعل في الحال المواد الجافة الخفيفة التى تعرض لها

يزعم بعض المؤلفين ان وظيفة العذارى المقدسة منحصرة فى صيانة النار الدائمة فقط ويقول غيرهم ان هناك اشياء اخرى كان يباح لهن النظر اليها . وقد ذكرت في سيرة كاميل كل مايعرف ويقال عن هذه الاسرار . ويقال ان نوما بدأ بتعيين اثنين فقط وهما جيجانيا وفارانيا ثم زاد عليهما اثنين كانولينا وتوبيا ثم زاد عليهن سرفيوس اثنتين والى هذا الحد بقيت حتى اليوم .

سن نوما للعذارى العفة مدة ثلاثين سنة العشرة الاولى لتلقى العلوم والعشرة الثانية لممارسة العمل والثالثه لتعليم الناشئات . ومتى انتهت هذه المدة كان لهن الخيار فى ان يتزوجن او يتركن المعابد او اية عيشة تردن . ولكنهم يؤكدون ان قليلات منهن اللواتى استفدن من هذه الحرية ومن فعلت منهن لم تجد مايسر بل قضت بقية حياتها بين التندم والحزن فكانت مثلا يدخل الخوف الدينى الى نفوس زميلاتها فتؤثرن البتولة الدائمة على الزواج

وقد منحهن نوما امتيازات عظيمة مثال ذلك يرثن في حياة والدهن و يمتعن بحقوقه الزوجة التى لها ثلاثة اولاد فتدبر امرها كما تريد بلارقيب ومتى خرجت احداهن سارت المشاعل امامها وإذا قابلن مجرما يساق الى القتل خلى سبيله بشرط أن تقسم العذراء انها قابلته على غير اختيار صدفة لاتدبير فيها . واذا مر احد تحت الحمالة التى تقلهن كان ذلك ذنبا موجبا للموت . اما اذا اقترفت عذراء ذنبا عاقبها الكاهن الاعظم بالجلد يوقع عليهن القصاص فى مكان مظلم سحيق وهن عاريات لايسترهن سوى ثوب رقيق اما التى تخون نذر بتولتها فتدفن حية بالقرب من باب التل . يوجد فى ذلك المكان داخل المدينة رجمة كبيرة يدعونه المدخل أنشأوا فيه حفرة ينزلون اليها من فتحة على ظهر الارض واودعوا الحفرة سريرا وسراجا مضيئا وقليلا من المؤنة الضرورية للحياة . قليل من النبيذ والخبز والماء وجرة لبن وقليل من الزيت كأنهم يخفون قصدهم من اماتة انسانة مقدسة جوعا . توضع المحكوم عليها على حمالة تغلق غلقا محكما يشد عليها بالحبال بحيث لايسمع صوتها ثم يجتازون لها الساحة العمومية وحينئذ يصطف النـاس في حزن وصمت عميق . مشهد لايوجد فى روما افظع منه ويوم لايوم مثله ، ترى فيه المدينة غارقة في الكدر ومتى وصلت الحمالة الى مكان التنفيذ يحل رجال الشا على عنها الوثائق و يؤدى رئيس الكهنة صلاة سرية رافعا يده الى السماء ثم يجذب المقضى عليها من الحمالة وعليها غشاء

وتضع على السلم الذى ينزل منه الى الحفرة ثم يعود مع باقى الكهنة . ومتى نزلت الى قاع الحفرة رفعوا السلم ثم يغطون الحفرة بان يكدسوا عليها التراب حتى يساوى الارض هذا جزاء العذارى اللواتى تخون عهد دنزر بتوليتهن

ويقال ان نوما هو الذى انشأ هيكل فيستا المستدير لتحفظ فيه النار المقدسة ولم يكن الشكل المختار شكلا يمثل الارض المعتبرة انها فستا بل الكون الذى تشعل النار فى وسطه حسب عقيدة الفيثاغوريين ويدعونها (فستا والمونادا) لانهم لا يعتقدون ان الارض ثابتة ولا انها في مركز الدائرة بل يعتقدون انها تدور حول النار ولا يحسبونها من أفضل ولاأول الاجزاء التى يتالف منها العالم ويقال إن افلاطون قبل شيخوخته اخذ بهذا المبدأ وهو ان الارض ليست مركز الكون بل تدع ذلك المقام الشريف الى عنصر اطهر . وقد سنت الاحبار طقوس الجنازات وقد علمهم نوما ان ليس فيها مايدنس بل يجب تكريم آلهة الجحيم الذين يتلقون خير عناصر ذواتنا وبينهم الآلهة ليبتين الموكلة برعاية حقوق الموتى كأنهم يخلطونها مع الاله بروزيريس او فينوس كما يفعل اشهر علماء الرومانيين ينسبون الى الهة واحدة ميلاد وموت الناس اما مدة الحداد فجعلها مناسبة لسن المبكي عليه ؛ لاحداد على من مات دون الثالثة من عمره ومن ثلاثة الى عشرة يحد عليه بنسبة شهر عن كل سنة عاشها لايزاد عليها ولا يتجاوز اطول حداد عشرة شهور وهذه مدة ترمل الزوجات اللواتى فقدن ازواجهن . أما التى تتزوج قبل مضى هذه المدة فيجب عليها ان تضحى بعنزة سمينة حسب شريعة نوما

وقد أنشأ نوما ايضا عدة طوائف من الكهنة نذكر منها اثنتين لدلالتهما على تقوى الملك وهما طائفة السالين وطائفة الفاسينو . يؤدى هؤلاء مهمة المحافظة على السلام وقد اخذوا اسمهم من مهمتهم اذ يقومون بتسوية كل خلاف بالطرق الودية ولا يسمحون بحمل السلاح الا متى يئسوا من الصلح ومن عادة اليونانيين الا يدعوا صلحا الا ماتم الاتفاق عليه بالطرق العقلية . أما الصلح بالاكراه فلا

يذهب كهنة السلام الرومانيون بانفسهم مرارا الى الشعوب التي تسيء الى الجمهورية ويبذلون الجهد للتفاهم معهم واذا لم يفوزوا باصلاح الخطأ اوالترضية استهدوا الآلهة ونادوا بالويل والثبور طالبين من الآلهة نصب على رؤسهم اذا لم تكن مطالب بلادهم عادلة ثم يعلنون الحرب . اذا اعترض السلميون على الحرب أو ابوا الموافقة عليها حرم على الجنود الرومانيين والملك حمل السلاح . كان يجب أن يسمحوا للامير بالقتال باعلانهم ان الحرب عادلة فياخذ الامير فى تدبير وسائل تنفيذها.

يقال ان غارة الغاليين على روما حدثت بسبب مخالفة هذه العادة المقدسة وذلك أن البربر حاصروا كلوزيوم فارسل الرومانيون فابيوس اينوستوس اليهم مندوبا لمفاوضتهم في رفع الحصار لم يرضه جوابهم فاعتقد أن مهمته قد انتهت وأقدم بحدة وعناد الشباب على حمل السلاح فى جانب الكلوزبين فاثارحمية أبسل شعوب البربر الى حرب شعواء طاحنة اذ قهر خصمه وقتله وجرده من السلاح . وهناك عرفه الغاليون فارسلوا مناديا الى روما يشكون فابيوس لحمله السلاح ضدهم بالرغم من اليمين ومن كل شريعة و بدون اعلان الحرب . فقرر مجلس الشيوخ بعد أخذ رأى طائفة السلميين تسليم فابيوس للغاليين ولكنه لجأ الى الشعب فايده ونجا من عقاب الموت فلم يحجم الغاليون عن المسير الى روما فخربوا جميع ما فيها ما عدا الكابيتول وقد شرحت تفاصيل هذه الحادثة في سيرة كامى .

أما طائفة السالين « الراقصين » فقد أنشأها نوما للمناسبة الآتية.

حدث في السنة الثامنة لحكمه أن وباءاً انتشر فى ايطاليا واجتاح روما فامتلأت قلوب الشعب حزناً ثم قيل أنه فى يوم ما سقطت ورقة نحاسية من السماء بين يدى نوما فاخذ الملك يروى عنها أحاديث غريبة زعم أنه علمها عن الالهة أيجيرى وآلهة الشعر قائلات على زعمه أن هذه الورقة أرسلت لنجاة المدينة وانه يجب الاحتفاظ بها وضع احدى عشر أخرى تشبهها فى

صورتها وحجمها وشكلها بحيث لا يميز أحد بين المصنوع والاصل منها و يجب أن يكرس محل سقوطها والمروج المحاطة به لالهة الشعر لانها تتردد على هذه المروج ثم يجب جعل الينبوع الذى يرويها الاغتسال « العذارى » يأخذن منها الماء كل يوم لسقاية وتطهير الهيكل وقد جاء انقضاء الوباء مصدقا لقوله أخذ نوما الورقة « الترس » وعرض على الصناع عمل مثلها فعجزوا جميعاً إلا فاتوريوس ماموريوس أمهر الصناع فقد أجاد صناعة الاحدى عشرة الاخرى اجادة تامة بحيث أن نوما ذاته لم يعد يفرق بين الاولى وبينها . فرأى الملك أن ينشيء طائفة الراقصين للعناية بهذه التروس واختار لها هذا الاسم ؛ لا نسبة الى ساليوس الساموتراس أوماتينه مخترع الرقص المسلح بل نسبة الى مايقوم به هذه الطائفة من ضروب الرقص ؛ من تلك القفزات التى يحدثون عند طوافهم فى شهر مارس اذ يسيرون في موكب بهذه التروس المقدسة في شوارع روما لابسين أردية من الارجوان وعليهم زرد من النحاس وخوذات من النحاس يقرعونها بسيوفهم القصيرة . ينحصر رقصهم فى حركات أقدامهم فى خطى متوازنة مختلفة ودورات ولفات سريعة متقنة يأتونها في خفة ونشاط .

و بعد أن فرغ نوما من نظام الكهنوت أنشأ هيكلا لفستا فى قصر يدعى بيت الملك كان يسكنه عادة يقدم فيه التقدمات ويعلم الكهنة ويحادثهم فى شؤون العبادة وكان له مسكن آخر فى جبل كيرينال باق حتى اليوم . وكانت العادة فى المواكب العمومية أو تضرعات الكهنة أن تتقدمهم المنادون فى شوارع المدينة ينادون بالتزام الصمت والانقطاع عن العمل .

ينكر الفيثاغوريون على الناس أن يعبدوا الله أو يصلوا اليه وهم يجرون يجب في عرفهم أن تخرج الناس من بيوتهم على هذه النية مستعدين لها . لذلك رأى نوما أنه يجب على الوطنيين فيما يختص بعبادة الآلهة ان لا يعملوا شيئاً باهمال أو عن طريق العادة بل يجب عليهم ترك جميع شواغلهم وأن

يتصرفوا بعقولهم الى ذلك العمل وهو اشرف أعمال التقوى . عليه يجب الامتناع عن الضوضاء والصياح والانين الذى يلازم الصناع

لاتزال بقية من هذه العادة قائمة حتى اليوم . متى قصد الفال او استشارة الوحى أو القيام بتقدمة يصيحون باعلى الصوت « اعملوا هذا » ويراد بذلك دعوة الحضور الى استجماع قواهم النفسية والانتباه

ولا تقل شرائع نوما الاخرى شيئا عن تعاليم الفيثاغوريين يحرم هؤلاء الجلوس على الاشجار وتحريك النار بخنجر والنظر الى الوراء عند السفر ويأمر بان يكون عدد التقدمات للالهة السماوية فرديا كذلك كانت تعاليم نوما تنطوى على معان خفية مثل تحريم الغسول للالهة من خمر كرم لم يقلم او تقدمة بلا دقيق ، وأمر بالقيام بدورة مستديرة اثناء العبادة والجلوس بعد الفراغ منها والظاهر ان الغرض من الامرين الاولين الحث على زراعة الارض لجزء من الدين . وكان الغرض من الدورة حول الالهة على مايقال تقليد حركة دوران من كل عمل و بعدنا عن كل شاغل

تمكنت هذه التربية الدينية من روما حتى جعلتها من الطاعة والاعتقاد بقدرة نوما اعتقادا غريبا بحيث لايصعب عليه امر مهما يكن متى اراده ، ويقال فى ذلك انه دعا جماعة كبيرة لتناول العشاء وقدم لهم وعاء واحدا عليه طعام تقشف مبتذل جدا . و بينما كان القوم يهمون للجلوس حول المائدة قال لهم « هذه آلهتى اتية لزيارتى » وفى الحال رأوا المنزل ملىء بالاوعية الفاخرة ومدت على الموائد اشهى والذ الاطعمة فى اعظم ابهة .

اما مايروى عن محادثته مع جو بتر ففوق كل خرافه.

لم يكن جبل افانتين داخلا فى زمام روما ولم يكن مأهولا ويقال ان ينابيعه الغزيرة واشجاره الكثيفة كانت السكون ، و بما أن الهيكل كان متجها الى الشرق وظهر المصلى للشمس فكان الغرض على ماأظن ان يواجه المصلى الشمس ليكون

في حضرة الآلهة . وبهاتين الحركتين يتم دورة كاملة يفرغ اثناءها من صلاته . وهل لايكون فى هذه الدورات اشارة الى العجلات المصرية ؟ الا تفيد عدم ثبات شيء بشرى وانه يجب علينا الخضوع لارادة الله حيثما يدور ويؤثر فى حياتنا ؟ اما الجلوس بعد الصلاة فهو من باب الفال الحسن ، بان الصلاة قبلت ، وان الخيرات المرجوة ستكون دائمة ويقال في ذلك ايضا ! ان الراحة تفصل بين اعمالنا فاذا انتهى العمل الاول استراح العاملون امام الالهة ليبدءوا بعده عملا آخر . وكأن غرض المشرع من ذلك على ماقدمنا الا نصلى الى الله ونحن في شغل آخر كاننا نلهو او نجرى ، بل تكون الصلاة متى خلونا من مزار الآلهتين هما بيكوس وفونوس . اللتين يمكن مقارنتهما « بساتير » « ربان » . عدا ان تلك كانت تطوف ايطاليا تحدث فيها بفضل بعض الادوية والتعاويذ السحريه ماينسبه اليونانيون الى داكتيل . ويقال ان نوما اسر تلكما الالهتين بما اودعه من خمر وعسل فى الينبوع الذى كانتا تستقى منه عادة واخذت الالهتان تغير من زيهما وتتراى فى اشكال رهيبة ولكنهما رأتا ان قيودها لاترتخى فظهرتا لنوما وكاشفته بامور مقبلة وعلمتاه التفادى من الصواعق بواسطة البصل والشعور وشخوص

ويقول البعض ان ليست الالهتان هما اللتان علمتاه هذا التفادى بل انزلتا بسحرهما جوبيتر . غيظ الاله وقال لنوما لابد لعمل الفداء من رؤوس . . . فقاطعه نوما بقوله « بصل » فاستمر جو بيتر قائلا ، اناس فاراد نوما اجتناب هذا الامر القاسى فقال بشعورهم ، فاجاب جو بيتر حية فاسرع نوما بقول شخوص والتى اوصت اليه بهذه الحيل هى العذراء ايجيرى

عاد الاله جو بيتر راضيا واطلق على هذا المكان اسم ايلاسيوم وصارت اجوبة نوما القاعدة فى اتقاء الصواعق

تدلنا هذه الخرافات المضحكة على مبلغ ماوصل اليه رجال ذلك العصر من التأثر بالسلطة الدينية والى أى حد من الخضوع بلغ بهم نوما . اما هو فكانت

كل آماله مرتكزة على الحماية الالهية حتى انه قيل له يوما ان الاعداء دنوا منا فقال باسما اما انا فانى اقدم للالهة

كان نوما اول من بنى هيكلا « للايمان » وللاله « حد » « ترم » وهو الذى علم الرومانيين أن أعظم قسم هو يمين الايمان وهو القسم الذى يقسمون به حتى اليوم

اما الحد الترم فهو الاله الذى تقدم اليه التقدمات العامة على حدود الحقول . يقدمون اليه اليوم ضحايا حية . على انها كانت تجرى قديماً بدون اراقة دماء : لان نوما أدرك على نور العقل أن اله الحدود حارس السلام وشاهد العدل يجب أن يكون طاهراً من كل دماء ، وأظنه هو الذى وضع حدود اراضي روما . ولم يفعل رومولوس ذلك لأنه لو كان عين مايملكه لاظهر مااغتصبه من الآخرين . والحقيقة أن الحدود اذا حفظت كانت عائقاً فى سبيل القوة ، واذا اهملت كانت شهادة على الظلم . وكانت حدود روما فى اول عهدها ضيقة جداً ولكنها اتسعت بسلاح رومولوس . قسم نوما الاراضى الجديدة على فقراء الوطنيين ليقضى على البؤس وهو سبب الفساد ولكن يحول الشعب الى الزراعة . والرومانيون بتفليحهم الارض دمثت اخلاقهم . لان لاشيء يحمل على الرغبة فى السلام اكثر من الحياة الزراعية . تحفظ على الرجال شجاعتهم الحربية فى الدفاع عن املاكهم بقوة السلاح ولكنها تنزع منهم شهوة الجشع التى تغريهم باغتصاب املاك الآخرين . قام نوما رغبة فى حمل الاهالى على حب الزراعة كخير وسيلة لحملهم على حب السلام والتهذيب من اخلاقهم بأكثر مما تغنيهم ، بتقسيم الاراضى اقساما دعى كل منها ضيعة وجعل على كل منها مراقبين ومحكمين . وكان يزورها بنفسه يشهد أثر العمل فى اخلاق الاهالى ، يكرم الممتازين بنشاطهم ويؤنب الكسالى ويصلح اهمالهم

وخير نظم نوما هو تقسيمه الشعب حسب الصناعات لان المدينة كانت مؤلفة من

امتين أو حزبين مختلفين لا يرغبان فى ائتلاف ولا ازالة الفوارق التى تجعلها كشعبين كل غريب عن الاخر لا ينقضى بينهما نزاع ولا خصام . وكما أنه اذا اريد خلط اجسام صلبة غير قابلة بطبيعتها للامتزاج لا بد من تحطيمها وجعلها قطعاً صغيرة فيسهل مزجها . كذلك فعل نوما إزالة للاسباب الشجار وكسراً لشرة الخلاف قسم الشعب الى فرق صغيرة تحولت همتها الى مصالح اخرى ، فرقة الموسيقيين وفرقة الصياغ وفرقة النجارين وفرقة الصباغين والدباغين والحدادين وصناع الفخار الخ

وجعل لكل فرقة جمعياتها وأيام اجتماعاتها وحفلاتها الدينية كل حسب اهليته. فأخذت الفوارق تتلاشى بين السابين والرومانيين مواطنى تاتيوس ورومولوس بعد شدتها و بدأ التآلف وتم امتزاج الوطنيين في قالب واحد

ويمتدحون لنوما أيضاً شرعته التى لطف بها القانون الذى كان يخول للاباء بيع أبنائهم فاستثنى الابناء الذين يتزوجون برضى والديهم لانه رأى من القسوة ان أمرأة تتزوج رجلا حراً ترى نفسها زوجة عبد

ثم اشتغل بتنظيم النتيجة التاريخية ولئن جاء إصلاحه غير واف الا انه لا يدل على جهل . لم يكن متبعاً فى عهد رومولوس قاعدة نظامية فمن الاشهر ما كان عشرون يوماً وما كان خمسة وثلاثون يوماً وا كثر ولم يكن يخطر ببالهم شيء عن الفرق بين دورتى القمر والشمس بل كانت غاية همهم أن السنة ثلثماية وستون يوماً ولكن نوما ادرك ان الفرق بين الدورتين احد عشر يوماً لان القمر يتم دورته فى ثلثماية أربعة وخمسون يوماً والشمس فى ثلثماية خمسة وستين يوماً ضاعف الفرق وجعله شهراً قائماً بنفسه مرة اثنين وعشرون يوماً يدخله الى النتيجة كل سنتين بعد شهر فبراير .ودعا الرومانيون هذا الشهر مارسيدونوس على ان هذا العلاج كان سبباً لاحداث آخر أوفى واكمل

ونوما هو ايضا اول من غير ترتيب شهور السنة جعل مارس الذى كان اول

شهور السنة الشهر الثالث واستبدله بيناير وهو الحادى عشر فى عرف الرومانيين وكان شهر فبراير آخر السنة فصار الثانى ومهما يكن فمن المتفق عليه أن نوما هو الذى اضاف شهرى يناير وفبراير الى السنة الرومانية التى لم تكن سوى عشرة شهور فلا تزال سنوات بعض البربر ثلاث شهور. وكانت السنة عند اليونانيين والاركاديين أربعة شهور. ويقال إن المصريين كانوا لاول عهدهم يعدون السنة شهراً واحداً ثم أربعة، ومن أجل هذا يتراءى لنا لأولة وهلة ان هـذا الشعب الذى يسكن مدينة جديدة بعيد المدى فى التاريخ ، نرى فى تاريخهم عددا كبيرا من السنين لأنهم كانوا يحسبون الشهر سنه والذى يدلنا على ان سنة الرومانيين كانت عشرة شهور فقط ان اسم الشهر الاخير دسمبر الذى لايزال جاريا حتى اليوم (العاشر) اما ان شهر مارس كان اول شهور السنة فظاهر من الترتيب الحالى لان الشهر الخامس ابتدأ من مارس يدعى كانتيليس (الخامس) يتلوه السادس والسابع الخ. فاذا قلنا أن شهرى يناير وفبراير كانا قبل مارس كانت تلك التسمية خطأ. اذ يدعون خامساً ماهو فى الحقيقة سابعاً. ومع كل فان اشبه رأى بالحقيقة هو أن مارس الذى كرسه رومولوس لعبادة ذلك الاله يكون فى المقام الاول. ثم شهر ابريل المشتق منه اسم افروديت وهو الشهر الذى تقدم فيه الرومانيات التقدمات الى هذه الآلهة وتغتسلن فيه وعلى رؤوسهن اكاليل من الارجوان وقد اختلفت الاقوال في ذلك الا انه الشهر الذى يفتح فيه الربيع اكمام الزهور كما ينم على ذلك اسمه اللاتينى ابريليس يتلو هذين شهرى مايو ويونيه الاول نسبته الى الآلهة مايا وهو مكرس للاله مارقير والثانى من جونون . ويزعم البعض ان هذين الاسمين متفقان من كلمتى الصبا والشيخوخة حسبما تدل عليه معانيها فى اللغة الرومانية . اما بقية الاشهر فقد بقيت على ماهى عليه الخامس ، السادس ، السابع الثامن ، التاسع ، العاشر . ومن ثم حدث ان الخامس دعى يوليوس تكريما لقيصر الذى قهر بومبيه والتالى اغسطس لقب الامبراطور الثانى وقد استبدل

دوشيان أسمى سبتمبر واكتوبر بلقبين من القابه ولكن ذلك لم يدم طويلا بعد قتله . فاعيدت الى الشهرين اسماهما الاولى . وبقى الشهران الاخيران على حالهما . اما الشهران اللذان اضافهما نوما او بدل مواضعهما وهما فبراير ومعناه التطهير حسب مدلول الكلمة اللاتينية وفيه تقدم الضحايا للموتى ويقام عند لوبركال وهو يشبه كثيرا عيد التطهير (١) .

اما يناير اول شهور السنة فقد نحت اسمه من جانوس وظنى ان نوما ابى افتتاح السنة بشهر مارس وهو اله الحرب لانه كان يؤثر الصفات المدنية على الحربية وجانوس هذا سواء كان الها او ملكا كان معروفا منذ القدم بانه صديق المدنية والسلام وانه عدل بالناس عن الحياة الهمجية ولذلك يعودونه بوجهين وذلك لتمكنه باساليبه وسلوكه ان يوفق بين وجهي الحياة

يوجد فى روما هيكل باسم جانوس له بابان يعرفان ببابى الحرب لان العادة تقضى بفتحهما إبان الحرب واغلاقهما ابان السلم . ولم يكن اندر من أن تراهما مغلقين . لان الامبراطورية لسعتها لم تكن تنقطع عن الحرب للدفاع عن نفسها من غارات البربر الذين كانوا يحيطون بها .

اغلق هذا الهيكل بعد انتصار قيصر اغسطس على انطوان واغلق قبل ذلك فى عهد قنصلية ماركوس اتيليوس وتيتوس مانيليوس ثم اعيد فتحة لتجدد الحرب اما فى عهد نوما فلم يفتح يوما ما وبقى محكم الغلق مدة ثلاثة وار بعين سنة اذ خمدت جذوة الحروب لافى روما فقط بل وفي كل مكان. ولم يكن الشعب الرومانى وحده الذى عملت به رقة وعدالة وشفقة الملك بل تأثرت بهذه الفضائل جميع المدن المجاورة كأن ريحا طيبة حملت نسمات السلام من روما الى جميع الشعوب فأخذ كل فى اصلاح شأنه وتهذيب خلقه وطابت نفس الجميع للاستمتاع

---

١ انظر سيرة روموليوس

بالرفاهية في ظل الشرائع الحكيمة والسلام يعمل لزراعة ارضه وتربية بيته وتكريم الآلهة . فلم يكن الانسان يرى في جميع انحاء ايطاليا سوى الاعياد والمراقص والولائم والتزاور بلا خوف والضيافة ، كأن حكمة نوما ينبوع غزير يفيض العدل والفضيلة على جميع العالم وكان الهدوء نشر من نفسه الوادعة فعم جميع القلوب لذلك يقال ان الشعراء رغم مبالاغاتهم لم يفوا وصف سعادة ذلك الزمن « لقد نسجت العنكبوت السمراء خيوطها على الحلق والزرد واكل الصداد الرماح باسنتها الحادة والسيوف ذات الحدين ، ولم يسمع صوت النفير يزعج النوم المادى من بين الجفون (١)

ولم تحدث فى عهد نوما حرب ولا فتنة ولا رغبة فى تغيير نظام الحكم . لم يجلب على نفسه بغض او حسد اى انسان فلم يجسر أحد على التآمر ضده أو احداث اى شغب وقد يكون ذلك خوفا من الآلهة التى منحت نوما رضاها باكثر من دليل . أو احتراما لفضائله أو هو الحظ الموفق الذى عصم الناس مدة حكمه من الدنس والفساد فكان حكمه مثلا ساطعا وبرهانا قاطعا على صدق تلك الحقيقة السياسية التى اجترأ افلاطون بعده بقرون على اعلانها وهى انه ليس خير للناس ولا انجع لشفاء امراضهم وآلامهم من أن تجمع الآلهة فى يد رجل بين السلطة والفلسفة فتعيد الى الفضائل قوتها وتنصرها على الرذيلة وما أسعد حظ الرجل الفاضل أو ما اسعد حظ من يسمع ويعى الكلمات التى تخرج من فم الحكيم ! بها لا يكون الشعب في حالة اكراه أو تهديد . ان الشعب الذى يرى في رئيسه اجمل مايقتدى به فى الفضيلة يحول وجهه راضيا نحو الحكمة تجمعه المحبة والوفاق فيمارس العدل والقناعة ليعيش تلك العيشة النقية السعيدة التى هى اكمل غاية ترمى اليها جهودنا فاولى الناس بالحكم هو الذى يعرف كيف يغرس في نفوس شعبه هذه العواطف

١ قطعة من قصائد باخيلين الموجودة فى مجموعة سنوية وهى غير كاملة هنالان ملوكارخيوس استملاها ذاكرته بدل ان ينقلها غير مدع الامانه فى النقل

ويحملهم على سلوك هذه الجادة . هذا ماافلح فيه نوما اكثر من أى ملك .

وقد اختلفت اقوال المؤرخين في عدد زوجات وابناء نوما فمن قائل انه لم يتزوج غير «ثاثيا» التى رزق منها ابنته الوحيدة بوبليا ومن قائل انه تزوج من سواها ورزق اربعة ابناء كانوا رؤساء لاكبر العائلات الكريمة فى روما وهم : بونبونيوس ، بينوس ، كالبوس ، مامير كوس ولكنهم يتهمون القايلين انهم ارادوا الزلفى لدى لهذه العائلات بنسبتها الى نوما . كما يقولون ان بوبليا ليست ابنته من ثاثيا بل من امرأة اخرى تدعى لوكريس تزوجها عند اعتلائه العرش . ومن قائل غير ذلك ولكنهم مجمعون على ان بوبليا تزوجت من مارسيوس وهو ابن مارسوس الذى اقنع نوما بقبول الملك وجاء معه ونال درجة السناتور (عضو فى مجلس الشيوخ) وهو الذى نازع بعد موت نوما ، تالوس هوستليوس ، الملك فقهر وانتحر اما ابنه فاقام فى روما ورزق ابنا دعاه انكوس مارسيوس الذى تولى الملك بعد تالوس هوستليوس ولم يكن عمره عند وفاة نوما أكثر من خمس سنوات . لم تحدث وفاة نوما فجأة بل اصيب بداء الهزال واطفأت الشيخوخة مصباح حياته شيئاً فشيئا وكان قد نيف على الثمانين

وقد زادت التكريمات التى حفت بجنازته جلال حياته اذ اجتمعت الشعوب الموالية فى روما يحملون الهدايا والاكاليل وحمل الشيوخ النعش على اكتافهم وسارت الكهنة فى جنازته ومعهم النساء والاطفال فصارت كأنها ليست جنازة مليك مات كبير السن . بل جنازة صديق عزيز اقتطفته يد المنون فى ربيع حياته يذرف الجميع الدمع و يرسلون نفثات الالم والانين . لم تحرق جثته لانه حرم ذلك على مايقال بل صنعوا له نعشين من الحجارة دفنا تحت الجانوكول وضعوا فى أحدهما الجثة وفى الآخر الكتب المقدسة التى خطها بيده كما كان يفعل المشرعون اليونانيون إذ يكتبون شرائعهم وكان فى حياته قد علم الكهنة ماانطوت هذه الكتب وشرحها لهم وامرهم أن يدفنوها معه لأنه لم ير من اللائق ان تصون

هذه الاحرف الميتة تلك الأسرار . يقال من أجل هذا السبب يأبى الفيثاغوريون كتابة مبادئهم بل يكتفون بتلقينها لمن يجدون فيه جدارة واستحقاقا .

وقد حدث أنهم القوا مرة الى رجل غير خليق بالعلم نظريات وشروحات هندسية لم تكن معروفة فغضبت الالهة وهددتهم بعقاب صارم تنزله على الشعب لما اجترؤه عليه من تدنيس وكفر

فلا يجب علينا بعد هذا التشابه ان نشدد النكير على القائلين أن نوما وفيثاغوروس كانا متعاصرين . يزعم انتياس انهم أودعوا النعش الثانى اثنى عشر كتاباً لاتينيا في الدين واثنى عشر كتاباً يونانياً في الفلسفة ويقال أيضاً انه حدث بعد أربعماية سنة أن هطلت الامطاد مدراراً ، وكان ذلك فى عهد قنصلية بوبليوس كورنوليوس وماريوس بابيوس فكشف المطر عن النعشين فوجد الاول فارغاً لااثر فيه للجثة أما الكتب فبقيت محفوظة فى الثانى وقد تناولها پاتيليوس وكان اذ ذاك يطالعها ثم اقسم امام الشيوخ انه ليس من الدين ولا من العدل نشرها بين الشعب فأحرقت

من مميزات رجال العدل والفضيلة ان يزداد مجدهم بعد موتهم اذ لايدوم الحسد بعدهم طويلا وقد يموت قبلهم ولكن النكبات التى توالت على خلفاء نوما زادت مجده بهاء وجلالا . اعقبه خمسة ملوك انزل خامسهم عن عرشه وقضى شيخوخته في النفى . ومات من الأربعة الأخر ثلاثة غدراً أما تولوس هو ستيليوس الذى تولى الحكم بعد نوما مباشرة فكان دأبه السخرية من سلفه ومن تقواه الدينية متهمة بتعويد الرجال النذالة وتخنثهم فحول انظار الرومانيين الى الحرب ولكن هذا الخنون لم يطل وانقلب الى نقيضه لما أصابه من مرض عضال فهوى حتى الاخذ بخرافات وترهات لا تتفق فى شيء مع تقوى نوما فانكره الشعب ولما انقضت الصاعقة على الملك فمات محروقاً ازدادت فى نفوس الناس المخاوف

الموازنة

بين ليكورج ونوما

اما وقد فرغنا من سرد سيرتي ليكورجوس ونوما فلنقارن بين الرجلين بلا تردد ولنظهر مابينهما من خلاف .

في أعمالهما مايكفي للدلالة على الفضائل المشتركة بينهما الحكمة مثلاوالرحمة وعلم صناعة الحكم والكفاية ، في تقدم الشعوب وما افتكره كل منهما في اسناد عمله إلى الالهة ذاتها ، أما اذا نظرنا اليهما من حيث اعمالهم الشخصية العظيمة ظهر الفرق بينهما . نوما يقبل الحكم وليكورجوس يتنازل عنه راضياً احدهما يناله بلا طلب والاخر يرده وهو بين يديه. احدهما اختاره شعب غريب ليكون ملكا عليه والآخر ملك يرد نفسه الى مقام العامة . جميل جداً ولا شك أن يحصل الانسان على الملكية جزاء فضله واجمل من هذا أن يؤثر الانسان الفضل على الملك. اذاع الفضل صيت نوما حتى جعله أهلا للملك ولكنه جعل ليكورجوس عظيما يحتقر الملك

واليك فارق آخر بين الرجلين لقد غنى كل منهما ، لو جاز لنا هذا التعبير، صوتاً يخالف الاخر ، احدهما في سبارطة شد اوتار الحكومة التي ارخاها الترف والخلاعة ، فاما الآخر فقد أرخى ماتوتر وتصلب في روما . وكانت الصعاب القائمة في وجه ليكورجوس من أشد مايلقى الانسان لم يرد مواطنيه على التجرد من دروعهم وسيوفهم بل أرادهم على التجرد من ذهبهم وفضتهم . واجتناب اسرتهم الوثيرة ومآدبهم الفاخرة . لم يجعل لهم من الاعياد والتقدمات عوضاً عن الحرب بل حملهم على ترك الملاذ واتعبهم بحمل السلاح والرياضة البدنية .أفلح

أحدهما في تحقيق غايته بفضل الاحترام والعقل، اما الآخر فقد اقتحم المخاطر وجرح غير مرة ولم يفلح إلا بعد جهاد طويل . اما الصوت الذى غناه نوما فكان منطوياً على الرقة والدعة فافلح فى تهذيب اخلاق الرومانيين ولطف من مزاجهم الثائر وحبب اليهم العدل والسلام . و اذا لم تكن لنا مندوحة عن نسبة قانون الرقيق « الهيلوزين » الى ليكورجوس وهو عمل غاية فى القسوة والظلم . فلا بد لنا من الاعتراف بأن نوما كان في تشريعه أسمى و أرقى ، فقد سن للعبيد والذين ولدوا فى العبودية أن يذوقوا معانى الحرية . شرع لهم الجلوس أيام (ساتورنال) الحصار الى موائد سادتهم يقاسمونهم ملاذها. واليه يرجع ذلك القول المأثور . يجب أن يكون للزارع نصيبه من محصول زراعته ويرى البعض فى هذه الشرعة رمزاً يراد به الاشارة لتلك المساواة التى كانت قائمة فى ايام ساتورن حيث لم يكن سيد ولا مسود وكان جميع الناس ينظرون إلى بعض نظر المساواة و الاخاء .

وجملة القول ان المشرعين قصدا الى حمل شعبيهما على القناعة والكفاف. اثر ليكورجوس فضيلة الشجاعة ونوما فضيلة العدل . ولعل اختلاف الشعبين اوجب اختلاف الطرق . لم يحمل نوما الرومانيين على اجتناب الحرب جبناً بل أراد منعهم الاضرار بالغير ولم يقصد ليكورجوس ان يخلق من السبارطين رجال اعتداء وبغى اذ جعلهم رجال حرب بل قصد إلى حمايتهم من غارات المغيرين .

اضطر كل منهما لاحداث تغييرات عظيمة احدهما للقضاء على المزيد والآخر لسد النقص . اما سبيلهما في تقسيم الشعب وتوزيع الاراضي والصناعات فقد ذهب نوما مذهبا ديموقراطيا حقيقيا يرضى الشعب فجعل من الصياغ والموسيقيين وصناع الاحذية شعبا خليطا جامعا بين الوانه ، وذهب ليكورجوس مذهبا ارستوقراطيا جعل الصناعات الآليه بين ايدى العبيد والاجانب وخص الوطنيين بالدرع والرمح . فكانوا رجال حرب وأنصار (مارس) (اله الحرب)

لايعرفون ولا يتعلمون سوى الطاعة لرؤسائهم والانتصار على الاعداء . حرم ليكورجوس على الاحرار الاشتغال بكل عمل تكون غايته الربح حتى اذا ماتحرروا عاشوا احرارا ابدا وخص العبيد والهيلوزين بالعمل لكسب الربح واعداد الولائم . أما نوما فلم يعمد الى شيء من هذه التفرقة ، اكتفاء بملاشاة حشع الجندى لم يحرم على اى الاشتغال بما يشاء قصد الاثراء ولم يعبأ بتذليل مشكلة التفاوت بين الناس وعدم مساواتهم . ترك الوطني حرا يجمع من المال مااستطاع غير مبال بما يحدث عن ذلك من الفقر والحاجة . اللذين كانا منتشرين في المدينة كان عليه ان يقاوم من اول الامر البخل حين كان التفاوت غير ملحوظ ، وكانت الثروات تتراوح بين الناس وفي الامكان تسويتها لو فعل ذلك لاتقى مااتقاه ليكورجوس من مضار هذه الشهوة التي اشتد خطرها في روما وكانت جرثومة الشقاء الذى حدث فيما بعد .

اما تقسيم الارض فلا لوم على ليكورجوس لاجرائه ولا لوم على نوما لعدم اجرائه . جعل احدهما هذا التقسيم قاعدة واساسا لجمهوريته . ووجد الآخر الاراضي حديثة العهد بالتقسيم فلا داع لاعادته وتعديل السابق منه اذا كان لايزال جاريا فى البلاد . ذهب كل منهما الى اشتراكية النساء والاولاد فنفيا بذلك المسلك الحكيم الغيرة من قلوب الازواج ولكن ذهب كل منهما في ذلك مذهبا خاصا . كان للرومانى الذى تكثر ابناءه ان ينزل عن زوجته لمن يشتهى ان يكون له ابناء مع الاحتفاظ بحرية تركها كل الترك او استردادها اما فى سبارطة فكان الزوج يبقى على زوجته في منزله و يبقى التزاوج على مقتضاه ، ثم يقرض اخرا زوجته و يمنحه حق الابوة ويحدث غالبا كما قدمنا ان الزوج يدعوا الى بيته رجلا يأمل ان ينتج ابناء على كل شيء من الجمال واللطف فيدخله على زوجته . فما هو الفرق بين العادتين ؟ يؤخذ من عادة السبارطين ان لا اثر فى قلب الزوج لذلك الداء الذى يزعج اكثر الرجال

ولسخطهم على زوجاتهم و بملاء حياتهم غيرتوحزنا اما عادة الرومانيين فانها تشعر بالخجل والحياء فالاختفاء تحت ستار التعاقد اقرار بانهم لايحتملون هذه المشاركة بلا ألم

جعل نوما البنات تحت رقابة قاسية وحتم عليهن عيشة معتدله لائقة بجنسهن . اما ايكورجوس فقد اطلق لهن حرية لاضرر معها كنهن صبيانا ؛ وكان غرضه السخرية بالشعراء الذين اطلقوا على بنات سبارطة « عاريات السيقان » ومن ذلك قول اوربيد فى ابيكيوس واندروماك

تغادر منازلهن جريا وراء الفتيان

فخاذهن عارية و . . . فى الهواء (تذوب شوقا للرجال) حقيقة ان شقات ثوب الفتاة لم تكن مخيطة من اسفل فتنفتح بحيث انهن لاتخطو خطوة دون ان يظهر ساقها كما يؤخذ من قول سوفوكل فى الابيات الآتية

والتى تبدأ تحس الشهوة وثوبها مفتوح من الجانبين

ينسدل على الساق التى تدعه بارزا ، تلك هرميون تظهر افخاذها للمارين »

ويقال ايضا انهن كانت على جانب كبير من الجرأة لاسيما على ازواجهن لهن السيادة التامة في منازلهن ، وفى المجالس تعطى لرآئيها بحرية في اهم المعضلات

تمكن نوما من أن يحفظ للرومانيات ما كن يتمتعن به في زمن روميولوس حين كان الازواج يحتالون كل حيلة لينسوهن حادثة الاختطاف فاحاطهن بسياج من الحياء منعهن كل سبيل للتطلع وعليهن الاحتشام والصمت ، وحرم عليهن الخمر بلا استثناء ولم يجز لهن الكلام حتى في اشد الاحوال لزوما الا بحضور ازواجهن . ويقال انه حدث مرة أن امرأة دافعت بنفسها عن قضية لها في المحكمة فارسل مجلس الشيوخ يستخبر ابولون فيما يتوقع للمدينة من هذا الحادث . ومن الادلة على لطفهن ودماثة اخلاقهن عناية الرومانيين بتدوين اسماء الناشزات كما يدونون اسماء المثيرين الفتن والحروب الاهلية والسفاكين الذين يقتلون والدا أوأخا

فيؤخذ مما دونوه ان اول من طلق امرأته هوسبوريوس كارفيليوس وكانت هذه الحادثة فريدة في بابها لم يقع لها شبيه مدة مايتين وثلاثين سنة منذ تاسيس روما. ومنذ شجر الخلاف بين تاليا زوجة بناريوس وحماتها جيجانيا. ولم يكن الرومانيون لينعموا بهذه السعادة العائليه لولا عناية المشرع واحكام نظام الاسرة وقوانين الزواج

اما السن التى يباح فيه للفتاة الزواج فهو واحد عندهما. ومن حيث التربية يأبى ليكورجوس ان يسلم الفتاة للزوج قبل ان تدرك سن البلوغ وتشعر الشهوة. أراد بذلك ان يكون زواجها الملائم لسنة الطبيعة من دواعي السعادة والحب لا دواعي البغض والخوف كما يحدث في حالة الا كراه والاعتداء على سنن الطبيعة فيتريث في ذلك حتى تبلغ الاجسام أشدها، فتقوى على احتمال الحمل وآلام الوضع لان الغرض الوحيد من الزواج فى عرفه هو اقامة النسل، وكان أكثر الرومانيين يزوجون الفتاة فى الثانية عشر وما دون ذلك واهمين ان المرأة فى هذه السن تكون أطهر جسما وأعف نفساً وأسهل قيادا لزوجها. ومن هذا ترى ان شريعة ليكورجوس أوفى الى نواميس الطبيعة يقصد بها إقامة النسل. اما شريعة نوما فأوفي الى سنن الآداب يقصد بها الحرص على التوفيق بين الزوجين

اما نظام تربيـة الاطفال واشتراكهم فى تلقى العلوم على معلمين معينين ورياضاتهم وألعابهم ومآدبهم وفى كل مايعين على تكوينهم وتهذيبهم فقد ارتكب نوما فى ذلك كله اخطاء المشرعين العاديين وتفوق ليكورجوس عليه فى ذلك ظاهر جد الظهور.

ترك نوما للوالدين حرية تربية أبنائهم على ماتشاء أهواؤهم ووفق حاجاتهم فيجعلونهم مزارعين ونجارين وحدادين ومطربين كأنه لايحبب توجيه الاولاد منذ نعومة أظفارهم الى غاية واحدة وأفراغهم من الاخلاق فى قالب واحد: أو كأنهم مسافرون (سفر) فى مركب لايفكر الواحد منهم الا فى حاجاته واغراضه

الشخصية ، لايشتركون فى مصلحة عامة الا أمام الخطر حين يخاف كل على نفسه وفيما عدا ذلك لايهمه سوى مصلحته الشخصية .

قد يغتفر للعامى من المشرعين خطأه عن جهل أو ضعف ولكن ، ألم يكن الا جدر برجل رفعته الحكمة الى تولى شؤون شعب حديث النشأة لاتقوم فى وجهه معارضة ، ان يعمل الفكر فى تنظيم تربية الاطفال ورياضة الشباب حتى يمحو من بنيها الفوارق الخلقية ويهذب مباديها ويوفق بين ميول رجال صبوا منذ حداثتهم فى قالب واحد من الفضيلة وصاروا على شاكلة واحدة ؟ تلك التربية المشتركة عدا مافيها من الفوائد هي التى حفظت شرائع ليكورجوس .

لم يكن ايمان السبارطين سوى وثائق واهية اذا لم تكن هذه التربية وهذا النظام قد طبعا شرائعه فى أخلاقهم .

اذا لم يرضعوا مع اللبن حسب هذا النظام . لما بقيت شريعة ليكورجوس مع كل ماتضمنته من الشؤون الهامة أكثر من خمسمائة سنة كالصبغة القوية اللون التى تخلل جميع أجزاء القماش . أو العكس بالعكس فقد اختفت شريعة نوما باختفاء صاحبها . اختفى ذلك السلام وذلك الوئام اللذين أقامهما فى روما ألم يكد يوارى التراب حتى فتحت أبواب الهيكل التى أغلقها واعتقل بها شياطين الحرب وسالت جوانبا ايطاليا بالدماء والمذابح . لم تستطع هذه الحكومة بالرغم من جمالها وعدلها البقاء طويلا لانها لم توثق برباط تربية الناشئة .

ولرب معترض يقول كيف ألم تزد الحروب مجد روما ؟ سؤال يحتاج الى جواب طويل لواردت اقناع أولئك الذين يرون مجد الامة فى الثروة والترف والسيادة .لا فى الطمأنينة والدعة والاعتدال والعدل . ولكن الذى يؤيد صلاحية مذهب ليكورجوس ان الرومانيين لم يبلغوا ماوصلوا اليه من سؤدد الا بابتعادهم عن شرائع نوما . فى حين ان السبارطين ما كادوا يتراخون فى الحرص على شرائع صاحبهم حتى دالت دولتهم وانحط شأنهم وبعد ان خسروا مملكة اليونان تعرضوا

بالخراب التام .

على انه لا بد لنا من القول اعترافا بمجد نوما انه لمن أعجب وأسمى الأمور ان يدعى أجنبي الى حكومة شعب فيتمكن من تبديل نظام بغير شيء سوى الاقناع دون ان يلجأ الى سلاح أو اكراه كما فعل ليكورجوس فى استخدام الاشراف ضد الشعب ، وتمكن من حكم مدينة تمزقها الفتن المتضاربة . وجعل الحكمة والعدل سبيلة لتوحيد كلمة الشعب والتأليف بين عناصره بشد أواصر الصداقة ؟

صولون

من آخر سنى القرن السابع ق . م . الى وسط القرن السادس

جاء ويديم النحوى(١) فيما كتبه عن قوانين صولون ، رداً على اسكلبياد(٢) بعبارة لرجل يدعى فيلوكلس (٣) خالف فيها جميع من كتبوا عن صولون ، زاعماً أن والده يدعى ايفوريون . والحقيقة المجتمع عليها هي انه ابن اجزستيد ، رجل متوسط الحال والثروة فى المدينة ولكنه من اعرق بيوتات اثينا واجزستيد من سلالة كوردوس . اما والدته فهى على ماقال هيراقليد اليونتى (٤) ابنة عم والدة بيزستراتس . وكان الود متصلا بين هذا وصولون لالما بينهما من قربى بل لما كان عليه بيزستراتس من خلق طيب وجمال ، حبب فيه صولون. وكان هذا الود سبباً لعدم انقلاب الخلف السياسى الذى شجر بينهما الى بغض ، ولقد بقيت في نفوسهما حقوق الرابطة القديمة كما يبقى بعد النار شرر يأتلق .

لم يقو صولون على مقاومة الجمال . كان جباراً ولكنه ضعيف الحيلة أمام الحب وشعره ناطق بضعفه وكذلك شرائعه التى حرم فيها على العبيد أن يدلكوا اجسادهم دون أن يغتسلوا و يتحببوا للشبان . رفع بذلك هذه الرابطة الى مقام العواطف الشريفة الممدوحة وحرمها على من لا يستحقونها وكأنه دعا اليها اللائقين

---

(١) نقاد من مدرسة اريستارك ، ولد فى الاسكندرية وعاش فى عهد الامبراطور اغسطوس

(٢) نحوى من مدرسة ابوللونيوس من ميرفى بيتينيا وبلغ قمة شهرته فى عهد يوليوس قيصر

(٣) لاندرى عن ابن فيلوكس يتكلم فلوطارخوس . وجد شاعران جديان وشاعر مجونى بهذا الاسم . وعاش الثلاثة فى عصر بريكلس . وكان فيلوكلس فيلو بابتيس ابن اخ اشيل .

(٤) فيلسوف يونانى فى القرن الرابع ق . م . ولد فى هيرا كله فى اليونت وتتلمذ لافلاطون وسبزيب وارسطو . له مؤلف عن هوتيروس ويظهر انه غير ثابت له . وقطع من مؤلف عن انظمة الدول .

بها . ويقال ايضاً إن بيزسترات كان عشيق خالمرموس وانه دشن تمثال الحب المقام فى الاكاديمية بالقرب من المكان الذى يوقد فيه المشعل المقدس فى السباق العمومى .

قال هرميبوس إن صولون ورث ثروة ذهب احسان والده وكرمه بكثير منها . ولم يكن بلا اصدقاء على استعداد تام أن يقدموا اليه المال ولكنه كان من اسرة اعتادت أن تعطى لاأن تأخذ ، لذلك كان يخجل ان يتقبل شيئاً . وإذ كان شاباً أقدم على التجارة . ويقول البعض إن صولون لم يتنقل بين انحاء العالم للكسب والاثراء بل للمعرفة والعلم . والواقع أنه كان يحترف صناعة المواهين بالعلوم وكان يكرر عند شيخوخته « انى ازداد كل يوم علماً كلما تقدمت في السن ».
لم يكن ممن تبهرهم الثروات فمن قوله إنه لافرق عنده بين ... صاحب الفضة والذهب والحقول وافرة الحصاد والخيول والبغال و بين رجل لايملك سوى معدة سليمة وعضلات قوية وأقدام خفيفة . يضاف اليها أبناء و زوجة

بين الشباب وفى ربيع الحياة هذا هو الحظ الموفق وقال في مكان آخر

نعم انى أريد الثروة ولكنى لاأريدها من الظلم

لابأس على الرجل الطيب والوطنى الصادق أن يحتفظ بمقام وسط . لايتعلق بالكماليات ولا يحتقر الضرورى وما يسد الحاجة

لم يكن فى ذلك الوقت كما قال هزيود (١) مامن عمل يخجل ولا تفرق الصناعات

بين اقدار الرجال وكانت التجارة محترمة تفيض على الأجانب خيراتها وتكسبهم صداقة الملوك وتعود عليهم بالخبرة الواسعة . وقد عرفنا كثيراً من التجار أنشئوا مدناً كبيرة . فقد أنشأ بروتوس مارسليا بعد ان استوثق من صداقة الغاليين الذين يسكنون شواطىء الرون . ويقال إن تالس وهيبوقراط الرياضي (٢) اشتغلا

١ كتابه الاعمال والايام ٢ لايعلم عنه شيء

بالتجارة . وكان افلاطون يبيع الزيت فى مصر ليسد نفقات رحلاته . ونعتقد ان اسراف صولون وحياته الناعمة الشهوانية واستهتاره فى شعره واباحته فى كلامه عن الشهوات بطريقة لاتليق بحكيم لم تكن سوى نتائج اشتغاله بالتجارة . فهى مهنة تعرض صاحبها لاخطار جسيمة ولكنها تعوض عليه بما تعطيه من الملاذ والملاهى واليك عبارة من كلامه وضع فيها نفسه فى جانب الفقراء لاالاغنياء

ماأكثر الاشرار الاغنياء والصالحين الفقراء .

أما أنا فلا أقبل ان أبادل أولئك فضيلتى بثروتهم . ان الفضيلة تلازمنا ابدا .

أما الثروة فلا تنقطع عن التنقل من يد لاخرى .

بدأ صالون صناعة الشعر قصد التلهى والتسلية فى أوقات فارغة لذلك لم يعن بالموضوعات الجدية من ثم أخذ ينظم المبادىء الفلسفية وأدخل فى شعره أكثره من لمحة من ارادته السياسية لاللتاريخ ولا للذكرى بل ليعتذر بها عن سلوكه . ولكي يحث الاثينيين ينصح لهم وينتقد اعمالهم . وقيل ايضا إنه نظم شرائعه شعرا بدأها بما يأتى

أبدأ بالتوسل الى الملك جوبتير بن ساتورن

ان يمنح هذه الشرائع التوفيق والمجد

جرى على عادة حكماء ذلك العصر بالعناية بذلك الجانب من الفلسفة الادبية الخاص بالسياسة . أما الفلسفة الطبيعية فلم يعد فيها المبادىء الاولية لا أكثر ؛ واليك مايؤيد ذلك :

« يأتى الثلج والبرد من القمر

والصاعقة من البرق المتطاير شرراً

والرياح تثير عجاج البحر الذى لاتهيجه نفخة

وهو أهدأ العناصر »

والواقع انه لم يكن في ذلك العصر من يشتغل بالعلوم الطبيعية سوى تالس

فتفوق على جميع معاصريه أما الاخرون فلم يكتسبوا شهرتهم الا من وراء علومهم السياسية

ويقال ان الحكماء السبعة اجتمعوا مرة فى دلف واخرى فى كورنتوس حيث دعاهم باريان وادب لهم وليمة . ولم تدع شهرتهم ومجدهم أكثر من ارسال كل منهم المقعد الذهبي الثلاثى القوائم الى زميله بالتعاقب. وحكاية ذلك ان جماعة من قوس طرحوا شبكتهم فى البحر فاشترى جماعة غرباء من أهالى ميلا مافيها قبل ان يرى الصيادون مااحتوت عليه . واذا بالشبكة مقعد ثلاثى القوائم من الذهب يقال إن هيلانة ألقته فى البحر تنفيذاً لامر الوحى عند عودتها من ترواده شجر بسببه نزاع بين الصيادين والاجانب ثم امتد الى أهالى المدينتين فجرد كل سلاحه فى وجه الاخر حتى كادت الحرب تقع بين الفريقين . ولكن الكاهنة التى اتفق الفريقان على استشارتها قالت باعطاء ذلك المقعد الى أوفر الحكماء حكمة فأرسلوه أولا الى ميلا برسم تالس . فقبل أهالى قوس اعطاء ما كادوا ينازعون الميلازيين جميعا عليه بالسلاح الى رجل واحد معين . ولكن تالس قال ان بياس أوفر منه حكمة وأرسله اليه . ورأى لياس ماراه زميله فارسله الى آخر وهكذا السبعة . وبعد أن تداول الجميع ذلك المقعد عاد ثانية الى تالس . ثم نقل من ميلا الى طيبة وكرس لابولون الاسمانى . ولكن تيوفراشت يزعم أنه أرسل أولا الى بياس وبعد ان طاف جميع الحكماء عاد اليه . ثم نقل الى دلف . هذه هى الرواية المشهورة ولكن البعض يزعم انه لم يكن مقعدا بل كان إناء أرسله كراسوس ويزعم غيرهم انه كان من ميراث باتكاس .

تعرف صولون بكل من اناخرسيس وتالس وله معهما أحاديث تروى عنهم جاء اناخرسيس الى أتينا وذهب الى بيت صولون وقرع بابه قائلا انه أجنبى يخطب صداقته وضيافته فأجابه صولون اولى بك ان يكون لك أصدقاء فى وطنك

٢ ـ لا يعلم عنا شيء

لا في الخارج » فقال أناخرسيس « بما انى في بيتك أجعلنى صديقك وضيفك » أعجب صولون بسرعة خاطره فأكرم وفادته واستضافه زمنا وكان حينذاك مشتغلا بالاعمال العمومية بعد شرائعه وأطلع ضيفه على مايعمل فسخر من المشروع ومما يحسبه صولون من كفاية القوانين المكتوبة لردع مواطنيه عن الظلم والفساد لاعتقاده ان أمثال هذه الشرائع أشبه شيء بنسيج العنكبوت تأخذ الضعفاء الصغار فيقفون عند حدها أما الاقوياء والاغنياء فانهم يمزقونها و يتجاوزونها فقال صولون « ان الناس يحرصون على مايتفقون عليه اذا لم تكن هناك مصلحة لاحد في الاخلال به . وستكون شرائعي ملائمة لمصالح جميع الوطنيين بحيث لايجد أحد لنفسه خيرا في الاخلال بها أكثر من الطاعة لسننها » . ولكن الحوادث أثبتت صحة نظر انا خرسيس وباء صولون بالخيبة . وقال أناخرسيس بعد حضوره جلسة عمومية » يدهشني من الاثينيين ان الحكماء ينصحون والمجانين يقررون »

وذهب صولون الى ميلالزيارة تالس وأبدى له دهشته من امتناعه عن الزواج وحرمان نفسه من الاولاد . لم يجبه تالس لفوره ولكنه بعد ايام قدم اليه أجنبيا قال له إنه آت من أثينا و إنه لم يبرحها الا منذ عشرة أيام . سأله صولون اذا كان لم ير شيئاً جديداً في اثينا فاجابه الرجل وكان تالس قد لقنه ما يأتى . لا شيء جديداً الا وفاة شاب مشت المدينة كلها في جنازته ، قيل إنه ابن رجل عظيم معروف بحكمته وعدله وإن والده ليس فى أثينا بل في رحلة من زمن بعيد . فقال صولون ما اتعس ذلك الوالد . ثم سأل الاجنبى وما اسمه ؟ — سمعت باسمه ولكنى نسيته وأذكر فقط أنهم كانوا يلهجون بذكر عدله وحكمته وفضله . أخذت هذه الاجوبة تزعج صولون حتى تمالك ان سأل الاجنبى ألم يكن الميت ابن صولون ؟ فاجاب الاجنبى نعم . لطم صولون عند سماعه هذه الكلمة رأسه وأخذ ينتحب انتحاب من نزلت به شر الويلات . حينئذ أخذ تالس بيده وقال له ضاحكا هذا ياصولون ما أبعدنى عن الزواج والاولاد . خشيت الضربة التى أوجعتك وأنت أثبت

ارجال . اطمئن ليس فيما سمعت شيء من الصدق . (١) . هذا ما رواه هوميبوس عن باتيكوس (١) الذى يدى أنه ورث زوج ايزوب على أن الامتناع عن اجتياز الضرورى خشية ضياعه خطأ ضد العقل والقلب . ولو صح هذا لكان من الواجب أن لا نحب شيئاً من الثروة أو المجد أو الحكمة . ان الفضيله ذاتها وهى أثمن وأسمى الخيرات قد ينتزعها منا المرض والشراب . وتالس ذاته بامتناعه عن الزواج لم يكن فى مأمن من المخاوف الا اذا كان متطوع الصلة بينه و بين أهله وأصدقائه ووطنه. ولكنه لم يكن على شيء من ذالك اذ تبنى ابن اخته سيبسنوس لان في نفس الانسان غريزة العطف يتنازعها الحب والاحساس والفكر والذكرى تستعيض أغراضها الطبيعية التى تعوزها بروابط خارجية تسعى لها وتكون أشبه شيء بمنزل أو أرض ليس لها وريث شرعى فترحب بالاجانب وأولاد الزنا يتدخلون فيها بالحيلة والتحبب و يستولون عليها ومتى استقرت بهم الحال ادخلوا الى النفوس بعلاقاتهم هذه الرغبة فى الحرص عليهم والخوف من ضياعهم وما أكثر من نراهم اليوم يسخرون من الزواج والاولاد ثم نراهم اذا فجعوا بابنائهم من خادماتهم أو محظياتهم أو رأوهم مرضى انخرطوا فى الحزن والالم على مالا يليق بالقلوب الشريفة . ومنهم من اذا أصيب في كلب أو حصان حزن له حزنا مخجلا مميتاً . بينا نرى غيرهم اذا احتسبوا في ابناء فضلاء يتأسون و يقضون بقية حياتهم في اعتدال لا بأس به . من الضعف لا الحب ، ان يسترسل الانسان فى الحزن والخوف الشديد وليس لنا من العقل عدة ضد الحظ . انا لا نعرف كيف نستمتع بالحاضر ؛ . وللمستقبل يروعنا بالآلام والضيقات لمجرد التفكير فى ضياعه يوما ما . فلا نسرع الى الفقر او عدم المبالاة او العزوبة خشية ضياع ثروتنا او أصدقائنا او أولادنا . يجب أن نستمد قوانا من العقل . و كفى بهذا مناقشة فى هذا الموضوع .

---

١ لعله فيثاغورى لا نعرف عنه شيئا

مل الاثينيون هرو بهم الفنيمة ضد الميجار يين لاسترداد جزيرة سلامين فأصدروا مرسوما يقضى بالموت على من يقترح شفويا أو كتابة المطالبة بها . ساء صولون هذا الجبن و رأى الشبان أو أغلبهم لا يطلبون سوى صحبة يتذرعون بها لمعاودة القتال. غير أنهم لم يجرءوا على التقدم خوفا من ذلك القانون . فادعى الجنون وأذاع بواسطة أهل بيته انه فقد صوابه . وأعد فى الخفاء قصيدة استظهرها على لوح قلبه وخرج فجأة من منزله وعلى رأسه قبعة (١) وجرى الى الساحة العمومية وتبعه الشعب جماعات وهناك اعتلى صخر الخطابة وأنشد قصيدته التى مطلعها :

أتيت مناديا من سلامين الجميلة
وقد ألفت لكم هذه الاشعار بدلا من خطبته

ولقد أطلق على هذه القصيدة اسم سلامين وهي مؤلفة من مائة بيت غاية فى الجمال .

ولما انتهى صولون من انشادها صفق له أصحابه ، و بلغ من تشجيع بيزستراس للاثينيين على الأخذ برأيه ان ألغى المرسوم وأعلنت الحرب وعين صولون قائداً للجيش .

أما الرواية الشائعة عن ذلك فهى أن صولون أبحر مع بيزستراس الى كولياد حيث كانت الاثينيات يحتلفن بعيد الالهة سيريس . ومن هناك ارسل رجلا ممن يثق بهم الى سلامين مدعيا انه هارب واقترح على الميجار يين انهم اذا شاءوا ان يستولوا على خير نساء اثينا فليسافروا معه الى كولياد . صدقه الميجاريون واسرعوا من فورهم الى سفينة ملئوها جنوداً . وإذ رآى صولون ان سفينتهم غادرت سلامين سحب النساء والبس المرد من الشباب ثيابهن وعصاباتهن

١ هى غطاء رأس المرضى. والقبعة من الوقايات الطبيه التى أوصى بها افلاطون فى الجزء الثالث من كتابه الجمهوريه.

وأحذيتهن فأخفى المرد خناجرهم تحت الثياب وذهبوا بناء على أمره يلعبون و يرقصون عند الشاطىء الى ان نزل الجنود ولم يبق للسفينة سبيل للنجاة من أيديهم . خدع الميجاريون بهذا المشهد وتسابقوا لاختطاف اولئك النساء المزعومات ولكنهم قتلوا عن آخرهم ، ثم أبحر الاثينيون الى الجزيرة واستولوا عليها . و يزعم البعض أن صولون سلك في ذلك طريقا آخر . أوحى اليه دلف. ان استمل اليك بالهدايا الابطال من الاهالى وسادات البلاد

ممن يضمهم ازوبوس فى حضنه
ومن يجعلون قبورهم نحو الغرب

فذهب صولون الى سلامين ليلا وذبح الضحايا للبطلين بارايفاموس وسيشره ثم قدم اليه الاثينيون ثلثمائة متطوع ضمن لهم حكومة الجزيرة برسوم اذاهم استولوا عليها أنزلهم صولون فى قوارب صيد تحرسهم سفينة بثلاثين مقذافاً . وألقى المرسى تجاه أوبا . لم يعلم الميجاريون المقيمون هناك عن حملته سوى اشاعات مضطربة ففزعوا الى سلاحهم فى غير نظام وبعثوا بسفينة تستكشف الخبر . دنت السفينة من عمارة الاثنيين فاسرت . قتل صولون من كان بها من الميجاريين وأحل محلهم جماعة من أشجع جنوده وأرسلهم الى سلامين وأوصاهم ان يتنكروا جهد المستطاع وسار ببقية جنده برا لمحاربة الميجاريين . و بينا هو مشتبك معهم فى القتال فاجأ رجال السفينة سلامين وأخذوها عنوة . تؤيد العادات المتبعة هذه الرواية . ففى كل سنة تذهب سفينة متنكرة من أثينا الى سلامين ويسرع أهالى الجزيرة في هرج واضطراب لملاقاتها وحينئذ يقفز أثيني الى البر شاهراً سيفه و يصيح صيحات عالية فى وجه القادمين . يحدث ذلك عند قمة سيراديوم . ويشاهد على مقربة من ذلك المكان هيكل مارس الذى أقامه صولون بعد انتصاره على الميجاريين .

أما الذين نجوا من الموت فبقوا أحراراً بفضل معاهدة ولكن الميجاريين أصروا على استرداد سلامين . و بقى الشعبان ينزل كل منهما بالآخر مافى وسعه

من شر . ولكنهم قبلوا أخيراً ان يحكموا الاسبارطين في الامر وارتضوا حكمهم ويقال ان صولون استشهد في خصومته بهوميروس ودس عليه أشعارا فى بيان السفن وروى أمام القضاة .

قادأجاكس من سلامين اثنتي عشرة سفينة وجعلها فى مصاف جنود الاثينيين.

ولكن الاثينيين يهزءون بهذه الرواية ويؤكدون ان صولون أثبت للقضاة ان فيلاوس واديزاسيس ابنى اجاكس لما نالا حقوق مدينة أثينا نزلا عن الجزيرة للاثينيين وأقاما فى أتيكا . فأقام أحدهم في بروروم والآخر فى ماليتا وان فيلاوس أعطى اسمه لقرية الفيلاين التى منها بيزستراس .

ولكي يجهز صولون على كل حجة للميجاريين استشهد بطريقة دفن الميجاريين لموتاهم وهم فى ذلك يشبهون الاثينيين ويختلفون عن الميجاريين . يوجه الميجاريون موتاهم نحو الشرق اما الاثينيون فانهم يوجهونهم نحو الغرب . حقيقة ان هراياس قرر انهم فى ميجاريا يحولون وجوه الموتى الى الغرب وزاد على ذلك برهانا مقنعا وهو انهم فى اثينا يخصون كل ميت بنعش اما فى ميجاريا فانهم يضعون في النعش الواحد أربعة أو خمسة . ولكنهم يزعمون ان صولون أيد مطلبه بوحى الكاهنة التى دعت سلامين « يونيين » وكان الحكم فى هذه القضية خمسة من الاسبارطيين

وهم كريتولايداس . امونفارثيوس . هبسشيداس اناجزيلاس . كليومين

عاد صولون من هذه الحملة متوجا باكاليل المجد . وقد زادت سمعته شهرة ولهجت الناس باسمه والاعجاب به بعد الخطاب الذى ألقاه عن هيكل دلف قائلا « يجب ان تدافع عنه ولا نحتمل مايفعله السيرهيون تدنيس الوحى . وانه احتراما للاله يجب اسعاف دلف » قبل المجلس الاعلى الانفكتيون هذه الدعوة وأعلنا الحرب على السرهيون . هذه حال يشهد بها كثير من الكتاب بينهم ارسطو في مؤلفه بثيونيك ـ وقد ضاع هذا المؤلف ـ حيث يعزو هذا القرار الى صولون . على ان صولون لم يعين قائدا في هذا الحرب بالرغم مما زعمه ايفانت الساموسى (وهو

كاتب غير معروف) الذى استشهد به هرميباس . ولم يقل اشين الخطيب شيئا عن ذلك . ويؤخذ من سجلات دلف ان الـكيميون لاصولون هو الذى تولى قيادة الاثينيين فى هذا الحرب

كان الرجس السيلونى يحدث فى اثينا كثيراً من الاضطرابات وكان شركاء سيلون قد لجئوا الى هيكل منرفا فتمكن ميجالس الحاكم من اقناعهم بان يتقدموا للمحاكمة فربطوا خيطاً بتمثال الآلهة وأمسكوا به ونزلوا ، واذ صاروا على مقربة من هيكل الآلهة المحترمة (١) انقطع الخيط من تلقاء نفسه . فقبض عليهم ميجالس ورفاقه بحجة ان الآلهة أبت ان تحميهم فأنزلوا العقاب بمن كان خارج الهيكل أما الذين فروا فقد ذبحوا أمام « المذبح » ولم ينج منهم الا الذين رموا بأنفسهم تحت أقدام نساء الحكام . ومن ذلك الحين دعي الحكام أرجاساً وصاروا موضع بغض الجمهور . عادت الثقة بعد ذلك الى من بقى من انصار سيلون واستمروا فى عدائهم لخلفاء ميجالس . بلغت الفتنة أشدها وانقسم الشعب بين الحزبين فتدخل صولون ، الذى كانت شهرته قد عظمت بين الجميع فى المسألة وتمكن بمساعدة كبار الاثينيين بالتوسلات تارة واللوم أخرى من حمل المدعوين ارجاساً الى قبول تحكيم ثلثمائة من افاضل الوطنيين . فحكم على الارجاس بناء على اتهام ميرون وفيلى . وحكم على الاحياء منهم بالنفى . فنبشوا قبور الموتى والقوا رفاتهم بعيداً عن اراضى اتيكا .

انتهز الميجاريون فرصة هذا الاضطراب وهاجموا الاثينيين وطردوهم من « فيزه » (٢) واستردوا اسلامين اجتمع مع هذه الويلات ما كان يملأ القلوب من مخاوف وهمية : ذلك أن اثينا امتلأت أرواحاً طائفة . وقال العرافون بعد فحص الضحايا بوجود رجس ودنس يجب التطهر منهما فاحضرا بيميند الغستى من كريت وهو سابع الحكماء فى نظر من لا يعد منهم بيرياندد . وكان معروفاً «عزيز الآلهة» .

(١) لقب ايمونيده وكان هيكل فى كولون ٢ مدينة واقعة على خليج كورنت

وكان ضليعاً فى علوم الوحى والاسرار . وكان يدعى فى حياته ابن العذراء « بالته» وكوريت الحديد وقد وصل اثينا صادق صولون وساعده فى وضع شرائعه . ومهد له السبيل بتعويد الاثينيين الاقلال من النفقات فى التقاليد الدينية والاعتدال فى الحداد . نفرض تقدمات للجنازات بدلا من العادات الوحشية التى كانت تقوم بها بعض النساء الى ذلك الحين . والمهم ما اصطنعه من التطهيرات والتقدمات وانشاء المعابد طهر المدينة تطهيراً تاماً وابعد عنها الرجس والظلم وجعل الاهالى أكثر استعداداً وقبولا للاتحاد والسلام .

ويروى أيضاً أنه لما رأى مونيشى وأنعم فيه النظر طويلا قال لرفاقه « ان الرجل أعمى عن المستقبل لو استطاع الاثينيون ان يدركوا ما يجره هذا المكان على مدينتهم من الويلات لهدموه »

ويقال أن تالس أحس ايضاً بمثل هذا الشعور وأمر أن يدفن فى مكان صحراوى قاحل من ميلازيا . متنبئاً بان هذا المكان سيصير يوماً ما ساحة ميلازيا العمومية .

أراد الاثينيون اعجابا بابيمنيد أن يغمروه بالتكريمات والهدايا ولكنه لم يطلب سوى غصن من شجرة الزيتون المقدسة فقدم اليه وعاد الى كريت .

انتهت الفتنة السيلونية بانتقاء الارجاس ولكن اثينا عادت الى الاختلافات السياسية القديمة . ووجدت في المدينة أحزاب عداد ما فى اتيكا من اراض مختلفة أراد أهالى الجبل حكومة شعبية . وفضل أهالى السهل حكومة اوليجارشية (حكومة جماعة) وبقى سكان الساحل وهم خليط من الحزبين يحولان بين انتصار أحدهما على الآخر . هـذا وكان ما أحدثه تفاوت الثروة بين الفقراء والاغنياء من الشقاق على أشده وكأن المدينة فى هذا الموقف الحرج لم تجد من سبيل لاعادة الطمأنينة والنجاة من الخراب سوى الاستسلام لحاكم مستبد . كان الشعب كله رازحا تحت عبء ما كان عليه من الديون للاغنياء وكان المدين يشتغل لدائنه

ويعطيه سدس المحصول . وكان يدعى هؤلاء السدسيون او المستأجرة وكان غير هؤلاء يقترضون برهون على اشخاصهم ويحكم بهم لدائنهم فيبقون عبيدا فى اثينا أو يباعون فى الخارج وكان الكثيرون يضطرون لبيع أبنائهم لا يحميهم قانون ، أو يهربون من المدينة نجاة من قسوة المرابين . اجتمع منهم عدد كبير من اولى العزيمة الصادقة واحتجوا على هذه الاهانة واعتزموا ان يعينوا على انفسهم رئيساً حقيقاً بثقتهم وان يذهبوا تحت قيادته لانقاذ المدينين الذين لم يستطيعوا الوفاء وإن يعيدوا تقسيم الاراضى ويغيروا هيئة الحكومة .

حول العقلاء من الاثينيين فى هذه الازمة انظارهم إلى صولون لانه الرجل الوحيد الذى لم تقع عليه شبهة . لم يشترك فى مظالم الاغنياء ولم يختر شخصياً حالة الفقراء . رجوا اليه ان يتولى الامر وان يضع حداً لهذا الخلاف . قال فانياس دى لسيوس (١) ان صولون انقاذاً للمدينة خدع الحزبين معاً . وعد الفقراء خفية بتوزيع الاراضي والاغنياء بتثبيت ديونهم ، مع انه يقول ان صولون تردد كثيراً فى قبول هذه المهمة خشية بخل هؤلاء وقحة اولئك .

مهما يكن من الامر فقد انتخب صولون حاكما بعد فيلومبروتوس وصار حكما فى الاتفاق ومصلحاً للشرائع وصادف هذا الانتخاب قبولا من جميع الاحزاب الاغنياء لان صولون كان غنيا والفقراء لانهم يعرفونه رجل خير . وقد ذاع عنه قوله إن المساواة لا تحدث الحرب . كلمة طابت لها نفوس الاغنياء والفقراء . رأى فيها الاغنياء ان المساواة أساسها الجدارة والفضيلة . ورأى فيها الفقراء تسوية عادلة حسب الانفس ، رأى الحزبان موضعاً لآمال كبيرة . عرض الرؤساء على صولون الحكم المطلق وألحوا عليه فى إدارة حكومة مدينة يسيطر عليها . حتى أن الذين لم يعنهم أمر هذا الحزب أو ذاك ، أولئك الذين لم يكونوا يتوقعون من الحكومة أو التشريع تغيراً صالحا يحدث بلا خطر ولم يحجموا عن تقديم السلطة التامة الى

١ من تلاميذ أرسطو وتذكر له مؤلفات فى التاريخ والطبيعة.

أعدل وأحكم رجل . ويقال إن صولون تلقى من بيتو الوحى الآتى:

اجلس ، ايها البحار ، وسط المركب

ودبر سيره . سيخلص لك أكثر من واحد في اثينا.

وقد عاب عليه كثير من أصدقائه خوفه من كلمة (مملكة) كأن الحكومة المطلقة التى تكتسب بالفضيلة لا تصير ملكية مشروعة . ألم تر لذلك مثلا فى أوبا فى شخص تيونونداس ؟ ألم تقلد ميتيلين ، بتاكوس الحكم المطلق ؟ ولكن كل هذه الاقوال لم تنل من صولون . فكان يجيب أصحابه بقوله ان المطلقة بلد جميلة ولكن لا منفذ لها . وقال فى أشعاره مخاطبا فوكوس

. . . اذا كنت قد أنقذت وطنى

(لان قسوة الاستبداد لم تدنس يدى)

اذا كنت لم أسود (أو أظلم) ولم أشن مدى .

فانى لا أندم على ذلك . لانه يلوح لى انى بهذا تغلبت على جميع الرجال . . .

ويرى من هذا انه كان حتى قبل نشر شرائعه ممتعاً بالاحترام والاجلال على انه يذكر فى أشعاره الاقوال التى كانوا يسخرون بها منه لرفض الحكومة المطلقة

لم يكن صولون حكيما ولا عاقلا

رفض ماقدمته اليه الآلهة من خيرات .

ولما أخذت السمكة نظر اليها مبهوتا ولم يسحب الشبكة . .

لقد ضاع صوابه وحار في أمره

على انه كان يريد لامتلاك هذه الكنوز ،

والحكم ولو يوما واحداً على أثينا

ان يسلخ جلده حيا وان يهلك جميع أبناء جنسه

بمثل هذا كان يعبر عما يقول فيه الغوغاء والاشرار

لم يكن رفض الحكم المطلق ليدفعه الى اللين والموادة . لم ينزل عن شيء للاقوياء ولم يملق فى قوانينه الذين انتخبوه . لم يضع الدواء على الاعضاء السليمة ولم يرد ان يقطع من لحم الحى ، خشية انه اذا قلب المدينة رأسا على عقب لايجد من القوة مايكفى لاعادة تنظيمها واصلاحها . لم يضع من القوانين الا مارأى فى وسعه ان يجعله مقبولا بالاقناع أو الثقة جامعا بين القوة والعدل كما كان يقول . وقد سئل مرة هل سن للاثينيين خير الشرائع فقال « نعم خير مايسن لهم »

كان الاثينيون على ماهوملحوظ يلطفون من فظاعة الاشياء باعطائها أسماء شريفة طاهرة . مثال ذلك انهم كانوا يدعون المومسات صديقات ، والضرائب اعانات ، وجنود الحامية حراساً ، والسجن بيتا . ويكاد يكون من المؤكد ان هذه من اختراعات صولون . وكان يدعو الغاء الديون ، تسديداً وهذا أول إصلاح أحدثه فى الدولة . فالمرسوم يقضى بالغاء الديون السابقة وتحرير رقبة المدينين من التعهدات ومن كل اكراه بدنى . على ان البعض و بينهم ان روسيون (١) يقول ان صولون لم يلغ الديون بل أنقص فوائدها وان الفقراء الذين خفت عليهم وطأتها هم الذين دعوها تسديداً . و يقول ذلك البعض ان الذى أتم مفعول القانون هواعلاء قيمة النقود : كان « المين » يساوى ثلاثة وستين درهما فجعله مائة . بحيث ان المدينين يسددون القيمة الاسمية ولكنها أقل قدرا وبذلك ربحوا كثيرا ولم يخسر الدائنون شيئا .

على ان المتفق عليه عموما هو ان التسديد كان إلغاء حقيقيا لجميع الديون . مما يؤكد ذلك قول صولون ذاته فى قصائده مفاخرا بانه ألغى من اتيكا قوائم الرهونات العقارية فالاراضى التى كانت مرتهنة اصبحت خالية وقد أعدت الوطنيين الذين حكم بهم شخصيا لدائنيهم من البلاد الاجنبية حيث لم يكن لهم مأوى ولم يتكلموا لغة اتيكا . وقد حررت رقبة الباقين الذين كانوا يعيشون فى

١ له مذكرات عن اتيكا . وقد ذكره بوزانياس . ولم يعرف زمن وجوده

وطنهم أرقاء أذلاء (١)

لقى صولون من عمله هذا اشر مايبتلى به من الكدر . بينما كان يشتغل بالغاء الدين و يبحث عن عبارات ملائمة يصوغ بها مرسومه ويضع لها مقدمة مناسبة اطلع ثلاثة من أصدقائه على مشروعه وهم « كونون » و « كلينياس » و « هيبو نيكوس » موضع ثقته قائلا لهم إنه لا يمس الاراضى وانه سيلغى الديون . اغتنم هؤلاء الثلاثة الفرصة وسبقوا صدور المرسوم فاقترضوا من الاغنياء مبالغ طائلة واشتروا أراضى . فلما صدر القانون احتفظوا باملاكهم ولم يسددوا شيئا من ديونهم فأثار هذا الخبث شكوى مرة ضد صولون واتهموه لابان اصحابه خدعوه بل بانه كان شريكا لهم فى سوء فعلهم . زالت هذه التهمة الغريبة عن صولون اذ كان أول من عمل بقانونه فنزل عن خمسة طالانات مستحقة له . و يقول البعض ومنهم بوليزالوس الروديسى (٢) إنه نزل عن خمسة عشر لاخمسة فقط . على ان هذا لم يعف اصحابه من أن يطلق القوم عليهم لقب « حاذقى الديون »

قد أساء أمر صولون الحزبين معا : أساء الاغنياء الذين ضاعت عليهم حقوقهم وأساء الفقراء الذين حرموا مما كانوا يطمحون اليه من تقسيم الاراضي بين الجميع سواء بسواء كما فعل ليكورجوس. ولكن ليكورجوس كان الحادى عشر من سلالة هرقل، واستمر ملكه على اسبارطة عدة سنوات وكان ينعم بشهرة وثقة واسعتين وكان له كثير من الاصدقاء ونفوذ عظيم وهذه امتيازات جليلة ساعدته على اجراء إصلاحه السياسى . ومع ذلك اضطر الى استخدام القوه أكثر من الاقناع وقد كلفه خير نظمه ضياع عينه مع ان خير ماسنه لسعادة مدينته ورفاهيتها . وهو الغاء الفقر والغنى . ولم يكن فى سع صولون ان يطمع الى هذا المقام . ولد من طبقة العامة وفى حالة وسط . على انه لم يقصر عما كان فى طاقته من حكمة وثقة . ولقد شهد هو نفسه بان شريعته أغضبت أغلب الاثينيين الذين كانوا ينتظرون شيئا آخر

١ هذه الاشعار التى لخصها فلوطارخوس محفوظة فى خطاب ارشيد بار افتيجات ٢ لم يعرف عنه سوى انه كتب ذكريات عن جزيرة رودس

« لقد كانوا يعجبون بى والان كلهم ناقم على
كلهم ينظرون الى بعين العدو
ومع كل فلم يكن فى وسع أى انسان غيرى صارله مالى من السلطة
أن يضع قانونا أو غاية لايدفع هـذا الشعب الى الفوضى وامتصاص آخر
مصة من لبانه »

لم يلبث الا ثينيون ان عرفوا فائدة قانونه فعدلوا عن تذمرهم وقـدموا قربانا دعوه « قربان الاعفاء أوالبتديد » وعهد الى صولون فى مهمتى الاصلاح السيـاسى والتشريـع وخولوه فى ذلك سلطة مطلقة فسيطر بذلك على القضاء الجمعيات والمباحثات والاحكام . وكان ينظم مرتبات الضباط وعددهم ومدة خدمتهم يلغى و يثبت ماشاء من العادات والا نظمة فبدأ بالغاء جميع شرائع « درا كون » لصرامتها وعدم تناسب العقاب ولم يستثن سوى عقوبة القتل .

لم تـكن فى شرائع « درا كون » سوى عقاب واحـد لجميع الاخطاء وهو الموت : فمن يثبت عليه البطالة كان جزاؤه الموت . ومن سرق بقلا أو فاكهة كان جزاؤه جزاء من ارتكب رجساً أو قتل انساناً . ولقد أصاب وأمادفي قوله إن « درا كون » كتب شرائعه بالدماء لابالمداد . قيل « لدرا كون » لماذا جعلت الموت عقاب كل خطأ فقال « لأنى وجدت أقل خطأ يستحق الموت ولم أجد غيره للجرائم الـكبرى »

أراد صولون بقاء الحـكم في أيدى الاغنياء وان يشرك الفقراء فى ادارة الحـكومة التى كانوا مبعدين عنها . فاحصى الثروات وجعل الطبقة الاولى من الوطنيين الذين يبلغ ايرادهم خمسمائة مديم غلالا أو سوائل ودعاها « بنتاكوزيو مديم » وجعل الطبقة الثانية ممن يملـكون قوت حصان أو ثلثماية مديم ودعا اصحابها الفوارس « شفاليه » وألف الطبقة الثالثة ممن يملـكون مائتى مديم ودعا اصحابها « زوجيت » ودعا الذين يملكون اقل من مائتى مديم «ثات»

حرم صولون على الطبقة الاخيرة الاشتغال بالقضاء ولم يجعل نصيبهم فى الحكم الا حق التصويت فى الجلسات والاحكام . لم يبدوا هذا الحق على شىء من الخطورة إلا أنه صار فيما بعد عظيم الخطر . لان غالبية القضايا كانت تنتهى الى حكم الشعب . ولئن كان الحكام أول من يبدأ بمعرفتها فانه كان من الممكن عرض احكام القضاة على الشعب . ويقال إن غرض شرائع صولون وما كانت تنطوى عليه معانيها من التناقض كانا سبباً لزيادة سلطة المحاكم . ولانه لم يكن من السهل الفصل فى الخلاف ، لم تكن للشعب مندوحة عن الرجوع الى قضاة فى تقرير القضايا وبذلك صار القضاة المتحكمين فى القوانين . وقد ذكر صولون فى قصائده هذا التوازن الذى اقامه بين الاغنياء والفقراء :

أعطيت الشعب سلطة كافية
لم أنقص من شرفه ولم أزد عليه (مالافائدة منه)
أما الاغنياء المعجبون بثروانهم
فلم أسمح لهم بارتكاب المظالم
لقد قلدت كل حزب دروعا حصينة
فلا سبيل لهؤلاء ولا لاولئك إلى العدوان

وقد أباح وقاية الشعب، لكل انسان أن يتقدم للدفاع عن أى وطنى أهين. فاذا جرح أحد أو ضرب أو أهين كان لكل انسان الحق لو اجترأ أو أراد أن يقاضى المعتدى أمام القضاء . وهذه حكمة أراد بها المشرع تعويد الوطنيين ان يروا انفسهم أعضاء هيئة واحدة (جسم واحد) فيشعر ويشاطر كل منهم ويلات الآخرين . ويذكرون لصولون كلمة فى بيان هذا القانون . سئل يوماً ماهى خير مدينة يسودها النظام ؟ فقال « تلك التى يعنى فيها الوطنيون برداى أذى كأنه أصاب كل فرد منهم »

فصولون هو الذى أنشأ مجلس شيوخ الحكام « الاريوباج » ألفه من الذين

تولوا منصب حاكم واذ كان هو حاكما كان عضوا فى مجلس الشيوخ . ولكنه لاحظ ان الغاء الديون اوجد فى الشعب روح الادعاء والكبرياء . فأنشأ مجلسا ثانيا مؤلفا من أربعمائة عضو، مائة من كل القبائل الاربع . ينظر فى المسائل قبل عرضها على الشعب . وحرم الجمعية العمومية النظر فى مسألة لم يفحصها هذا المجلس . أما المجلس الاعلى فقد خصه صولون بالاشراف العام وصيانة القوانين كما ان السفينة لو ثبتت بمرسيين صارت أقل عرضة للاضطرابات . ينسبون كما قلت الاريوباج (مجلس الحكام) الى صولون (١) يؤيد ذلك ان دراكون لم يتكلم على أولئك الحكام (الاريوباجين) وانه فى قضايا الاجرام الكبرى كان يوجه الكلام الى (النواب ولكن القانون الثامن من اللوحة الثالثة عشرة من تشريع صولون يجرى بما يأتى :

« جميع المتهمين من الوطنيين الذين ثبتت ادانتهم قبل حكومة صولون تعاد اليهم براءتهم الا الذين حكم عليهم مجلس الشيوخ ومجلس النواب أو الملوك فى بريتانه فى جرائم القتل اوالسلب أو الطموح الى الاستبداد والاستعباد . أو الذين امتنعوا عن الحضور عند نشر هذا القانون » . وهذا دليل على ان مجلس الشيوخ كان موجوداً قبل حكومة صولون ونشر قوانينه

هل يعقل ان يصدر مجلس الشيوخ حكما اذا كان صولون هو أول من منحه حق الحكم ؟ وربما كان في هذا النص غموض أو نقص ، هل يفهم ان الذين حكم عليهم قبل نشر هذا القانون مجلس الشيوخ أوالنواب أو الملوك البريتانين يبقون في حكم المدانين وان تبرأ ساحة الباقين . هذا ماأراده المشرع .

وبين قوانين صولون قانون لم يسبق اليه وهو غريب فى بابه . ذلك انه يعتد مهاناً كل من يلزم الحيدة إبان الاضطراب لاينتمى الى حزب من الاحزاب

---

١ ترجع الانباء المتواترة هذا النظام الى زمن البطولة ، ويقال ان أول قضية نظرها هذا المجلس فى قضيه فوزى ضد اورست قاتل أبيه . امينيد تأليف اشيل

وكأنه أراد بذلك ألا يستخف أحد أو لا يتأثر بما يحل بالبلد من الويلات العامة مكتفيا بسلامة شخصه وأمواله ثم المفاخرة بانه لم يفقد شيئا ولم يصبه شيء من نكبات الوطن . أراد أن يتقدم كل انسان منذ ابتداء الفتنة فينضم الى اوفر الجانبين نصيبا من الحق . وبدل ان ينظر لمن يكون النصر يعضد الفضلاء ويشاطرهم الخطر

ومن شرائع صولون قانون أراه سخيفا مزريا ذلك الذى يبيح للزوجة اذا كانت غنية ان تسلم نفسها لمن تشاء من أقارب زوجها متى كان عاجزا مع انه مالكها الشرعى . ويقول البعض ان ذلك عقاب للعجزة فى المسائل الزوجية ، الذين يدفعهم الجشع الى زواج غنية متخذين مايبيحه القانون للاعتداء على الناموس الطبيعى . اذ يعلمون ان لنسائهم الحق فى الاستسلام الى من يرون اوأن يفسخن الزواج أو لا يتزوجن منهم الا لالباسهم العار . فيكون ذلك جزاء وفاقا لهم على جشعهم وجريمتهم . لم يحدد القانون اختيار الزوجة عبثا من حيث حصر فى أقارب الزوج . أراد المشرع بذلك ان يكون أبناؤها من دم الزوج وجنسه : لهذا السبب أمر ان يحبس العروسان معا وان « يعضا سفرجلة واحدة » وأن يفى الزوج لزوجته بواجبه الزوجى ثلاث مرات على الاقل فى الشهر : ولئن كان لا يولدها فهو تشريف لفضيلة الزوجة . وان فى هذا العطف مايبدد أسباب الاستياء الذى يحدث غالبا بين الزوجين ويتحول الى شجار علنى .

وفيما عدا ذلك ألغى صولون البائنة (الدوطة) وكلف المرأة ان تحضر ثلاثة اثواب وبعض أثاثات قليلة الثمن . أراد بذلك الا يكون الزواج تجارة وترفا . بل يكون ائتلافا بين الزوجين استعدادا لاقامة النسل . وأن يكون رباط دعة وحب . طلبت والدة دانيس من ابنها ان يزوجها من شاب سيراقوزى فأجابها « كان في وسعى ان اخترق قوانين المدينة وأتولى الحكم المطلق فيها ولكن ليس في وسعى أن أمتهن قوانين الطبيعة بعقد زواج بعيد عن السن المناسبة »

ولذلك لايجوز ان يسمح بمثل هذا الخلل في دولته ، او إباحة زواج في غير تناسب لاينطوى على شيء من الهناء ولايؤدى عمل الزواج ولا الغاية منه . قال احد عقلاء الحكام لعجوز تزوج فتاة حديثة السن ماقيل لفيلوكتيت

تتزوج أيها التعس ؟ ان حالك ناطقة ! ،

واذا وجد شابا فى غرفته عجوز غنية يسمن كما يسمن الحجل لدى أنثاه . انتزعه منها . وألقى به بين يدى عذراء فتية محتاجة الى زوج . ان فى هذا كفاية .

ومما يثنى عليه من شرائع صولون نهيه عن اساءة سمعة الموتى . والحقيقة أنه من مقتضى الصلاح اعتبار الموتى مقدسين . ومن العدل احترام ذكرى من فارقوا العالم . ومن السياسة ألا تكون البغضاء لا نهاية لها . وقد نهى صولون عن ايذاء أى شخص في الهياكل والمحاكم والمجتمعات والملاعب . وجعل على من يقترف ذلك غرامة قدرها خمسة دراخمات . يدفع منها ثلاثة للمعتدى عليه واثنان للخزنة العمومية . من علامات سوء التربية وفساد الخلق ان يتهدد الانسان في كل وقت كما انه من الصعب ان يمتلك الانسان نفسه وقد يكون ذلك محالا على البعض فواجب القانون أن يحرم الشاسع من الاخطاء اذا اراد أن يجعل بين عقاب البعض مثلا صالحا للغير لا ان يكثر العقاب على غير جدوى

مما يثنى عليه أيضا قانونه فى الوصية . لم يكن حق الوصية معروفا قبل صولون . كانت جميع أموال الميت تبقى فى عائلته . ولكن صولون أباح لمن لم يرزقوا أولادا ان يتصرفوا على مايشاءون مفضلا الصداقة على القربى وحرية الاختيار على الاكراه . واراد بذلك أن يكون الانسان حراً حقيقة في املاكه ولكنه جعل لذلك حدا . لم يبح الهبات على الاطلاق بل اباح مايوصى به منها فى حرية تامة لا تحت تأثير الامراض ولا المشروبات ولا سوء القصد لا الاكراه ولا تحت تأثير إغراء امرأة وكان رأيه وله الحق ان لافرق بين مخالفة القانون

العنيفة وبين التغريزن مسويا بين الاحتيال والاغتصاب . وبين الالم والشهوة باعتبارها اسبابا تدفع الانسان عن جادة الصواب

وسن للنساء شرائع فى رحلاتهن وحدادهن وما يقدمن من القرابين . عاب عليهن تبرجهن وفوضاهن وحرم عليهن الخروج من المدينة باكثر من ثلاثة أثواب وألا يحملن مؤونة بأكثر من « فلس » (١) وألا يكون لهن سلة أطول من ذراع وألا يسرن ليلا الا فى عربات تتقدمها المشاعل . والايشوهن وجوههن . والا ينشدن اشعاراً فى الندب أو يصرخن وراء جنازة اذا لم يكن الميت من ذوى قرباهن . وألا يضحين ثوراً على القبر . والا يدفن مع الميت أكثر من ثلاث بذلات . وألا يذهبن الى مدافن عائلات اخرى الا يوم الدفن . ونهاهن عن كل مالايزال منهيا عنه في شرائعنا . و يقال ايضا إن الذين يخالفن هذه القوانين يحكم عليهم الحكام المخصصون لمراقبة النساء باعتبارهم رجالا مخنثين يستسلمون فى احزانهم لكل مافى المرأة من ضعف

كانت أثينا تزداد بالسكان يوما بعد يوم ، ممن ينحدرون اليها من الخارج منجذبين بما كانت تتمتع به أتيكا من الحرية . لكن قسما كبيراً من الاراضى، كان قاحلا وعقيما . وتجار الواردات البحرية لا يقدمون عادة شيئاً لمن لا يعوضهم منها . فوجه صولون صناعة الوطنيين الى الفنون وأصدر قانوناً يعفى الابن من إقاتة والده اذا لم يكن قد علمه صناعة . إن ليكورجوس الذى كان يسكن مدينة غير مزدحمة بالاجانب وكان تحت تصرفه مساحات كبيرة من الاراضى لاتكفى لتموين شعب كبير فقط بل تكفى توين ضعف عدده . كما قال أوديبيد: ليكورجوس الذى كان يحيط به جماعات من الهيلوت (الهيلوزن الرقيق) لم يسمح لهم بالبطالة بل كان يكرههم على العمل المستمر . كان على حق فى تحريمه على الوطنيين تناول جميع الصناعات الحقيرة أو المستأجرة . وأن يبقيهم على الدوام تحت السلاح

١ الفلس سدس الدرخمة وهو يساوى ١٥ سنتيما

وألا يدربهم الا على صناعة الحرب . ولكن صولون الذى كان يطبق القانون على الحال لا الحال على القانون كان يرى أن البلاد فقيرة بطبيعتها وانها لا تكاد تكفى لتغذية المزارعين ولم يكن فى وسعه تغذية مدينة عاطلة لذلك عمد الى اعلاء قدر الصناعات وعهد الى مجلس الحكام في البحث عن موارد كل وطنى ومعاقبة العاطلين .

وهناك شريعة أبلغ فى الشدة وهى على ما قال هيراكليد البنطى اعفاء أولاد المحظية من واجب اعالة والدهم . والحقيقة ان الذين لا يراعون واجب الزواج ويميلون الى غير زوجاتهم لا يقصدون إيجاد نسل بل يندفعون الى ذلك بعامل الشهوة فقط . فهم بذلك الحرمان يلاقون جزاءهم . وهم يحرمون كل حق فى السلطة على أولاد من العار وجودهم

ويمكن القول بوجه عام إن ما شرعه صولون عن البغاء جاء متضاربا . مثال ذلك انه أباح قتل من يؤخذ متلبسا بجريمة الزنا أما الذى يختطف امرأة حرة ويغتصبها فلا يحكم عليه الا بغرامة مائة دراخمه واذا ابتذلها الخاطف لا يدفع سوى عشرين دراخمة . هذا اذا لم تكن من اللاتى يبعن عرضهن علانية . أى محظيات (مومسات) وتسلمن أنفسهن بلا حياء الى أول من ينقدهن . ونهى صولون عن بيع الابنة والاخت اذا لم تؤخذا بجريرة قبل الزواج . فمن التعسف أن تعاقب الجريمة الواحدة تارة باشد عقاب وأخرى بتساهل كبير أو جعلته لعبة لا عقاب عليها سوى غرامة طفيفة .

ومع كل فان قلة الاموال النقدية في اثينا وصعوبة الحصول عليها تجعل الغرامات المالية باهظة . فقد جعل صولون في تقديره نفقات الضحايا سعر الخروف والدراخمة والمديمين من القمح واحدا . ينال الفائز في الالعاب البرزخية حسب شريعته مائة دراخمة والفائز فى الالعاب الاولمبية خمسمائة ويمنح من يحضر ذئباً خمس دراخمات . واذا كانت ذئبة دراخمة واحدة . ويقول ديمتريوس الفايرى أن ثمن

الحروف خمس دراخمات . وقدرت أثمان الضحايا الفضلى فى اللوحة السادسة عشرة من قوانين صولون تقديرا غاليا ولكنها لا تذكر في جانب أثمانها اليوم.

والاثينيون من قديم الزمن يطاردون الذئاب لان بلاد اتيكا صالحة لتربية القطعان أكثر منها لزراعة القمح . ويقول البعض ان قبائل اثينا لم تتخذ لنفسها أسماء من ابناء « ايون » بل اتخذتها من ضروب الحياة التى قسمت الاهالى الى طبقات . دعى رجال الحرب « هو ربليت » ورجال الصناعة « ارجاد » ثم طبقتا الفلاحين «جيو يونت» والرعاة« اجيكور »وليس في اتيكا أنهار لا تنضب بل قليل من البحيرات والينابيع ولا توجد المياه الا فى الآبار التى تحفر بالايدى فشرع صولون قانونا يبيح لمن لا يبعدون عن بئر عمومية سوى مسافة شوط جواد اى أربعة استاد ان يأخذوا منها ماءهم أما اذا كانوا بعيدين عنها بمسافة اطول وجب عليهم ان يجدوا الماء فى اراضيهم . واذا احتفروا الى عمق عشرة براس (١) ولم يجدوا ماء حق لهم ان يأخذوا ماءهم من البئر الاقرب اليهم يملئون منها كل يوم مرتين جرة تسع ستة كونجات (٢) رأى صولون من العدل أن يسد الحاجة دون ان يعين على الكسل

ثم حدد تحديد خبير المسافات التى تجب مراعاتها فى الزرع فجعل غرس الاشجار العادية على مسافة خمسة اقدام من الحقل المجاور . اما أشجار التين والزيتون فيجب ابعادها الى تسع اقدام لانها تنمو على مسافات بعيدة من جذوعها ولا يلائم جوارها كل غرس. فمنها ما تمتص غذاءها ومنها ما يضر بها. واذا أريد احتفار حفرة او حفيرة وجب حسب شريعته ان تكون المسافة بينها وبين الجار مساوية لعمق الحفر . ولا يجوز وضع خلايا نحل الا على مدى ثلثمائة قدم من المكان الذى اودعت فيه سواها

ولم يبح صولون بيع شىء من الحاصلات الاهلية للاجانب سوى الزيت

---

١ مقياس طول قدر ١٫٦٢ متر ٢ الكونج وعاء يسع باللتر ٣٫٢٨٧

وحرم بيع ما عداه وكلف الحاكم ان يعلن الخدم ضد كل من يخالف هذا القانون والا جوزى هو ذاته بدفع غرامة قدرها مائة دراخمة للخزانة العامة . ورد هذ القانون فى اولى لوحات قوانينه . وعليه لا يكون بعيداً عن الصدق قولهم إن تصدير التين كان محرما وانه كان يطلق على من يستبيحون ذلك لقب « سيكوفانتى » واش بالتين (١)

وقد عنى بتحديد تعويض الخسائر والاضرار التى تحدثها الحيوانات فكل كلب عض آخر وجب على صاحبه ان يسلمه الى المعضوض وفى عنقه عصا طولها اربعة أذرع وهذا احتياط حسن لمنع الاعتداء .

ولم اتبين حقيقة المعنى المراد بقانونه الخاص بحقوق المدينة . ان الذين يستطيعون ان يعدو وطنيين هم المنفيون نفيا مؤبداً من بلادهم او الباقون للسكنى فى اثينا مع عيلاتهم يشتغلون بصناعة . واليك ما يقولونه فى تأويل هذا القانون

ان صولون لم يرد إبعاد الاجانب بل بالعكس اراد اجتذابهم الى اثينا باقناعهم اقناعا أكيدا انهم يصيرون وطنيين . فالذين دعاهم أولى الناس بالثقة البعض لانه أكره على ترك وطنه بلا أمل في العودة اليه . والبعض لانه ترك وطنه مختاراً وما اختص به صولون فى تشريعه إنشاء ولائم على نفقة الجمهور ونهى ان يحضرها الشخص مراراً ووضع غرامة على من يمتنع عن حضورها بدوره لان فى عمل الاول شراهة وفي عمل الثانى مخالفة للعادات العامة .

وقد حدد صولون لبقاء شرائعه نافذة مائة سنة وقد كتبت على اضابير (ملفات) من الخشب في شكل محاور تدور فى براويز علقت بها ولا يزال بعضها محفوظاً فى « البريتانه »

---

١ «سيكوفانت» واش بالتين وقد تحولت هذه الكلمه فصارت مرادفه لقولهم واش ونمام

وقد أقسم المجلس يمينا مشتركة على المحافظة على قوانين صولون وأقسم كل حاكم بالقرب صخرة الخطابة متعهدا أنه إذا خالف أحد نصوصها يقدم الى هيكل دلف تمثالا من الذهب يزن ثقله .

وقد لاحظ صولون عدم مساواة الشهور وان حركة القمر لا تتفق مع شروق الشمس ولا مع غروبها . وأنه غالبا يبلغ وتتقدم الشمس فى يوم واحد وأطلق على هذا اليوم « عشية القمر الجديد » وأضاف الى الشهر المنتهى ، جزء اليوم الذى ينتهى قبل الالتحاق ودعا والجزء الذى يلى الشهر المبتدىء . فصولون فى عرفي هو أول من أدرك قول هوميروس عند ماينتهى الشهر ، عند مايبتدىء الشهر

« الاوديسة »

دعا اليوم الثانى « نيومانى » القمر الجديد .ولكنه كان يحسب الايام ابتداء من عشرين لا بالاضافة بل بالطرح متتبعا تطور القمر الى اليوم الثلاثين من الشهر وإذ تم نشر هذه الشرائع ازدحم الناس على صولون يثنون عليه و ينتقدونه و يطلبون زيادة أوحذفا على مايشتهون وكثر عدد من يستفسرونه معانيها وكيف يفهمونها وكان من الغباوة أن يرفض طلبهم كما انه رأى في الاجابة عليها استثارة للحسد ، فاجتنابا لهذه الصعاب اراد أن ينجو بنفسه من هذه المشاق وهذه الشكوى لانه كما قال

« من الصعب فى الاعمال العمومية ارضاء جميع الناس »

فطلب من الاثينيين إجازة عشر سنوات وأبحر بحجة الرغبة فى الاتجار بحراً ، أملا أن يكون هذا الوقت كاف لاعتياد الناس شرائعه

ذهب أولا الى مصر حيث أقام كما قال زمناطويلا على ناحية من النيل بالقرب من شواطىء « كانوب » وكان يكثر من المحادثات الفلسفية مع « تسانوفيس » (من عين شمس) و « سونيسن » (الصاوى) اكبر علماء الكهنة . ومنهم على

ماقال افلاطون سمع حكاية « اتلانتيد» (١) التى أراد ان ينظمها شعراً ليطلع عليهاالیونانيون

ومن هناك ذهب الى قبرص حيث صار صديق « فيلوسيبروس »أحدملوك الجزيرة وكان يسكن مدينة أنشأها « داموفون » بن « تيزيوس » على مقربة من نهر كلاريوس . وكان المكان حصينا الا انه واقع فوق أرض قاحلة عقيم فأقنع صولون الملك ان ينقل المدينة الى سهل خصب وان يكبر من شأنها بتوفير أسباب الراحة فيها . وقد ساعد في بنائها وتجهيزها بكل مايلزم لزيادة خصبها وطمأنينتها فزاد عدد سكان المدينة حتى حسده الملوك المجاورون له . واعترافا بفضل صولون دعا المدينة «صولى » بعد ان كان يدعوها « ايبا » . ذكر صولون هذافى قصائده فقال مخاطبا فيلوسيبروس :

بقى حكمك أنت وخلفاؤك في صولى سنوات عديدة مطمئنين سالمين
أما أنا الذى سيبعد بى مركبى السريع عن هذه الجزيرة السعيدة
ففى حمى سيريس ذات التاج البنفسجى
لتجزنى الآلهة على بناء هذه « المدينة » شكرا ومجدا
وشهرة أعود بها الى وطنى .

يرى البعض تناقضافيما روى عند مقابلته مع كرازوس ويزعمون انه خطأ ضد التاريخ أما رأيى انا فان حادثته شهيرة تؤيدهاشهادات الكثيرين وهي اشبه باخلاق صولون حقيقة بما طبع عليه من عظمة نفسية وحكمة مما لايجوز رفضه بحجة عدم اتفاقها مع هذا الجدول التاريخى اوذاك . متى عرفنا ان الوفا من العلماء بدلواولا يزالون يبدلون حتى اليوم هذه الجداول التاريخية ولم يصلوا بعد الى التوفيق بين متناقضاتها .. أما الحادثة فهى : ذهب صولون الى « سارد » بناء على دعوة كرازوس فكان هناك أشبه بالرجل الذى رأى البحر لاول مرة؛ يحسب كل ماصادفه

١ الاتلانتيد ، جزيرة اوقارة ابتلعتها المياه ولعلها غرقت فى البحر الاطلانطيقى رواية مشهورة فى العصور القديمه . فهل هى أميريكا اوجزائر فورفيق

من الانهار بحراً ؛ كذلك صولون عند مادخل أقسام القصر ورأى حاشية الملك أكل فى ثياب فخمة يحيط به الخدم والحرس فظن كلا منهم كرازيوس وأخيراوصل الى الملك وكان هذا قد تحلى فى ذلك اليوم بأغلى وأفخر جواهره وأثمن وأبهج ثيابه متقلدا حلاه الذهبية متقنة الصنع ليظهر أمام صالون فى أحلى وأبهى هندام . ولكن صولون بالرغم مما كان يتوقعه الملك لم يبد عليه شيء من الدهشة ولا الاعجاب . وقد أدرك عليه أصحاب النظر احتقاره هذه الفخفخة والصغار وحينئذ أمر كرازيوس ان يطلعه على خزائنه وان يبسط أمامه جلال وفخامة رياشه ولكن صولون لم يكن فى حاجة لذلك ليحكم على كرازيوس . كفى أنه رآه . أعيد صولون الى حضرة كرازيوس بعد ان شاهد كل شيء فسأله الملك هل يعرف أحدا أسعد منه حالا ؟ فأجابه صولون « نعم ذلك تللوس الاثيني تللوس الذى عاش رجل خير وترك أبناء محترمين من الجميع وبعد ان قضي حياته لايعوزه شيء مات مجيدا وهو يدافع عن وطنه » . فلم ير كرازيوس فيمن لايقيس السعادة بالذهب والفضة ويفضل حياة وموت رجل عامى على هذا الملك العظيم ، سوى رجل بليد جاف الطبع . على انه سأله ثانية هل تعرف رجلا بعد تللوس أوفر حظا منه فأجابه صولون « عرفت كليوبيس وبيثون وهما أخوان شديدا الحب لبعضهما ولا يقل حبهما لوالدتهما عن حبهما لانفسهما . وحدث ذايوم ان تأخرت الثيران فعلق الولدان النير فى عنقهما وجرا عربة والدتهما الى هيكل جينون فانشرح صدر الوالدة واقبل الناس يهنئونها بان لها أولادا كهؤلاء ولكن الاخوين بعد التقدمة والوليمة ذهبا لينامافناما ولكنهما لم يستيقظا فى الغد اذ ماتا ميتة هادئة لاألم فيها »

فرغ صبر كرازيوس وصاح ماذا ! ألا تحسبنى بين السعداء ؟ فاجابه ولم يرم ان يملقه ولا أن يزيده غضباً « ياملك الليدين ! لقد رزقتنا الالهة نحن الاغريق من كل شيء مقداراً وسطاً لاسيا حكمتنا فانها ثابتة ساذجة أى عامية ليس فيها شيء ملكي وجليل ، وميزتها هى هذه الحالة الوسط وهذه الحكمة التى ترينا

حياة الانسان عرضة دائماً للقلق والاضطرابات لاتسمح لنا أن نزهي بما نملك من عقار ولا أن نعجب فى سوانا برفاهة يزيلها الدهر، فما من رجل لايرميه المستقبل بألوف من الحوادث لم تخطر له على بال . فمن جعلت الالهة حياته كلها حتى النهاية متاع سعادة فهو حقيق فى نظرنا بأن يعد سعيداً . اما الانسان الذى لايزال على قيد الحياة عرضة لجميع مخاطرها فلا يمكن أن نضمن له سعادته لبعدها عن مقدوره وإكليل النصر عمن لايزال فى حلبة السباق »

أحزنت هذه الكلمات كرازيوس ولكنها لم تصلح شيئاً من خلقه وانسحب صولون .

كان « ايزوب» مؤلف القصص الخرافية حين ذاك في سارد حيث استقدمه كرازيوس وأكرمه . ساءه مالقى صولون من عدم الرعاية فقال له ناصحاً « ياصولون اما أن لاتقترب من الملوك أو أن لاتقول لهم غير مايرضى » فقال « الاولى أن تقول لاتقربهم أو لاتقل لهم غير مايفيد ».

أما كرازيوس فانطوى على احتقار بغيض لصولون ولكنه عندما قهره « سيروس » واستولى على سارد وأمر بحرقه حيا وجىء به موثق اليدين أمام النار في حضرة « سيروس » ورجال الفرس . رفع كرازيوس صوته وصاح بكل قواه ثلاثاً « صولون ! » دهش سيروس وأرسل يستعلم عن ذلك الانسان أو الاله المدعو صولون الذى استغاث به في أشد محنة. لم يخف كرازيوس الحقيقة فقال « انه احد حكماء اليونان استقدمته لالاستمع اليه ولا لاتعلم منه ما كنت في حاجة الى تعلمه بل ليشهد عظمتى ويشيد بسعادتى فى جميع انحاء اليونان ، تلك السعادة التى اجتلب على ضياعها من الالم مالم يستطع وجودها ان يذيقنى من السرور . ولم أكن اتزوق حين ذاك سوى سعادة وهميه ولكن انقلاب القدر القى بى فى مصائب محسوسة حقيقية لاشفاء منها . تنبأ بذلك لما رآنى عليه ، مما اتألم منه الآن . وانذرنى بوجوب الاهتمام لنهاية عمرى والا

استرسل مع هوى الكبرياء وألا أثق بهذه السعادة المزعزعة ،

ولما نقل هذا الجواب الى سيروس وكان أوفر حكمة من كرازيوس ورأى بعينه كلمات صولون محققة لم يكتف باطلاق سراح كرازيوس بل أحسن معاملته طول حياته فكان من فخر صولون ان انقذ حياة ملك ونصح آخر نصيحة حكيمة بعبارة واحدة

على أن غياب صولون أعاد اثينا الى ما كانت عليه من الفتن . اجتمع سكان السهل تحت قيادة ليكورجوس ، وسكان الساحل تحت قيادة ماجكاسن بن الكيميون وسكان الجبل تحت قيادة بيزستراتس وانضم الى هؤلاء أخلاط المرتزقة أعداء الاغنياء . حقيقة إن المدينة كانت لاتزال سائرة على شرائع صولون ولكن الجميع كانوا يتوقعون ثروة ويتوقون الى حكومة جديدة وليس ذاك لان حزباً من هذه الاحزاب يريد إقامة العدل. بل لان كلامنها كان يأمل الاستفادة من التغيير والتمكن من السيادة وحده على الآخرين . هذه حالة اثينا عند عودة صولون اليها . استقبله الجميع باحترام واكرام. واذا كانت سنه لم تعد تسمح له بالعمل والخطابة بين الجمهور فكان يجتمع بالزعماء ويوفق ما بينهم ويصلح ذات بينهم جهد المستطاع وكان بيزاسترس أدنى الى رضا صولون لما كان فى كلامه مما يغرى ويعطف ، وكان عوناً للفقراء لطيفاً ومعتدلا نحو اعدائه وكان يجيد تقليد ماحرمته الطبيعة من الخلال ، بحيث يظنها الناس اعلق بقلبه ممن فطروا عليها لذلك اشتهر بالحشمة والرزانة والغيرة على العدل والمساواة ، عدو لكل من يريد تعديلا أو تصبو نفسه الى ثروة . وكان هذا المظهر المتكافئ يكبر شأنه بين الشعب ولكن صولون عرف حقيقته وتبين أغراضه فلم يقطع صلته معه بل حاول تدميث اخلاقه ورده بنصائحه وكان يقول له وللآخرين « لو أمكن أن تنتزع من نفسه هذه المطامع الكبيرة وشفاؤه من شهوة الحكم المطلق لما كان فى أثينا رجل أليق منه بالفضيلة ولا أوفى منه وطنية »

وفي ذلك الوقت «كان تيسبيس » قد غير نظام المآسى (الروايات) وكانت جدة المشهد تجتذب الناس ؛ ولم تكن مسابقة الشعراء لاكتساب الجوائز قد نظمت بعد . كان صولون وهو بطبيعة طلعة وقد مال فى شيخوخته الى التلهى واللعب والولائم الرسمية والموسيقى فذهب لسماع « تيسبيس » الذى كان يمثل كشعراء ذلك الزمن رواياته بنفسه فدعاه بعد نهاية الرواية وسأله ألايخجل من حكاية أكاذيب جسيمة كهذه امام الجمهور فقال تيسبيس لابأس ولا ضرر من كلامه وعمله إذ أنها (الروايات) لعب . فقال صولون وهو يضرب الأرض بعصاه « نعم ولكن اذا كنا نتألم ويحتمل اللعب أو نستصوبه فانا نجد الحقيقة في اعمالنا الجدية .

حدث بعد ذلك ان جرح بيزستراتس نفسه وأمر فحمل الى الساحة العمومية حيث أثار الجمهور بابلاغه ان اعداءه هم الذين غدروا به عقابا له عما أداه من الخدم للجمهورية . وبينما الشعب كان يعلن استياءه بصرخات متوالية دنا صولون من بيزستراتس وقال له « يابن هيبوكرات ! انت لاتحسن تمثيل عولس (فى قصائد هوميروس) جرح نفسه ليخدع اعداءه وأنت تجرح نفسك لتخدع مواطنيك » .

وقد استعد الشعب للقتال تعضيداً لبيزيستراتس فعقد جلسة عمومية اقترح فيها « اريستون » ان يعطى بيزيستراتس خمسون رجلا لحماية شخصية ولكن صولون عارض هذا الاقتراح بكل شدة ولا يزال شيء من خطبته هذه فى قصائده

« انكم لاترون سوى لسان وكلمات رجل محتال

. . . .

يمشى كل منكم في مصالحه مشية الثعلب :

ولكنكم متى اجتمعتم صرتم قطيعا غبيا .

واذا رأى الفقراء ينضمون الى تبزيستراتس فى ثورة وهياج ورأى الاغنياء

يهربون وجلا انسحب هو أيضاً وهو يقول « انى أعقل من الفقراء الذين لم يروا خديعة بيزيستراتس وأجرأ من الاغنياء الذين رأوا الخديعة ولكنهم لم يجسروا على مقاومة الظلم »

ولما وافق الشعب على ذلك القرار لم يغن صولون بمضايقة بيزيستراتس في عدد رجال الحرس الذين يعطون له وتركه يأخذ منهم من شاء على ان يدافع أجرهم وانتهى الامر ببيزيستراتس ان استولى على القلعة .

انتهز ميجاكلس فرصة الاضطراب الذى أحدثه هـذا المشروع فأسرع بالهرب هو والالكيمونيديون . أما صولون فبارغم من شيخوخته وبالرغم من عزلته فقد تقدم الى الساحة العمومية ووبخ الاثينيين على سوء تصرفهم ونذالتهم وحثوا على ان لايخونوا الحرية . وفي هذا الموقف قال كلمته المشهورة « كان من السهل قتل الاستبداد فى مهده اما وقد استفحل أمره فمن العظمة والمجد ان يقضى عليه »

ولما رأى أن الخوف استولى على الجميع وانه ليس من أحد يصغى اليه رجع الى بيته وأخذ أسلحته ووضعها في الطريق أمام بابه وهو يقول « لقد دافعت جهدى عن الوطن وشرائعه » وعاش من ذلك الحين مطمئناً . وقد نصح له أصدقاؤه ان يهرب فلم يصغ لنصائحهم . ثم أخـذ ينظم القصائد يعـدد بها أخطاء الاثينيين .

لئن عاينتم الشقاء لنذالتكم
فلا تلوموا الآلهة في مصائبكم
أنتم الذين أكبرتم شأن أولئك الرجال بما قدمتم لهم من عضد
وهذا سبب ما بالقانون من استعباد مخجل .

على ان الناس لم يكفوا عن تحذيره من أن الطاغية قد تقتله . وسئل يوما علام يعتمد فى جرأته فاجابهم « على شيخوختى » . فكانوا مخطئين ذلك أنه

مذ صار بيزيستراتس السيد المطلق فى أثينا لم يقصر فى احترام ورعاية صولون وكثيراً ما كان يستدعيه اليه حتى صار مستشاره وكثيراً كان يستصوب بعض أعماله . والواقع ان بيزيستراتس كان يقيم جميع شرائع صولون يبدأ بتطبيقها على نفسه ويخضع لها وأصحابه طائعين أو غير طائعين . اتهم مرة بالقتل فمثل أمام مجلس القضاة وتقدم في تواضع مع انه الحاكم المطلق لتبرئة نفسه . ولكن المدعى استرد شكواه . وقد وضع من عندياته بعض الشرائع منها القانون الخاص بتغذية مقعدى الحرب على حساب الدولة . ولكن هيراكليد يقول ان صولون أصدر مرسوما كهذا بشأن تيرسيد عند ماجرح ولم يكن بيزيستراتس سوى مقلد له فى ذلك . ويعزو تيوفراست قانون ضد العاطلين الى بيزيستراتس لا الى صولون . ذلك القانون الذى أعان على الاشتغال بالزراعة واسعاد حال أثينا

ثم شرع صول فى نظم قصة الاطلانطيد التى رواها له حكماء سائس (صان الحجر) وكان الاغريق يهتمون بها ولكنه عدل عن ذلك لا كما قال أفلاطون للاشتغال بغيرها بل لكبر سنه لانه كان يميل للراحة كما قال عن نفسه « كبرت وأنا أستزيد من العلم » ثم قوله « ان ماأحبه الآن هو عطايا سيبريس وباخوس والهة الشعر

هذه هى العطايا التى تجعل الانسان سعيداً »

وضع أفلاطون يده على موضوع الاطلانطيد كأنه أرض جيدة مهجورة آلت اليه بحق الارث (١) . ورأى من الشرف ان يتمه وان يجمله . فمهد له بمقدمة فخمة ، وأحاطه بسياج فسيح لم يسبق ان عرف مثله في حكاية أوقصيدة . ولكن الموت عاجله فمات ولم ينجزها فعلى قدر مايسر الانسان بمطالعة ما كتب منها يكون حزنه على مالم يكتب . لم يبق غير كامل في أثينا سوى هيكل جو بتير الاولمبى كذلك لم يبق دون الكمال من مؤلفات أفلاطون سوى قصة الاطلانطيد

١ افلاطون من سلالة صولون

قال هيرا كليد ان صولون عاش طويلا بعد اغتصاب بيزيستراتس الحكم ولكن فانياس الاريزى يقول انه لم تمض عليه سنتان ، لان اعتداء بيزيستراتس على الحكم وقع فى عهد الحاكم كومياس وقد توفى صولون حسب أقوال فانياس فى عهد الحاكم هيجسترات خلف كومياس . اما القول بان رماد جثة صولون ذرى فى مهب رياح جزيرة سالامين فمن أسخف وأكذب الاقوال ولو انه ورد في مؤلفات بعض من يوثق بهم حتى الفيلسوف ارسطو .

بو بليكولا

بلغ أوج مجده سنة ٥٠٩ ق . م .

لقد عرفت صولون وسنقابل بينه و بين بو بليكولا (١) وقد منحه الشعب الرومانى هذا اللقب الشريف وكان اسمه قبلا بو بليوس فلاريوس والمعروف انه من سلالة فالاريوس الذى أصلح فيما مضى ذات البين بين الرومانيين والسابيين وجعلهما شعباً واحداً . لانه هو الذى حمل الملكين على الاجتماع وعقد الصلح . هذه أسرة فالاريوس على ماروواه الراوون وقد امتاز فى الزمن الذى كانت فيه روما تحت حكم الملوك بفصاحته وثروته استخدم الخلة الاولى بحق وصراحة للدفاع عن العدالة واستخدم الثانية بسخاء وعطف لمساعدة المحتاجين لذلك رأى الناس من أول عهده انه اذا كانت الحكومة قد صارت شعبية فلنا لاريوس الفضل الاول فى ذلك .

لم يصل تاركان (لاسويرب) (الفخم) الى الملكية بطريق شريف بل داس الشرائع السماوية والانسانية ولم يستعمل سلطته الملكية بما يليق بالملوك من الاعتدال بل استعمل العنف والاستبداد فاستفظعه الشعب ولم يبق له صبر على احتماله ثم جاءت حادثة موت لوكريس فكانت سببا لثورة عامة . ذلك ان لوكريس لما رأت انشرفها قد امتهن قتلت نفسها بيدها . رأى لوسيوس بروتوس ان يغير شكل الحكومة وأفضى بذلك الى فالاريوس فوجد فيه عضدا قويا . وقد تمكن باتحاده معه من طرد الملوك . لزم فالاريوس الحيدة عند ما كان المظنون ان الرومانيين سيعينون بدلا من الملك ، قائداً وحيداً ، اعتقاداً منه ان الحكم يرجع بمقتضى العدل الى بروتوس بصفته أول من أوجد الحرية ولكن الشعب كان قد

١ الذى يعلى قدر الشعب

كره كلمة « ملك » ومال الى الرغبة فى تقسيم الحكم وطلب تعين اثنين فوهم فالاريوس انه سيكون شريك بروتوس ولكنه خدع فى وهمه . لان بروتوس بالرغم من ارادته اضطر لقبول تاركان كو بلاتان زوج لوكريس بدلا من فالاريوس ؛ لا لان ذلك أكثر جدارة من هذا بل لان رؤساء المدينة خشوا حيل الملوك وما يديرون من وسائل لاستمالة الشعب فارادوا رئيساً يكون من الد أعداء الملوك لا يثنيه شيء

استاء فالاريوس لان الشعب لم يعتقد انه قادر ان يعمل كل شيء لمصلحة وطنه لانه لم يصب شخصا بأذى من الملوك ، فامتنع من الذهاب الى مجلس الشيوخ وعدل عن مهنة المحاماة وانسحب كلية من أعمال الحكومة . قلق الشعب وخشى ان يحمله استياءه الى المؤامرة مع الملوك فيطلب الجمهورية التى لم تثبت دعايمها بعد . ولكن عند مااقترح بروتوس الذى كان يخشى اناسا غير فالاريوس على المجلس حلف اليمين على الضحايا وعين يوما للحلف . نزل فالاريوس الى الساحة العمومية بنفس راضية وكان أول من أقسم انه لن يصفح ولن يسلم الى تاركان بل انه بالعكس من ذلك يضاربه بكل مافى وسعه دفاعا عن الحرية . بذلك سر المجلس وشجع القناصل ثم جاءت أعماله بعد ذلك مؤيدة لذلك القسم . أرسل تاركان الى روما رسلا تحمل رسائل كلها تملق ومداهنة للشعب تعرض مطالب متواضعة جدا مفرغة فى أسلوب يجتذب الجماهير — قائلا ان الملك قد تجرد من كبريائه ولا يطلب سوى مطالب معتدله وقد قبل القناصل ان يخاطب أولئك الرسل الشعب . ولكن فالاريوس عارض ذلك قائلا . لايجب ان تعطى اناس فقراء يخشون الحرب أكثر مما يخشون الظلم فرصة وأسباب للانتقاض .

حدث بعد ذلك بقليل ان صرح رسل جدد من قبل تاركان بأنه عدل عن الرغبة فى الملكية وانقطع عن محاربة الرومانيين وانه لايريد سوى ان ترد اليه أمواله وأملاكه له ولأهله وصحبه ليتمكنوا من العيش فى منفاهم . وكان أغلب

أعضاء مجلس الشيوخ ميالين الى منحة ماأراد . وقد عضد كولاتن طلبه بنوع خاص . ولكن بروتوس وهو رجل صلب العود لا يبقى غضبه على شيء أسرع الى الساحة العمومية ودعا زميله خائنا يريد ان يقدم لآل تاركان الوسائل التي تمكنهم من موالاة الحرب واقامة الظلم والاستبداد . أولئك الذين لا يستحقون ان يعطوا مايحتاجون اليه للعيش فى منفاهم . اجتمع الوطنيون ونهض من بينهم كايوس مينيسيوس وحث بروتوس والرومانيين على عمل مامن شأنه استخدام هذه الاموال لمحاربة المستبدين لا ان يستخدمها المستبدون لمحاربتهم هم (الرومانيين) ولكن الرومانيين قرروا مع ذلك مايأتى : بما انهم ينعمون بالحرية التى شرعوا السيوف من أجلها فلا يجب ان نجعل الاموال عقبة في سبيل السلام بل ابعادها خارج روما هى المستبدين . على ان الاموال لم تكن غرض تاركان ولم يقصد بطلبه سوى سبرغور الشعب وتدبير مؤامرة ، والحقيقة ان المؤامرة هى الغاية التى كان يعمل لها رسله وما كانت أموال الملك سوى وسيلة يتذرعون بها لاطالة مدة اقامتهم في روما . يعملون متمهلين تارة فى بيع هذا وأخرى في صيانة ذاك وترحيل غيره وبالايجاز كان لهم من الوقت مامكنهم من اغواء اثنتين من أسرى روما الكبرى ذات المقام الاول . الاولى أسرة اكيليوس ومنها ثلاثة شيوخ والثانية أسرة فيتاليوس ولها فى مجلس الشيوخ شيخان وكان لهؤلاء صلة قرابة مع بروتوس لانه زوج أختهم وله منها أولاد عدة .

كان لبروتوس ، ولدان فى ريعان الصبا تمكن آل فيتاليوس وهم أقاربه واصدقاؤه من استهوائهم فانضما الى المؤامرة منجذبين اليها بان يكون لهما عهد مع آل تاركان وهي اسرة كبيرة يجدون معها ما يرضى رغباتهم ارضاء ملكيا ويتخلصون من سيطرة والد قاس بليد . وكانوا يدعون شدته على الاشرار قسوة وكانوا يدعون ما كان يتظاهر به من الاستكانة حرصاً على الطمأنينة واتقاء شر المستبدين في بلاده ؛ على أنه لم يأب أن يطلق على نفسه هذا اللقب

(لأن كلمة بروتوس معناها فى الحقيقة جامد بليد) ولما انضم هذان الشابان الى المتآمرين اتفقا مع آل اكيليوس . تعاهد المتآمرون فيما بينهم بقسم خطير . فقد شربوا دماء رجل ذبحوه واضعين أيديهم على الاحشاء وكان اجتماعهم في منزل اكيليوس وكان المنزل الذى جرت فيه هذه المأساة يليق بها لابتعاده ، ولما كان يخيم عليه من ظلام ولم يلحظوا أن عبداً يدعى فاندسيوس كان مختبئاً هناك . ولم يكن اختباؤه عن رغبة فى المراقبة ولا انه كان يتوقع حدوث شيء مما قصدوا له ، ولـكنه كان فى البيت صدفة ورأى المتآمرين يدخلون اليه دفعة واحدة فلم يجسر على الظهور فاختفى خلف خزانة كبيرة فشهد كل ما عملوا وسمع كل ما قالوا فتقرر فى الجلسة قتل القنصلين وكتبوا الى تاركان رسائل تعلمه بجميع خططهم وسلموها الى الرسل لان ذلك المنزل كان مسكنهم لأنهم كانوا ضيوف اكيليوس وقد حضروا الاجتماع.

لما انتهى الامر وانصرف المآمرون خرج « فاندسيوس » من المنزل خفية لا يدرى ما يعمل بما أهدته الصدفة الى اكتشافه . ساورته الافكار واختلط عليه الامر .رأى فى الافضاء الى بروتوس بخيانة أبينه والى كولاتان بخيانة اقاربه خطراً وأى خطر. ثم انه لم يرفى روما رجلا يمكن أن يعهد اليه هذا السر على أنه لم يستطع كتمان هذا الحادث . وأخيراً اشتد عليه وخز ضميره فاسرع الى فالاريوس حمله على ذلك ما يعرفه عنه من الدعة والانسانية وسهولة استقباله كل انسان حتى الوضعاء اذ كان بيته مفتوحا على الدوام لا يترفع عن الاهتمام بشئون الآخرين والعناية بحاجاتهم قابله فاندسيوس وروى له أمام زوجته وأخيه ماركوس فالاريوس كل ما شاهده وسمعه . استولت الدهشة والرعب على فالاريوس فاعتقل العبد وحبسه فى غرفة وترك حراسة باب البيت الى زوجته وعهد الى أخيه أن يحاصر قصر الملك بحيث يضبط الرسائل وأن تبقى الخدم تحت حراسة شديدة . اما هو فذهب في جماعة من علائه

وأصحابه الذين لم يكونوا يفارقونه وأخذ معه خدمه العديدين وقصد الجميع منزل آل اكيليوس فلم يجدهم هناك واذ لم يكن أحد فى انتظاره دخل المنزل بلا عائق ووجد الرسائل في مسكن رسل الملك ولكن آل إكيليوس أسرعوا اليه وهو لا يزال فى المنزل ووقع بينهم شجار عند الباب حاولوا فيه استرداد الرسائل ولكن فالاريوس ورجاله قاوموهم مقاومة عنيفة ولفوا ثيابهم حول أعناقهم واجتازوا بهم الطرق دافعين مدافعين إلى أن وصلوا بمشقة الى الساحة العمومية ولم يكن ماركوس فالاريوس أقل توفيقاً فى قصر الملك ، فقد استولى على رسائل أخرى مرسلة مع أشياء أخرى وساق الى الساحة العمومية أيضا جميع رجال الملك الذين استطاعوا القبض عليهم .

ولما تمكن القناصل من تهدئة الحال استدعى فالاريوس من منزله فندسيوس وأخذ فى التحقيق . تليت رسائل المتآمرين فلم يجرأ احدهم على البت بكلمة وكان الجميع خافض الابصار فى صمت عميق وقد ارتأى البعض مجاملة ابروتوس ان يكتفى بالنفى وكانت دموع كولاتان وصمت فالاريوس قد بعث الى نفوس المتآمرين شيئاً من الامل ولكن بروتوس نادى ابنائه كل باسمه انت ياتيتوس وانت يافلاريوس لماذا لا تجيبا على هذا الاتهام ؟ ناداها ثلاثاً وهما صامتين . وحينئذ التفت بروتوس الى الجلاد . الآن عليك ان تنفذ مابقى . اخذ الجلاد الشابين ونزع عنهما ثيابهما وشد وثاق ايديهما الى ظهرهما ومزق جلدهما بالسياط فلم يستطع احد أن يتجلد امام هذا المشهد الصارم . بروتوس وحده بقيت له شجاعته ويقال انه لم يحول نظره دقيقة ولم يكن للشفقة اى اثر على الغضب والصرامة اللتين كانتا مرتسمتين على وجهه . شاهد بروتوس التنكيل بابنائه بعين وحشية الى أن القى على الارض وسقطت رأساهما تحت ضربات المضربة وحينئذ ترك لزميله معاقبة الآخرين ونهض من كرسيه وانسحب

ان عمل بروتوس على ماهو لايكفى فيه الاطراء ولا تكفى فيه المؤاخذة فهو اما عن فضيلة سامية ترفعه عن المؤثرات الانسانية أو عن شهوة متطرفة نزلت به الى عدم الشعور فكلاهما غريب جداً ليس من طبيعة الانسان الاول من طباع الآلهة والآخر من طباع الضوارى على ان العدل يقضى ان نعتدل فى حكمنا على مجد بروتوس لا أن نشك فى فضيلته لما فينا من ضعف . ان الرومانيون يعتقدون اعتقاداً اكيداً أن رومولوس لم يلق في تأسيس روما من العناء مالقيه بروتوس فى نصرة الحرية وتوطيد دعائمها

ولما انسحبا الجم الرعب والدهشة السنة الجماعة وكان الصمت رهيباً كئيباً ولكن تراخى وتوانى كولاتان شجع آل اكيليوس فطلبوا أن يفسح لهم فى الوقت للدفاع عن انفسهم وان يسلم اليهم فندسيوس عبدهم ولا يبقى بين ايدى المتهمين (المدعين) مال كولاتان الى اجابة طلبهم واراد فض الجمعية ولكن فالاريوس أعلن انه لايسلم فندسيوس الذى اختلط بين اتباعه وانه لا يحتمل ان ينصرف الشعب فينجوا الخائنون. ثم وضع هو بنفسه يده عليهم؛ ودعى بروتوس لمعاونته وندد بسوء تصرف كولاتان فى الوقت الذى اوجب فيه بروتوس على نفسه قتل ابنائه ،مال كولاتان ارضاء النساء لافلات الخائنين واعداء الوطن من يد العقاب — مل القنصل هذه المقاومة فأمر الجلادين للقبض على فندسيوس ففرقوا الجمهور وقبضوا عليه وضربوا الذين حاولوا انتزاعه من ايديهم ولكن أصحاب فالاريوس قاموا بالدفاع عن العبد وصاح الشعب طالباً بروتوس ، عاد بروتوس الى الساحة فاستولى على الجميع عند ظهوره سكون شامل فقال . لقد كنت بنفسى كافياً لمحاكمة ابنائى وتركت المتهمين الآخرين لحكم الشعب فعليه أن يبدى رأيه فليتكلم كل انسان و يقترح مايشاء . فعلت هذه الكلمات فعلها وأخذت الاصوات وكان الحكم بالاجماع قطع رؤس المتهمين. اصبح كولاتان موضع شبهة لقرابة لاسرة الملوك واصبح اسمه بغيضاً لما احدثه

تاركان من الاستياء العام واذرأى ماحدث وان الشعب يضمر له البغضاء استقال من القنصلية وأبتعد عن روما — جرى الانتخاب العام وكان فالاريوس بالاجماع قنصلا جزاء حق لغيرته ونخوته فرأى من العدل ان يشرك معه فى الخير فندسيوس فاعتقه ومنحه بقرار من الشعب صفة الوطنى مع حق الانتخاب فى القبيلة التى يريدها فكان أول معتوق تمتع بهذه المنحة وحدث بعد ذلك بزمن طويل ان ابيوس استجلابا لرضاء الجمهور منح جميع المعتقين حق الانتخاب ولا يزال التحرير التام يدعى حتى اليوم « فندكتا » كلمة مشتقة من فندشيوس

نهبت وسلبت أموال واملاك الملوك وهدم قصرهم وكان لآل تاركان احسن جانب من جوانب حقل مارس . خصص لذلك الاله . كان المحصول محصودا والحزم ملقاة في الساحة وكان المعتقد انه لايجوز طحن تلك الغلال ولا الاستفادة منها فاخذ الجمهور يلقى بها و بالاشجار التى اقتلعها الى نهرالتيبر ليترك للآله الارض عارية لازرع فيها . قذف التيار هذه المواد وكدسها على بعضها ولم يبعد بها بعيدا رسيت القذيفة الاولى واحتجزت التالية فتماسكت وتصلبت بحيث صارت قطعة صليلة ثابتة. التسعت هذه الرقعة وازدادت متانة بما كان يحمله التيار من الطمى ولم تكن الامواج لتفرق بين اجزائها بل كانت بالعكس من ذلك تزيدها تماسكا واحكاما ورسوها يوما بعد يوم — اخذت هذه البقعه فى الاتساع والمتانة بما كانت تجترفة امواج نهر التيبر من الاجسام الغريبة ؛ وتعرف اليوم في روما بالجزيرة المقدسة . انشئت عليها المعابد والمنتزهات واطلق عليها اسم بين الجسرين. وجاء فى رواية اخرى ان هذة الجزيرة لم تنشأ حين تكريس حقل تاركان بل نشأت بعد ذلك بزمن بعيد عندما كرست تاركنيا للاله مارس حقلا ملاصقا لحقل فاركان . وتاركينا هذه كانت كاهنة (فستال) اكسبها كرمها امتيازات مشرفة منها قبول شهادتها فى القضاء وهو حق لم تنله غيرها من النساء وابيح لها الزواج ولكنها لم تستخدم هذا الحق . هذا ما يقال في الرواية الاخيرة

يئس تاركان من استرداد الملك بالدسيسة والمؤامرة فلجأ الى الاترسكيين فتحمسوا له واهتموا بشأنه وساروا به الى روما فى جيش عرمرم فزع القنصلان لملاقاته على رأس الرومانيين واصطف الجيشان للقتال فى مكانين مقدسين . يعرف احدهما باسم « بو كيج » مأوى ارسيا والآخر مرج ازوفيان وما كاد يبدأ القتـال حتى تلاقى ارونس بن تاركان والقنصـل الرومانى بروتوس ولم يكن تلاقيهما صدفة بل كانا مدفوعين بعوامل الحقد والبغض — احدهما يطلب المستبد عدو الوطن والآخر يريد الانتقام لنفسه من النفى .دفع كل منهما جواده نحو الآخر فى سورة غضب لاحذر معها ولم يفكر احد منهما فى وقاية نفسه ولذلك سقط كلاهما فى حومة الوغى . ولم تكن المعركة التى تلت هذه الفاتحة أقل فظاعة اذ كان الفتك فى الجانبين ذريعا ولم يفرق بين الجيشين الاعاصفة هوجاء اضطرت الامر على فالاريوس ولم يدر لمن كان النصر . رأى جنده قد فتت الخسائر فى عضوهم من جهة ولكنهم من جهة أخرى مطمئنين لما انزلوا بالعدو من الخسائر : وذلك لكثرة عدد القتلى وتساوى الخسائر فى الجانبين واذ كان كل من الفريقين على يقين من خسائره ولا يعرف خسائر عدوه الاتخمينا كان ادنى الى الاعتقاد بانه المغلوب على امره من الى الاعتقاد انه الغالب — ارخى الليل سدوله لا يصعب على احد ان يتصور كيف قضوا ليلتهم بعد تلك المعركة المخيفة مال الجيشان الى الراحة ويقال انه حدث هزة في الغابة المقدسة وخرج منها صوت هائل يعلن انه قتل الاترسكيين يزيدون واحدا عن قتلى الرومانيين وكان هذا صوت آله ولاشك لأن الرومانيين استعادوا شجاعتهم فجأة ملأوا المعسكر بصيحات الفرح أما الاترسكيون فقد استولى عليهم الفزع والاضطراب فتركوا ساحة القتال وتفرقوا هنا وهناك ولم يبق منهم سوى خمسة الاف تقريبا يقاومون هجمات الرومانيين فأسروا جميعا وسلب معسكرهم . أحصى الرومانيون القتلى فكانت خسائر الاترسكيين ٣٠٠ ر ١١ وقتلى الرومانيين اقل من هذا العدد واحد

يقال إن هذه الموقعة حدثت عشية أول شهر مارس وكان النصر لفالاريوس وانه اول قنصل دخل روما على عربة تجرها أربعة من الجياد وكانت النظارة تشهد هذه الابهة وهذا الجلال بلا حسد ولا استياء بالرغم من قول بعض الكتاب من أن هذا النصر لم يكن مدعاة للتنافس أو مثلا يحتذى وأن السعادة لم تجر بذلك عدة سنوات .

ولقد سر الناس مما قام به فالاريوس من تكريم زميله أثناء و بعد الجنازة التى القاها والتى سر بها الشعب غاية السرور وكانت ابتكارا جرى الناس عليه فكان اذا مات عظيم قام احد رجال الخير برثائه و تقدير حسناته . ويقال إن هذه المرثية سابقة لكل ماجرى من نوعها عند اليونانيين ولكن الفضل فى هذه العادة يرجع الى صولون الذى كان يقوم بتكريم الموتى على رواية الخطيب أنا كزعن

حدث بعد ذلك ان فالاريوس اصبح موضع استياء وريبة . ان بروتوس الذى يعتبره الشعب ابا الحرية اشترك معه قنصلين مرتين « اما فالاريوس فانه استاثر بالسلطة ؛ أنه ليس وريث قنصلية بروتوس وان ذلك ليس اشبه به انما هذا اشبه بتاركان ماذا يهمنا انه يطرى بروتوس كلاما يقتدى بتاركان عمليا ؟؟ الا انه يمشى وحده يحيط به حملة مشاعل والمطارق اذا خرج من بيته وهو بيت أكثر فخامة من قصر الملك الذى هدمه بيده ؟ » والحقيقة أنه كان يسكن قصراً فخما جدا قائما على جبل يدعى « فاليا » يدل على الفوروم « الساحة العمومية » ولا شىء يحجب النظر فى ذلك الارتفاع الشاهق . على ان الصعود اليه كان صعب المرتقى وكان مالاريوس اذا نزل من قصره في حاشيته مشى مشية جليلة تشعر بفخفخة الملوك وكان يظهر انه من حسن حظ الرجال الذين يتولون الشؤون العامة ان يفتحوا أذانهم للغة الصراحة والحقيقة أكثر من خطب المملقين . علم من أصحابه استياء الشعب فبدل أن يجادل فى

الامر أو يغضب دعا جماعة من العمال قبيل الصباح وهدم قصره حتى أساسه فلما طلع النهار ورأى الرومانيون هذا المشهد اعجبوا لعظمة نفس فالاريوس ولكنهم حزنوا لضياع القصر ، حزنوا لان الحسد أباد عظمة وجلالا . حزنوا لذلك حزنهم على انسان نفذ فيه حكم الاعدام ظلما . وقد خجلوا اذ رأوا القنصل يسكن كرجل بلا مدفاء ولا مسكن في منزل مستعار . ذلك أن اصحاب فالاريوس آووه الى منازلهم حتى صرح له الشعب بقطعة ارض بنى عليها منزلا أقل أبهة من الاول . وهو في المكان الذى يعرف الآن باسم « فيكابوتا » (١)

لم يقصد فالاريوس ان يحبب الى الناس شخصه فقط بل قصد أنه يحبب اليهم سلطة القنصلية التى كانت موضع ريب في نظر الجميع فنزع من الشارات الفؤس وكان كلما ذهب الى الجمعية العمومية خفض الشارات ذاتها وأحناها أمام الشعب وبذلك كان يعلن اعترافه واحترامه لسيادة الشعب ولا تزال هذه العادة جارية حتى اليوم . ولم ير الجمهور ان فالاريوس يضع بهذا الاعتدال من قدر نفسه بل اعتقد أنه أصبح بمنأى عن الحسد وانه يزيد من سلطته الشخصية بما يفقد فى الظاهر من امتيازات الحكم والواقع أن الشعب كان يخضع له راضياً مسروراً . ويقدم له الطاعة عن طيب خاطر فدعا الشعب « بوبليكولا » أى محترم الشعب وصار هذا له لقبا اشتهر به عن اسمه القديم وبهذا الاسم سندعوه فيما يلى من سيرة حياته . وأباح لكل انسان ان يتقدم لمقام القنصلية الخالى ولكن قبل انتخاب زميله الذى لا يدرى من هو وقد يكون عن غيرة أو جهل حجر عثرة فى سبيل مشروعاته عمد الى استخدام السلطة المطلقة التى كان يتمتع بها الى انجاز أجمل وأفيد اغراضه بدأ بتكملة مجلس الشيوخ الذى لم يبق من أعضائه الا قليل . فقد

١ اسم النصر المؤله ، مؤلف من كلمتين معناهما النصر والسيادة

ذهب الكثيرون ضحايا تاركان من قبل وسقط البعض فى حومة القتال. ويقال إنه زاد على الموجود منهم مائة واربعة وستين عضوا . ثم وضع جملة قوانين زادت فى سلطة الشعب : منها القانون الذى يقضى بأن ترفع الى الشعب الاحكام التى يصدرها القنصلان ثم قانون يقضى بالموت على من يتولى شأناً من الشؤون العامة دون أن يعينه الشعب وجاء القانون الثالث خير عون للفقراء وهو الذى يعفى الوطنيين من كل ضريبة فنشط ميل كل انسان الى الفنون والصنائع ولم يكن ما سنه ضد الذين لا يطيعون القناصل أقل شهرة ولا مجلبة للرضا فانه جاء فى مصلحة الفقراء أكثر منه لمصلحة الاغنياء . يغرم المخالف بخمسة ثيران وخروفين وثمن الخروف عشرة افلاس (جمع فلس) وثمن الثور مائة فلسا . لان النقود لم تكن كثيرة لدى الرومانيين فى ذلك الوقت وكانت ثرواتهم قطعان الماشية كبيرها وصغيرها ولهذا اطلق على الثروة اسم بكيوليوم (الاموال بمعنى الماشية (أى النعاج . وان نقودهم مرسوم عليها الثور والنعجة أو الخنزير وانهم يسمون أبناءهم بهذه الاسماء .

كانت هذه القوانين مقبولة بالرضا وملآى بالاعتدال ولكنه تشدد فى عقاب الجريمة شدة قاسية فقد سن قانونا يبيح قتل كل انسان يأتمر للظلم والاستبداد بدون اجراءات قانونية ويكفل عدم غياب المتهم بشرط أنه يقدم البراهين على الخيانة لانه كان يعتقد انه من المحال على من يدير امراً كهذا ان يخفى غرضه عن جميع الناس . وقد يحدث انه بالرغم من اكتشاف أمره قد يتمكن من اغتيال الحكم قبل محاكمته لذلك منح كل وطنى يحول دون ذلك بقتل المجرم حكما لا يمكن اجراؤه اذا تمت للمجرم جريمته

وقد لقى قانونه عن محصلى الاموال قبولا طيبا . كان الوطنيون مكلفين ان يدفعوا من أموالهم اعانات للحرب فلم يرد ان يمس هو هذه الاموال أو يعهد بها الى أصحابه ولم يرد ان يضع اموال الدولة فى بيت خاص فجعل الخزانة فى هيكل

ساتورن ولا يزال يستعمل بهذا الغرض وفرض الى الشعب اختيار محصلين من بين الشبان فاختار يوليوس فاتور يوس وفاركوس مينوسوس فحصل اموالا طائلة وبلغ التعداد حينذاك مائة ثلاثين الف وطنى عدا اليتامى والأرامل المعفين من الضرائب وبعد ان استوفي هذه الاجراءات اتخذ زميلا له في القنصليه ، لوكريتيوس والد لوكريس . ونزل له عن المقام الأول رعاية لسنه وترك له الشارات احترام لا يزالون يقدمونه للشيخوخة . مات لوكريتيوس فانتخب الشعب ماركوس هوراسيوس بدلا منه واستمر زميلا لبو بليكولا بقية السنة

وبينما كان تاركان يعد في اترورياحربا ثانية ضد الرومانيين حدثت على ما يقال معجزة غريبة كان تاركان اثناء حكمه بنى هيكلا لجوبيتر فى الكابتول ولما قارب الهيكل اتمامه رأى طاعة لوحى أولمحض ارداته ان يضع على القمة عربة من الطوب وعهد في صنعها الى فنانين اتروسكيين من فايين . حدث بعد ذلك ان انقلبت الملكية ولما فرغ الاترسكيون من صب القوالب وضعوا الطوب فى الفرن ولكن بدل انه يجف ويتجمع بما يتبخر عنه من البلوله . كما يحدث عادة تحت تأثير النار انكمشت وصارت كتلة هائلة وبلغ من شدتها وصلابتها ان رفعت سقف الفرن وهدمت جدرانه ولم يتمكن الصناع من اخراجها الا بمشقة فظيعة وقال العرافون انه فال حسن وانه اشارة الى بقاء السيادة للشعب الذى بقيت له مهنة الطحن وابى الفاييون ان يسلموا الى الرومانيين بناءاً على طلبهم قائلين ان العربة ملك لتاركان لاللذين طردوا تاركان . حدث بعد ذلك بايام انه جرى سباق عربات في فايين بما فيها من فخفخة وابهة وبينما كان الفائز المتوج يسير بمركبته متمهلا يخرج من المضمار زعرت الخيل بغير سبب منظور وبقوة خفية (المية) أو هى صدفة محضة وجهت تخطو سريعة نحو روما تجر سائقها وعبثا حاول توقيفها بيده وسوطه فلم يسعه سوى تركها لاندفاعها فاحتملته الى أسفل الكابتول فالقت به الخيل عند الباب الذى يدعوه الرومانيين اليوم (راتومين) زعر الفييون هذا الحادث واستولى عليهم

الرعب فسمحوا للصناع ان يسلموا عربة الطوب

نذر تاركان القديم بن دامارات فى حرب مع السابيين بناء هيكل لجوبير الكابتولى ووفى تاركان الفخم ابنه أو حفيده ذلك النذر ولكنه لم يستطع القيام بحفلة تكريس أو اهداء الهيكل لانه طرد قبل تمامه ولما تم البناء وهيء بدواعي الجلال اظهر بوبليكولا غيرة شديدة للقيام بتكريسه فقام كثيرون من اعيان روما فينازعونه هذا الامتياز (٥) لقد احتملوا بلا حزن كبير ماأصاب بحق من المجد لقوانينه وانتصاراته ولم يروا له حقا في نيل هذا الشرف الجديدفاغروا هوراسيوس ان يطالب بذلك

وقعت حرب اضطرت بوبليكولا الى الخروج من روما فمهد حساده إلى هوراسيوس فى القيام باهداء الهيكل واخذوه الى الكابتول لانهم يئسوا من حمله على ذلك بحضور بوبليكولا ويقال ان القنصلين اقترعا فيما بينهما فاصاب بوبليكولا قيادة الجيش واصاب هوراسيوس تدشين الهيكل ويمكن معرفة الحقيقة مما جرى اثناء الحفلة • اجتمع الشعب في الكابتول في اعياد سبتمبر التى تقع عند استدارة قمر ماتاجيتنيون وكان الجمع في صمت عميق وبعد ان ادى هوراسيوس الرسوم الاولية أمسك كالمعتاد باحد ابواب الهيكل وشرع يتلو الصلاة العلانية للدشين وكان ماركوس شقيق بوبليكولا واقفا من زمن عند باب الهيكل ينتظر الوقت المناسب فقال : ايها القنصل ان ابنك مات مريضا في المعسكر : فحزن الجميع لهذا النبأ ولكن هوراسيوس لم ينزعج له وا كتفى بقوله « ارموا الجثة حيث شئتم أما أنا فلا البس الحداد » واستمر فى صلاة التدشين وكان الخبر كذب ابتدعه ماركوس ليبعد هوراسيوس ولكن هوراسيوس اظهر ثباتا عجيبا قد يكون لمعرفته خدعة ماركوس فالاريوس أو انه اعتقد الخبر صحيحا ولكنه لم يعبأ له

وقد وقع هذا الحادث ذاته عند اهداء الهيكل الثانى ، بنى الهيكل الاول تاركان كما تقدم القول وقام بتدشينه هوراسيوس ولكنه احرق اثناء الحرب

الاهلية — أعاد سيللا بناءه ولـكن كاتولوس هو الذى قام بتدشينه لان الموت حال سيللا وهذا الشرف . هدم هذا الهيكل اثناء الفتنة التى وقعت فى عهد فيتاليوس . واعاد فيسباسيوس بناءه ولم يخنه حظه أيضاً فى هذا العمل . فقد اتمه ولم يشهد تخريبه فكان حظه اسعد من حظ سيللا الذى مات ولم يستطع ان يدشن الهيكل الذى بناه — مات فيساسيوس ولم ير احتراق هيكله فى الحريق الذى التهم الكابتول كله بعد موته بقليل أما الهيكل الرابع القائم الآن فقد شيده دومتينان ودشنه بنفسه

يقال إن تاركان انفق على تأسيس هيكله فقط أربعين الف رطل من الفضة أما الهيكل الحالى فجميع ثروة اغنى رجل في روما لاتفى نفقات حليته فقط فقد بلغت اثنى عشر الف ثالان وقد نحتت اعمدته فى محاجر بنتال وكانت عندما رأيته فى اثينا اعمدة وقطار دائرتها على تناسق تام ولكنى عندما شاهدتها فى روما وجدتهم قد اعادوا نحت الاعمدة وصقلها وبذلك اضاعوا من روعتها وتناسبها . واضاعوا من جمالهما بما احدثوا فيها ترقيق وما على من اراد ان يعجب بعظمة الكابتول سوى أن يرى احد اروقة أو غرف قصد دومتيان وحدها ان حماماته او مساكن محظياته تذكرنا كلمة ابيشارم لذلك المسرف لست محسناً بل انت مريض والعطاء سرورك ، ويصح ايضاً أن نقول لدومتيان :لست صالحاً ولا عظيما . انت مصاب بمرض وهو حب البناء — تريد مثل ميداس الشهير ان كل شيء يتحول بين يديك الى ذهب ورخام » وكفى بهذا افاضة فى هذا الموضوع

أما تاركان فانه بعد الموقعة الكبرى التى هلك فيها ابنه لرونس فى قتاله مع بروتوس فقد لجأ الى كلوزيوم لدى لارس بورسينا اعظم ملوك ايطاليا ومشهور بصلاحه وكرمه فوعده المساعدة وطلب الى الرومانين قبول تاركان واذ

رفضوا طلبه اعلن عليهم الحرب وعين اليوم الذى يهاجمهم فيه والاماكن التى سيهاجمها وسار اليهم في جيش عرمرم

عين بوبليكولا قنصلا للمرة الثانية مع انه كان غائباً وعين معه تيتوس لوكريسيوس. واستخفافا بجرأة لرسينا تركه يقدم اليه واشتغل ببناء سيليوريا وانفق عليها كثيراً وحصنها تحصيناً منيعاً وانزل فيها جالية من الرومانيين تبلغ سبعمائة رجل. اراد بذلك أن يظهر لبورسينا أنه لايبالى بحربه وانه يسخر منها. هاجم بورسينا أسوار روما وحمل على طليعة الجيش حتى الجأها الى الفرار. اندفع الاعداء على المدينة واختلطوا بالهاربين ولكن بوبليكولا تقدم الى الأبواب ودافع الاعداء الذين يفوقون قواته عدداً وتثبت المعركة بالقرب من نهر التيبر واستبسل في القتال حتى سقط من جراحه الشريفة الباسلة فحملوه خارجا عن ساحة القتال. وقد جرح زميله لوكريسيوس مثله فخارت شجاعة الرومانيين ونجوا بأنفسهم مشتتين بين انحاء المدينة، تعقبهم الاعداء الى كوبرى (جسر) الخشب متأهبين لأكتساح المدينة ولولم يقف لهم هوراسيوس كوكلس واثنان من اشراف المدينة وهما هرماتيوس ولارتيوس فاوقفوهم عند رأس الجسر. دعى هوراسيوس، وكوكلس لانه فقد احدى عينيه في الحرب أو لانه كان أفطس الانف بحيث لم يكن فارق بين عينيه وكان حاجباه متصلين مختلطين ببعضهما. اراد الشعب أن يدعوه سيكاوب ولكن صعب عليه اللفظ فدعاه كوكلس وعرف بهذا اللقب. وقف كوكلس هذا للاعداء على رأس الجسر ودافعهم دفاع الابطال فاعاق تقدمهم حتى تمكن رفاقه هدم الجسر من خلفهم ثم القى بنفسه فى نهر التيبر واجتازه جومامع أنه اصيب بسهم من الاترسكين فى فخذه ووصل الى الشاطى الآخر. أعجب بوبليكولا بشهامته فطلب إلى الرومانيين ان يتبرع له كل رومانى بمبلغ يوازى نفقات قوته في يوم. وأن يقدموا له من الاراضي مايستطيع تفليحه فى يوم في دائرة يخطها هو. ولم يكتفوا بهذا بل اقاموا

لـكركلس تمثالا من النحاس فى هيكل فولـكان ، ار أدوا بهذا التكريم أن يواسوه على بقائه اعرج بسبب جرحه .

استمر بورسينا على محاصرة المدينـة وبدأ الرومانيون يشعرون بالجوع وفى هذا الوقت كان جيش آخر من الاتريسكيين يغير على الاراضى . عين بوبليكولا قنصلا للمرة الثالثـة فاعتزم أن يقف من بورسينا موقف المدافع الحريص على سلامة المدينة فلا يخاطر بالاقدام على معركة أما الاتريسكيون الذين كانوا يعيثون في القرى فقد انسل اليهم خفية وشتت شملهم وقتل منهم خمسة آلاف رجـل

لقد اختلفت الروايات عن موسيوس وسنروى أقربها الى العقل . كان رجلا جم الفضائل مجربا فى الحروب اعتزم قتل بورسينا واتخذ زى اتريسكى ونفذ الى معسكر الاعـداء وكان يعرف لغتهم . طاف بمجلس الملك ولـكنه لم يكن يعرفه بالذات وخشى أن يفتضح أمره اذا سأل عنه فاستل سيفه وقتل أحد أعوانه ظانا أنه قتل الملك وفي الحال قبض عليـه وحقق معه وكان بالقرب من المجلس نار مشتعلة كان بورسينا ينوى تقديمها . مد موسيوس يده اليمنى الى النـار فكان لحمه يحترق وهو ينظر الى بورسينا ثابت الجأش ليهدده بنظراته . أعجب بورسينا بهذا الموقف ايما اعجاب فأطلق سراحه ومد اليـه سيفه من أعلى مجلسه فقبض عليه موسيوس بيده اليسرى وكان هذا سبب تلقيبه بالايسر وقال مخاطباً بورسيناً آخذاً سيفه ، لقد اجترأت على تهديداتك ولـكنك قهرتنى بكرمك لذلك اعترف لك على سبيل مقابلة الفضل بمثله بسر لم تكن الشدة لتنتزعه من صدرى . لقد اعتزم ثلاث ماية رومانى مااعتزمته وهم الآن يجوسون خلال معسكرك يتحينون الفرص وقد وقع الاختيار على أن أكون البادىء وليس لى أن آسف لحظى أن أخطأت رجل خير الى حرى به أن يكون صديق الرومانيين لاعدوهم . فلم يشك بورسينا فى صدق هذه الرواية وأظهر استعداده للوفاق . ورئى أن ذلك كان خوفا منه من الثلثماية المتآمرين ضده أ كثر من اعجابه واحترامه لشهامة وبسـالة

الرومانيين . والمعروف أن هذا البطل يدعى موسيوس شيفولا (الايسر)ولكن أتينو دور ، بن ساندون (١) قال في كتابه عن أوكتافيا أخت أغسطس أنه يدعى أيضاً (أوسبيجونوس) (٢)

أيقن بو بليكولا أن لاخوف على روما من عداء بورسينا بمقدار مايستفيد من صداقته ومعاهدته لذلك لم يأب تحكيمه بين تاركان والرومانيين ولقد بسم له هذا الرأى أى أنه رأى فيه خيراً فدعا تاركان غير مرة للدفاع عن قضيته أمام بورسينا معلنا استعداده لاقناعه بانه شر الرجال وانه حقيق بان يجرد من الملكية وأجاب تاركان بكبرياء أنه لا يقبل تحكيم أحد وعلى الاخص بورسينا ولو تخلى هذا عنه وحنث بعهده ـ أغضب هذا الرد بورسينا على تاركان و كأن ابنه أرونس مخلصا للرومانيين .قد الح عليه فى الرجاء فعرض الصلح على الرومانيين بشرط أن يعيدوا اليه الاسرى والاراضى التى أخذوها من أتريريا مقابل رد الهاربين من الرومانيين . قبل هؤلاء الشرط وقدموا عشرة من أبناء العائلات الكبرى وعشرة فتيات بينهن فاليريا ابنة بو بليكولا

عقد الاتفاق وسرح بورسينا معظم جيشه ثقة بالمعاهدة وحدث ان الروميات يزلن الى النهر للاستحمام في مكان انثنى فيه الشاطئ على شكل هلال حيث لا تيار ولا هواء يثير الامواج واذ رأى الفتيات أنهن بلا حراس ولا احد يمر بالشاطئ ولا مراكب فى النهر اعتزمن عبوره سباحة بالرغم من عمقه وسرعة تياره ويقال أن واحدة منهن تدعى كلالى امتطت جواداً أثناء العبور وكانت تستنهض همم زميلاتها

وصلن الى الشاطئ الآخر سليمات وذهبن لملاقاة بو بليكولا ويدل انه يعجب

---

١ أحد معلمى اغسطس ثم تيبر وهو من طائفة الرواقيين وانه أقل منه شهرة

٢ هذه ترجمة الكلمة اللاتينية «بوستيمرس» الى اليونانية وكان الواجب ان يشير فلوطارفوس الى ذلك لا ان يوهم القارىء ان الرومانيين كانوا فى تلك العصور القديمة يدعون ابناءهم باسماء يونانيه

بهن أو يبدى موافقة على عملهن أظهر استياءه وخشي ان يتهم بأنه أقل أمانة فى الحرص على عهوده من بورسينا وان تعتبر جرأة هذه الفتيات خيانة من الرومانيين. فجمعهن واعادهن الى بورسينا .

علم تاركان بعودتهن فكمن لهن بجيش كبير العدد واذ كن تجتزن النهر هاجم الحراس ، استبسل الرومانيون في الدفاع عن أنفسهم ولكن فاليريا ابنة بو بليكولا دفعت جوادها بين المتقاتلين وتبعها ثلاث من الخدم ، ساروا فى رفقتها حتى معسكر بورسينا وبقى الآخرون ثابتين للقتال حتى كادوا يتقهقرون ولكن أرونس علم بما هم فيه من خطر فطار اليهم وهزم الاعداء وأنقذ الرومانيين

ولما مثلت الفتيات أمام بورسينا استعلم عن التى بدأت وحرضت زميلاتها فذكروا له كلالى فنظر اليها باسما وأحضر أحد جياده الملكية مطهما بافخر ما تتطهم به الجياد واهداه اليها . هذا ما يزعمه الذى يدعون ان كلالى هى وحدها التى اجتازت النهر على جواد ويقول البعض أن ملك أتريريا أراد بذلك تكريم شجاعة الرجلة ليس غير . وهناك تمثال لكلالى فى الشارع المقدس المؤدى الى جبل بالاتان ولكنه في نظر البعض تمثال فاليريا لا تمثال كلالى .

ولما عقد الصلح ابدى بورسينا للرومانين آلة ساطعة على كرمه وعظمة نفسه . ذهب الى حد تحريمه على ضده ان لا يحملوا شيئاً سوى أسلحتهم وان يتركوا للرومانيين جمع المؤنة والاموال التى كانت فى معسكره لذلك لا تزال العادة حتى اليوم عند ما تبيع الحكومة شيئاً يبدأ المنادى بقوله (أموال بورسينا) وهذا شرف مقدس واعتراف خالد بكرم هذا الملك ، ولقد أقيم له غير بعيد عن مجلس الشيوخ تمثالا من النحاس وهو غير متقن الصنع ومن طراز قديم حدث بعد ذلك ان السابيين أغاروا مسلحين على أراضي روما وكان القنصلان

مار كوس فالاريوس شقيق بوبليكولا وبوتوميوس توبيرتوس واذ لم يكن يحدث شيء خطير هناك بدون رقابة ومشورة بوبليكولا.

احرز ماركوس انتصارين باهرين لم يفقد في الثاني احدا من رجاله وقتل ثلاث عشر الف من الاعداء. فلم يكتفوا فى جزائه بمنحه شرف الانتصار بل بنوا له على حساب الخزانة العامة منزلا وفوق جبل بالاتان. ومما امتاز به هذا المنزل ان جعلت ابوابه تفتح الى الطريق لا الى الداخل كالمعتاد

اراد الشعب بهذا التميز الدلالة على رغبته فى جعل المنزل اكثر سعة. ويقال ان جميع المنازل في اليونان كانت ابوابها على هذا النحو يستنتجون ذلك مما يحدث عند تمثيل الروايات حيث كان يتعين على من يريد الخروج من منزله ان يقرع الباب من الداخل وان يفتح حتى ينبه من كان خارجا فيسحب قبل ان يدفع الباب الى الطريق

عين بوبليكولا فى السنة التالية قنصلا للمرة الرابعة اتحد السابيون واللاتينيون وتوقعت روما حربا جديدة وكان قد استولى على المدينة فزع وهمى ازعج الجميع ذلك ان النساء لم تكن تلد سوى أطفال مشوهين وقليل منهما من كانت تستوفى موعدها الطبيعى. راجع بوبليكولا كتب الصوافين وقدم الضحايا تهدئية لغضب بلوتون وأقام ملاعب قديمة كان قد امر بها ابولون فاعاد السرور الى روما باعادة الثقة بحماية الآلهة ثم فرغ الى درء الخطر الذى يهدده الناس لان الاتحاد الذى دبر كان مخيفا وكان الاعداء يعدون له معدات جسيمة

كان بين السابيين وطنى واسع الثروة يدعى ابيوس كلوديوس له قوة خارجة للعادة. وهو أول رجال امته فصاحة وفضيلة لم ينج مما يصاب به العظماء فصار موضعا للحسد. أراد منع الحرب فاتخذ حساده ذلك ذريعة لاتهامه. وادعوا انه يرسب زيادة قوة الرومانيين ليكون الحاكم المستبد في وطنه ويجعله ذليلا وكان الشعب يصغى الى هذه المفتريات فرأى ابيوس أنه صار موضع بغض اعداء السلام

ومحبى الحرب فخشى أنه يقدمه للمحاكمة فجمع عددا كبيرا من اهله واصحابه وأثار فتنة فعطل بذلك الحرب وهدد السابيين . وكان بو بليكولا مطلعا على كل مايجرى بين الاعداء فكان يزيد لهب الخلاف ويوقع التفرقة بينهم وارسل الى كلوزيوس من يقول له « ان بو بليكولا يعرفك رجل خير واعدل من ان تضمر الانتقام من مواطنيك مهما تكن اخطاؤهم نحوك واذا اردت ان تنجو بحياتك وان تخلص من موقف الأعداء فاجعل مقامك بالقرب منه . ان روما والحكومة وكل وطنى يستقبلك بما يليق بفضلك وبالعظمة الرومانية » عمل كلوزيوس الفكر فى هذا الاقتراح ولم يرهو فى موقفه الحرج خيرا لهمنه . كاشف اصحابه بالامر فعملوا هم ايضا على اكتساب الكثيرين غيرهم وهاجر تحت قيادة كلوزيوس خمسة الآف من رؤساء العائلات بنسائهم واولادهم وخدمهم . كل من كان بين السابيين من الودعاء الراغبين فى حياة السلم والعيش الهنىء ولما علم بو بليكولا بمجيئهم أسرع لاستقبالهم بكل حفاوة وصورة ومنحهم جميعا حقوق الوطنين وخص كل منهم بفرسخين على طول شاطىء نهر الينو ومنح البيوس خمس وعشرين وجعله فى عداد رجال مجلس الشيوخ وكان هذه أول منزلة سياسية احتلها وظهر بعد ذلك حكمة فى ادارة الاعمال حتى قلد اهم الاعمال واكتسب سلطة واسعة واليه ترجع اسرة كلوزيوس التى لاتقل شيئاً عن أية اسرة فى روما اسكنت هذه الهجرة ما كان بين السابيين من الاضطراب ولكن دعاة التحريض لم يدعوهم هادئين فصاحوا بهم « من العار أن كلوديوس عدوكم الهارب مبال مابنيناه عليه حين كان بيننا ويمنعكم ان تثأروا لانفسكم من اهانات روما . فسار السابيون من جيش كبير وعسكروا بالقرب من (فيدن) وكمن منهم الفان فى اماكن غائرة مكشوفة على مدى أدنى من روما وانتوا ان يرسلوا صباح الغد ، الفوارس الى ابواب روما ومتى خرج اليهم الرومانيون تظاهروا بالتقهقر حتى يقع الاعداء فى الكمين . علم بو بليكولا من الهاربين ما اضمروه فاستعد لكل طارىء وقسم جيشه .

أرسل بوستوميوس صهره فى ثلاثة آلاف جندى واستولى مساء على المرتفعات التى تظل الكمين وينظر هناك الفرصة المناسبة واتضى لوكريسيوس زميله ابسل واشجع من فى المدينة من الشبان يحمل بهم على الفرسان اما هو فيسير بباقى الجيش ليحيط بجيش السابين

وفى مطلع فجر الغد كان الضباب مخيما فحمى حركات الرومانيين عن الانظار انصب بوستوميوس في ضجة من اعلى المرتفعات على الجيش الكامن بينما كان لوكريسيوس يطارد الفرسان الراكبين فى الخلا و بوبليكولا يهاجم معسكر الأعداء . اخذ السابيون من كل جانب فتشتتوا منهزمين . لم يفكر جيش المعسكر فى الدفاع عن نفسه بل ركن الى الضرار فعمل الرماحة فى اقضيتهم وما كان أشد خيبة آمال السابيين فيما كانوا يؤملونه من ان الدائرة لم تدر على غير ناحية من نواخيهم اذ لم يفكر جانب منهم فى الثبات او القتال فكان يجرى رجال المعسكر الى رجال الكمين وكان هؤلاء يجرون الى رجال المعسكر فبدل أن يجد كل ملجأ لم يجد الا الاقارين فى حاجة مثلهم الى من يأخذ بيدهم ؛ كان من المحتم أن يهلك جميع السابين لولا أن (فيدن) المدينة المجاورة . آوت البعض منهم لاسيما رجال المعسكر الذين فروا منهم بعد أن استولى عليه الرومانيون اما الذين لم يبلغوا فيدن فقتلوا او اسروا .

والرومانيون الذين كان من عادتهم ان ينسبوا مجد النصر الى الآلهة نسبوا هذا النصر الى حكمة الصائد وكانت أول عبارة فاه بها المقاتلون ان بوبليكولا سلم اليهم الاعداء عرجا عمياً مغلولى الايدى والاقدام ولم يكن عليهم سوى ذبحهم استعاض الشعب خسائره من اسلاب الاعداء و بيع الاسرى . قال بو بليكولا امجاد النصر وما كاد يسلم القنصلين المعينين لاستلام الاعمال بعده حتى توفى بعد ان قضي حياة ملآى بما تمتع به حالتنا البشرية من جميع خيرات العالم وامجاده وكان الشعب لم يقيم لبو بليكولا فى حياته بما يجب لفضله فقرر أن تدفن جثته

الخزانة العامة وا كتتاب كل وطنى بربع اس

وقررت النساء فيما بينهن قراراً شريفاً مجيداً هو أن يلبسن الحداد على بو بليكولا سنة كاملة . وقرروا ايضاً ان يدفن فى المدينة بالقرب من تل فاليا وحفظ حق الدفن في هذا المكان لاعقابه أبد الدهر ولكنهم اليوم لايدفنون في هذا المكان احداً من اسرته انما يكتفى بان يحمل اليه الجثة ويقوم احدهم بمشعل مضاد داخل القبر لحظة ثم يخرج في حفلة تشهد . بحق الميت ليدل على هذا الشرف وتحمل الجثة الى جهة اخرى

الموازنة

بين صولون وبوبليكولا

انه فى الموازنة بين صولون وبوبليكولا اعتبار خاص لم يسبق له نظير فيما كتبت من الموازنات . ذلك ان احدهما كان مقلداً والآخر مشاهداً لمن أريد موازنته به ٠ وانى ملفتك الى أن معنى السعادة الذى ادلى به صولون امام كراسيوس . اليق ببوبليكولا منها بتلاوس . ان تللوس الذى وصفه صولون بانه اسعد رجل لانه مات ميتة مجيدة ولأنه كان جم الفضائل ولانه ترك بعده ابناء محترمين لم يوصف بانه رجل خير حتى ولا في قصائد صولون. عاش ابناءه غير معروفين ولم يتول وهو فى حياته منصبا من مناصب الحكم . اما بوبليكولا فانه بما احتاز من فضل وثقة صار أول الرومانيين شهرة ولا تزال في ايامنا ؟ ستمائة سنة بعد وفاته أكبر اسر روما كآل بوبليكولا وآل مسيلا وآل فاريوس يرجعون اليه بشرف محترم . مات تللوس بيد الاعداء شجاعا ثابت القدم بين جماعة. اما بوبليكولا فقد مات بعد أن قضى على الاعداء شر قضاء ولاشك ان هذه اسعد حالا من السقوط تحت ضرباتهم مات بعد ان رأى نفسه قنصلا ورأى وطنه منتصرا. مات بعد النصر موفور الكرامة والشرف ٠ مات تلك الميتة التى كان يشتهيها صولون وكان يحسبها اسمى درجات السعادة واليك ما ابداه صولون فى جوابه الى ميمنوم (١) عن مدى الحياة« وأتمنى الا يكون موتى غير مجر للدموع . أتمنى ان يشيع اصحابى جنازتى بين الالم والنحيب . »

---

١ شاعر وموسيقى يونانى ولد فى كولوفون وكان معاصرا لصولون

ان هذا التمنى هو سعادة بو بليكولا . لم يبكه اهله واصحابه بل بكته المدينة كلها كان البكاء والاسى والحزن العميق شاملا للجميع وكأن كل امرأة من النساء الرومانيين قد فقدت ابنا أو اخا أو والدا

كان صولون يقول

« أريد الثراء ولكنى لا أريده من الظلم » . . .

لان العقاب لا بد آت . لم يغن بو بليكولا عن طريق الظلم بل كان من فضله أن أحسن استخدام امواله فى مساعدة الفقراء . كان صولون أحكم الرجال وكان بو بليكولا اسعدهم . ان كل ما اشتهاه الاول كاجل وأعظم الخيرات احتازه بو بليكولا ونعم به حتى موته

مجد صولون بو بليكولا كما مجد بو بليكولا صولون بتقديمه كا كمل مثل يقتدى به مؤسس دولة شعبية

جرد السلطة الملكية من فخفختها القديمة وجعلها محسنة لطيفة للجميع . استعار كثيراً من شرائع صولون منها منح الشعب حق انتخاب الحكام ومنها حق المتهمين فى رفع قضاياهم الى مجلس الشعب ، كما سن صولون شرعة الاستئناف الى بو بليكولا ولئن كان بو بليكولا لم ينشئ مجلس شيوخ جديد كصولون فانه زاد القديم ما يقرب من نصف عدده وكان من شأن ما سنه لمراقبى الخزانة العمومية أن يفرغ الصالح من القناصل للاعمال الهامة وان لا يجد الشرير في حوزته من التحكم فى في الاعمال العامة والاموال العامة ما يعينه على عمل الشر

ان بغض الظالمين كان أملك لنفس بو بليكولا . حقيقة أن صولون سن قانونا يقضى بمحاكمة من يطمح الى الاستئثار بالحكم ، ولكن بو بليكولا اباح قتله قبل المحاكمة. يفخر صولون بحق فى رفضه حكومة ملكية قدمتها اليه الظروف وحمله اليها مواطنوه راضين. وليس قليلا ان يتمكن بو بليكولا من أن يحبب الى الشعب سلطة تكاد تكون مستبدة ، والا يستخدم لذلك كل ماالديه من قوة؟ اعتدال عبر عنه صولون

بقوله عن الشعب» يطيع رؤساءه بلا تذمر» - «اذا كبح جماحه دون ان يسحق تحت حمله»
ومن مفاخر صولون الخاصة الغاؤه الديون لانه وطد حرية الوطنيين . من العبث
ان تسن شريعة المساواة اذا كانت الديون تحرم الفقراء الاستمتاع بها . ومن
العبث ان يكونوا في الظاهر ممتعين بالحرية ماداموا في القضاء والوظائف العمومية
وحرية الكلام عبيدا للاغنياء خاضعين لاوامر دائنيهم ولقد فعل صولون اكثر
من ذلك . من المعلوم ان الغاء الديون يعقبه اضطراب وشقاق ولكن صولون
استخدم في تطبيق هذا القانون الحكمة التي تقتضيها تناول دواء خطر شديد
وتمكن من تهدئة الفتنة التي ثارت في اثينا بما لفضله من الهيبة كما تمكن من تهدئة
ما احدثه القانون من الاعتراضات والتذمرات .

واذا نظرنا الى إرادتيهما في جملتها وجد ناصولون ابهى مطلعا، وانه شق طريقة بنفسه
ولم يتقدمه احد وانجز بمفرده لا يعاونه احد جميع مشروعاته حتى اكبرها . أما بوبليكولا
فكانت خاتمة اعماله اسعد شأنا ، يحسد عليها . شهد صولون انقلاب الحكومة التي
اسسها ، اما ماشاده بوبليكولا فقد أقام النظام في روما الى عهد الحرب الاهلية ذلك
ان صولون غادر اثينا بعد نشر قوانينه فتركها بلا مدافع عنها محفوظة في
اللوحات والقوائم أما بوبليكولا فباقامته في روما قابضا على ازمة الحكم ثبت
قوانينه واكد بقاءها . صولون بعد جهد عقيم لزمه لتعطيل دسائس بيز
يستراتس التي فضح امرها ، انتهى الى الرضوخ لحكومة مطلقة اما
بوبليكولا فقد تمكن من القضاء على ملكية قوية استمرت عدة قرون لم يكن
شجاعته اقل من رغبته ولا اعزازه الفضيلة ولم يخنه الحظ الذي يدعم الجمهور ولا
الهمة التي تنجز الاعمال

اما المعارك الحربية . فاذا صدقنا قول دايما كوس من بلاته (١) فان صولون

---

١ مؤلف تاريخ للهند اشار اليه سترابون كمجموعة قصص خرافيه كاذبه عن تلك البلاد
وهو كاتب غير معروف ولم يبق من كتاباته شيء

لم يكن قائد تلك الحملة ضد المجاريين التي رويناها ولكن بوبليكولا أحرز على رأس الجيوش انتصارات باهرة وقد أوذي في شخصيته. صولون بصفته رجل حكومة أشار على الاثنيين ان يستردوا سلامين. لجأ في ذلك الى الحيلة فادعى الجنون. اما بوبليكولا فقد جعل فاتحة أعماله مخاطرة عظيمة، أعلن عداءه لتاركان وفضح المؤامرة وحال دون نجاة الخائنين من العقاب ولم يكتف بطرد الظالمين من روما بل قضي على أمالهم؛ ولئن كان قد واجه بهذا الحزم تلك الاعمال التي تتطلب الشجاعة والهمة ولم تكن لتستقر بدون قوة السلاح، أظهر حكمة فائقة في الشؤون التي تقتضي اللوم السلمي والاقناع. فقد اكتسب بورسينا وهو قائد لم يقهر وعدو شديد الخطر وجعل منه صديقا للرومانيين وقد يعترض على هذا بان صولون افتتح سلامين التي أضاعها الاثينيون بينما بوبليكولا قد سلم أراضي كان الرومانيون يحتلونها ولكن يجب الحكم على حسب الظروف، إن السياسي المحنك يعمل اعمالا متباينة في ظروف متباينة؛ ويتناول الامور من حيث تكون ايسر قبولا. وكثيرا ما يضحي بالجزء لسلامة الكل ويعطي قليلا ليأخذ كثيرا. وعلى ذلك يكون بوبليكولا بتنازله عن اراضي اجنبية ضمن في ذلك اليوم صيانة جميع بلاده حين كانت أكبر سعادة في نظر الرومانيين إن يروا مدينتهم بعيدة عن الخطر، وقد اجتلب اليهم ماعدا هذه السعادة جميع الاموال التي كانت في معسكر الحاضرين وباتخاذه عدوه حكما انتصر على خصمه وحصل مع النصر على كل ما كانت تطيب نفسه لبذله لتتم له الغلبة. لان بورسينا عقد الصلح وترك للرومانيين جميع زخائر الحرب بفضل ماأدخله القنصل على نفس بورسينا من الثقة بفضائله وعظمة نفوس الرومانيين جميعاً ؟

تيميستوكل

وقعت أهم حوادث حياة تيميستوكل بين ٤٧٣ ،٤٦٣ ق . م

كانت عائلة تيميستوكل أقل من أن يكون مدينا لها بمجده كان والده نيوكلس رجلا متوسط الحال اثينيا من مريار قرية قبيلة لنيوتيد . وكان من جهة والدته ابن زنا كما تشهد بذلك الأشعار الآتية :

أنا ابروتونوم امرأة من أمة التراقين . ولكني أنا التي ولدت ولي الفخر تيميستوكل العظيم للبلاد اليونانية (١) ولكن فانياس يقول أن والدة تيميستوكل لم تكن تراقية بل كانت كارية ويدعوها ابيتروب لا ابرورنوم . ويزيد نياتيس على ذلك قوله أنها من هاد ليكارنس من كارية .

كان أولاد الزنا يجتمعون للرياضة البدنية فى ملعب سينوزارج الواقع خارج المدينة مكرسا باسم هرقل والحقيقة أن هرقل لم يكن الها بالمعنى الصحيح إذ كانت تعلق به ريبة أبناء الزنا لانه ابن امرأة . تمكن تيميستوكل من اقناع بعض أبناء الاشراف أن يشتركوا معه فى الالعاب وتمكن بهذه الحيلة الماهرة من الغاء الفارق بين أبناء الزنا والوطنيين الحقيقيين . ومن المحقق أنه ينتسب الى أسرة ليكوميد لانه لما هدم هيكل ليكوميد فى « فيلى » بعد أن اضرم البرابرة فيه النار أعاد تيميستوكل بناءه وحلاه بالصور ، هذه رواية سيمونيد .

يقول الكتاب أنه أظهر منذ طفوله طبيعة حادة وعقلا عادلا وميلا طبيعياً للاعمال العظيمة . واستعداد رجل حكومى (سياسى) لم ير فى أوقات الراحة والفراغ التى تسمح له بها دروسه الاولى لاعبا ولا عاطلا شأن أمثاله من الاطفال كان يقضيها مفكرا أو منشئاً خطبا للاتهام أو الدفاع عن رفاقه . قال له استاذه

١ هذه من أشعار امفيكرات عن مشاهير الرجال ذكرهااتينه ١٣ ـ صحيفه ٥

غير مرة : لن تكون يا بنى رجلا وسطا ستكون متطرفا إما فى الخير أو في الشر ! !

لم يكن يعنى بالعلوم التى تعرفنا آداب المعاشرة أو الفنون الجميلة أو رياضة الاجسام عناية كبيرة ولكنه كان يبذل جهداً فوق طاقته لتقوية ذوقه الطبيعى واستعداده للاعمال العامة لانه كان يحسن ما انطوت عليه نفسه . وكان يجيب على سخرية الساخرين به من أولئك المتقدمين عنه فى تلك الشؤون التى يدعونها حرة مستوحشين اخلاقه بكلمات ملؤها الانفة والاباء « حقيقة انى لا أحسن الايقاع على المزهر (العود) ولا الالعاب الجمناستيكية ولكن أعطونى قرية صغيرة نكره وأنا أجعل منها مدينة شهيرة عظيمة »

و يؤكد ستزنبروث (١) أن تيميستوكل تأدب على أناجزا كور وكان تلميذاً للعالم الطبيعى ماليسيوس . ولكن هذا خطأ تاريخى لأن ماليسيوس دافع عن ساموس ضد بريكليس وقد جاء هذا بعد ذاك بزمن طويل . وكان أناجزا كور صديقا لبريكليس وعليه تكون الاولى هو الاخذ بقول القائلين كان أشد المتحمسين لمنزيفيل ومنزيفيل هذا لم يكن خطيباً ولا فيلسوفا ممن يدعونهم علماء طبيعة (٢) ولكنه كان ممن يعلمون الحكمة وهى فى عرفهم صناعة الحكم وتدبير الاعمال العامة وكان منزيفيل و ريث شيعة فلسفية ترجع الى عهد صولون وتنشر تعاليمه . اضف الى هذه التعاليم فن الجدل ثم عدل الاساتذة عن الاعمال الى الخطب الكلامية وأطلق عليهم اسم السوفطائين أما تيميستوكل فكان عند التحاقه بمنزيفيل قد اشترك فى ادارة أعمال الحكومة.

كان لاول عهد شبابه قلقا غير ثابت مستسلما لجماحه الطبيعى لا يرده

١ ولد فى تاسوس ومعاصر بريكليس

٢ كانوا يطلقون هذا اللقب فى العصور القديمة على فلاسفة المدرسه اليونانية مثل تالس واناجزيماندر ومالسيوس

العقل ولا التربية يلقى بنفسه فى تطرفات متباينة وغالبا يختار شرها اعترف بذلك فيا بعد بقوله « أن أشد مهر جماحا يصير خير جواد متى كبح جماحه وروض » وقد بالغوا فى ذلك اذ قالوا أن والده حرمه ميراثه وان والدته لما أعياها الاله من حياة ابنها المخجلة انتحرت . ولكن هذا على ما أرى محض افتراء ويؤكد البعض على العكس من ذلك أن والده أراد أن يحوله عن الاعمال العامة فاراه يوما على الشاطئ قوارب هشيمة مهملة ، وقال . « هذا ما يعمله الشعب بالخطباء حتى صاروا عديمى النفع »

ومهما يكن من الامر فان تيمستوكل كان قد وضع يده على الاعمال العمومية وعمل فيها بحمية تحدوه رغبة شديدة للمجد متطلعا الى المقام الأول متصديا كبار رجال المدينة وثقاتها وكان اشد عنادا ومقاومة لار يستيد بن ليز يما كوس معارضه الدائم المستمر ويزعمون ان البغضاء نشأت بينهما لاسباب حقيرة ولو صدق الفيليسوف اريهتون (١) كان سبب العداء ان كلاهما احب ستاذيلاوس الجميل (من تاوس) ومن هذه المنافسه بدأ خلافهما السياسى . ولكنى اعتقد أن سبب هذا الجفاء يرجع الى ما كان بينهما من تفاوت فى الاخلاق والسلوك . كان اريستيد دمث الاخلاق حميد السيرة لم يقصد من اعماله السياسية لارضى الشعب ولا مجد نفسه بل مااعتقده لافضل والا كثر ملائمة للطمأنينة والعدل لذلك كان يرى نفسه مضطراً لمقاومة تيمستوكل و لمعارضة في اعلاء شأن رجل لايفتأ يحرض الشعب مشروعات جديدة و بدأ على تغير كل شيء فى الحكومة . والحقيقة أنه بلغ من شغف تيمستوكل بالمجد وشهوته الشديدة لكل ما يكسبه الحمد انه بعد موقعة ماراتون التى انتصر فيها الاثنيون على البربر وسماعه الناس يطرون حملات ملتياد لزم الصمت والتفكير والعزلة ولم يغمض له

١ اريستون خيوس تنيذ بنوت الزاهد الرواقى ولكنه تلميذ قليل الامانه ففى حياته مستمتعا باللاذعلى نقيض خالفه

واجتنب الولائم العمومية العاديه . ولما دهش الناس وسألوه فى ذلك . قال ان اكاليل ملتياد لاتسمح لى ان أنام . كان الاثينيون يحسبون هزيمة البربر في ماراتون خاتمة الحرب ولكنها لم تكن في نظر تيمستوكل سوى فاتحة لمعارك كبرى وأخذ يستعد لهذه المعارك التى رأها عن بعد ، لحماية اليونانيين جميعاً وجهز اثينا بكل الوسائل . وكان أول ماسعى له انه اجتراء ان يقترح وحده على الاثينيين أن يخصصوا موارد مناجم الفضة فى لورلوم التى اعتادوا تقسيمها بينهم لبناء سفن الحرب ايجن . وكانت هذه حينذاك مشكلة يونان الكبرى . وكان الايجيون يملأون البحر بسفنهم .

هذه هى الحجة التى تذرع بها تيمستوكل لتحقيق غرضه لا الخوف من داريوس والفرس الذى كان بعيداجدا وغير متوقع . ولقد عرف لاستمالة الاثينيين إلى هذا الاستعداد ان يثير فيهم عوامل الغيرة والبغض ضدالايجيتيين . فبنوا بأموال المناجم مئة سفينة قاتلت كزرسيس ايضا وأخذمن ذلك الوقت يستهوى اثينا للشؤن البحرية ويطبعهم على الميل اليها ومن اقواله « اننا على البر لانستطيع أن نقاوم حتى جيراننا ولكنا على البحر نستطيع أن نقهر البربر ونسيطر على جميع اليونان » فحول بذلك كما قال أفلاطون جيشا بريا عظيما إلى بحارة ونوتية وكان عرضه للوم القائلين لقد انتزع من الاثنيين الرمح والدرع ليقعد بهم إلى المقاعد والمجاذيف وقال ستازيمروت أن تيمستوكل وصل الى هذه الغايه بالرغم من ملتياد الذى لم يتمكن من تغلب المعارضه

هل أفسد التغيير اولم يفسد كمال حكومة اثينا وحلفائها . ! هذه فلسفة اكبر من تعالج هنا ولكن المؤكد هو أن اليونان مدينة بسلامتها للبحر وأن هذه السفن اعادت بناء اثينا التى كانت قد تهدمت . والبراهين على ذلك كثيرة منها سلوك كزرسيس . بعد هزيمة عمارته وقبل أن يهزم جيشه اذ ولى الأدبار . معلنا انه لايقوى على القتال ولئن كان قد ترك ماردنيوس فى اليونان فذلك على

ماأعتقدليمنع اليونانيين اقتفاء اثره لاليخضعهم

من الياس من يمثل تيمستوكل كرجل يطلب المال بجميع الوسائل ليسد نفقاته لانه كان مولعا بتقديم الضحايا وحسن ضيافة الغرباء وعليه تكون نفقاته جسيمة

من الناس من يعكس هذا القول فيتهمونه بالبخل والشح حتى أنه ليبيع مايقدم اليه من الهدايا وانه طلب من فيليدس مروض الخيل مهراً ابان عليه فهدده بان يجعل من بيته . حصان خشب جديد (١) ارادلذلك أن يثير في منزل فيليدس الشجار العائلي والقضايا الاهلية

لم يبعد احد في مطمعه مثل تميستوكل . تمكره وهو فى أوائل حياته مجهولا بفضل الحاجة على ابيكلس الهر ميونى العواد (الضارب على المزهر) الذى اغرم به الاثينيون أن يعطى دروسه فى منزله ليكون مقصودا مزدحما . وحدث مرة انه اراد أن يتفوق فى الالعاب الاولمبية على سيمون بفخمامة مائدته وخيامه وفخامة ثيابه وهندام حاشيته وكان المنظر أن يسمح بهذا لسيمون وهو شاب من أكبر أسر اثينا ، أما أن يجرأ تيميستوكل وهو رجل حديث العهد أن يتجاوز قدر نفسه فلا ، وقع ذلك فى نظر اليونانين موقع التبجح والسخرية . وحدث مرة أنه تعهد عند تمثيل أحد الروايات أن يقوم بنفقات فرقة الملحنين للشاعر المتفوق . و كان ذلك مثار التنافس والاهواء واثبت تيميستوكل هذا النصر بلوحة أودعها احدى الهياكل مكتوب عليها . « قام تيميستوكل الفرايارى بنفقات فرقة الملحنين وكان فرينيكوس مدير التمثيل واديمانت الحاكم . »

ولنقل أن تيميستوكل كان محبوبا من الجميع سواء كان ذلك لعنايته بتحية كل وطنى باسمه مذ يراه أو كان ذلك لعدله في الحكم فيما يقدم اليه من القضايا عند توليه القضاء : طلب اليه يوما سيمو نيدس السيوسى طلبا غير عادل فقال له .

---

١ اشارة الى الحصان الخشب الذى كان سببا فى خراب الطروادين (الالياذه)

لا تكون شاعرا مجيدا اذا فسدت اغانيك القياس ، ولا اكون حكما عدلا إذا أبحت امراً ضد القوانين » وقال له يوما مازحا ، أنك مجنون لذمك الكورنيثين الذين يسكون مدينة عظيمة وأن تصور نفسك وانت شنيع الوجه » واخيرا عندما عظمت شوكته ورسخت ثقته من نفوس الشعب انشأ حزبا ضد اريستيد ونفاه بالاقتراع السرى وعندما عرف خبر سير الفرس ضد اليونان اجتمع الاثينيون لانتخاب قائد امتنع جميع القواد الذين يستحقون القيادة فزعين من هول الخطر ولكن ابيسيد بن افيميدس وحده وهو خطيب بالبيع الا أنه ضعيف القلب غير ظاهر اليد تقدم مزاحما ليتميستوكل . وكان فى وسعه أن يجمع الاصوات على انتخابه غير ان تيميستوكل الذى تبين طباع يونان إذا تولى قيادها رجل كهذا اشترى بالمال تنازل ابيسيد وقد امتدحوا ايضا مسلكه مع مترجم السفراء الذى ارسله الملك ليطلب من اليونانين الارض والماء . أمر فقبض عليه واستصدر من الشعب حكما بقتله لجرأته على استخدام اللغة اليونانية فى التعبير عن أوامر بربرى ولم يكن استحسانهم لعمله هذا أكثر من استحسانهم لقسوته على ارثميوس لزيلى . وقد حكم على ارثميوس هذا بالخيانة هو وعائلته وجميع ذريته لانه حمل الى يونان ذهب الفرس ولكن خير اعمال تيميستوكل هو اطفاء نار الحرب الداخلية فى يونان وتوفيقه بين المدن واقناعها بالعدول عن العدوات الخصوصية أمام العدو المشترك وهذا مشروع عاونه عليه خيلاوس الاركادى بجميع قواه

ما تولى تيميستوكل القيادة حتى جهد لحمل الاثنيين على ركوب السفن ومغادرة المدينة الى البحر والسير الى ابعد مايكون عن البلاد اليونانية لملاقاة البربر . لقى هذا الرأى معارضة من الكثيرين فقاد تيميستوكل مع السبارطين جيشا عرمرما الى وديان طنبة للدفاع عن تساليا التى لم يكونوا يعرفون بعد انها انحازت الى الفرس غادروا المكان دون أن يقوموا بعمل ؛ ولما انضم التساليون الى الملك سلمت البلاد معهم للبربر وعندئذ أخذ الاثينيون بنصيحة تيميستوكل وفكر لحمله البحرية .

وارسلوا القائد باسطول الى اوتميز يوم للدفاع عن البوغاز

أراد اليونانيون الاخر أن يقلدوا القيادة أريبياد والسبارطين وأبى الاثينيون ذلك بحجة أن لهم وحدهم من السفن أ كثر مما لجميع اليونانيين كلهم . ولكن تيميستوكل أحسن خطورة هذه الدعوى فتنازل من تلقاء نفسه عن القيادة لاريبياد ولطف من حدة الاثينين بوعدهم اذا هم استبسلوا فى هذه الحرب جعل اليونانيين كلهم تحت أمرتهم بهذا أصبحت اليونان كلها مدينة بسلامتها لتيميستوكل وأصبح الاثينيون أنفسهم مدينيين له بمجدهم فى الانتصار لبسالتهم والحلفاء بحسن سيرهم وأعمالهم وعندما القت أساطيل البربر مراسيها أمام «أفت» فزع أريبياد لكثرة عددها ولعلمه أنها مائتى سفينة أخرى تطوف حول جزيرة سياتوس أراد الاسراع بالعودة الى داخل البلاد اليونانية وان يلزم شواطىء بيلوبونيز حتى يكون جيش البر قادرا أن يعاون جيش البحر موقنا أنه من المستحيل أن يقاوم قوات الملك البحرية خشى الاوبيبيون أن تتركهم اليونيون فارسلوا الى يتميستوكل خفية أحدهم ، بالاجون يحمل اليه مبلغاً جسيما من المال . قبله تيمستوكل وأعطاه لاريبياد ، لوصدق قول هيرورت . ولكن الاثينيين قاوموا تيمستوكل لان ارختيالس ربان السفينة المقدس هو الذى لم يكن لديه من المال مايدفعه للبحارة . أهاج تيميستوكل النوتية ضد ارخيتالس وكانوا مستائين منه فهجموا عليه واختطفوا عشاءه . أحفظت الاهانة ارخيتالس وطفق يشكو ، أرسل اليه تيميستوكل خبزا ولحما في سلة أودعها تالان من الفضة مع أمره بان يتعشى هادئا وأن يسترضى فى الغد البحارة وإلا اتهم أمام الاثينين بانه أخذ من العدو مالا هذه حكاية فانياس اللسبى

لم تكن المعارك التى نشبت عند البوغاز حاسمة ولم تعد على اليونانيين بفائدة كبيرة بل كانت مواقع امتحنوا فيها قواهم وتعلموا من القتال ذاته أن عدد السفن وأبهتها وفخامة زينتها وصيحات الازدراء والاناشيد البربرية لم تكن لتخيف رجالا أشداء مستبسلين وما عليهم سوى أن يحتقروا هذه المظاهر وأن يواجهو العدو

وأن يحيطوا به وأن يشدوا عليه ليوقعوا به . هذا مافهمه بندار عند قوله عن موقعة ارتميزيوم .

« إن أبناء أثينا وضعوا أساس الحرية الفخم » والحقيقة أن الجرأة طليعة النصر .

ارتميزيوم لسان من جزيرة أوبة يمتد الى الشمال فوق استيلو أمامها اليزون في البلاد التى كان يحكمها فيلوكتيت . ويوجد على هذا اللسان هيكل باسم ديانة المشهورة « بالشرقية » محاط بالخشب تزين مدخله بوابة من حجر أبيض اذا دلك باليد تصاعدت منه وتكون بلونها . مكتوب على أحد أعمدته الاشعار الآتية .

ألف أمة أتت من ممالك آسيا : وأبناء أثينا ، على هذه البحار
أفنوا عماراتها ولما هلك جيش الفرس . أقاموا هذه الاكاليل للعذراء ديانة .

ولا يزال هناك مكان ممتزج فيه الرمال برماد أسود كانه مر بالنار فى دائرة فسيحة ، يعتقدون أن من بقايا السفن والجثث التى أحرقت هناك

ولما نمت من ارتميزيوم أنباء الترومو بيل وعلم موت ليونيداس وأن كسيرسيس امتلك ناصية المداخل البرية ، عادوا الى داخلية يونان ، سد الاثينيون السبيل تملأ نفوسهم كبرياء النصر الذى أحرزوه وأخذ تيميستوكل يحازى الشواطىء حيث كان يعتقد أن العدو لا بد آت بسفنه يستعيد قواه كان يكتب بحروف كبيرة سواء على مايجده من الاحجار أو مايقيمه عمداً في الاماكن المطروقة التى تصلح للايواء والرقابة حوجها كلماته الى اليونانيين « تعالو لو استطعتم انضموا الى أبنائكم الذين يعرضون صدورهم للدفاع عن حريتكم وأن لم تستطيعوا فشدوا على الاقل أثناء القتال على جيوش البربر والقوا بينها الاضطراب » أراد بذلك أن يجتذب اليونانين الى مناجزة اليونانين أو يرهبهم ليجعلهم موضع ريبة فى نظر البربر .

على أن كزرسيس نفذ من الدوز يد العليا الى فوسيد وأخذ يحرق ويخرب مدن الفوسيديين دون أن يتقدم اليونان لمساعدتهم . بالرغم من الحاح الاثينين

في الرجاء اليهم أن يقاوموا العـدو في بيوتيا ويحموا الاتيك كما فعلوا بحرا فى الارتيموزيوم بالدفاع المشترك . ولـكن لم يسمع اليهم أحد : لم يفـكر اليونانيون الاخر الا فى البلوتونيز أرادوا أن يجمعوا فى البرزخ جميع قوى يونان وأن يسدوا البرزخ من بحر لآخر أغضبت هذه الخيانة الاثينين وادخلت الى نفوسهم الحزن والخور ولم يكن في وسعهم أن يفـكروا في أن يقوموا وحدهم بمحاربة آلاف من الاعداء ولم يبق لهم سوى أن يغادروا أثينا و يركبوا السفن ولكن الشعب لم يقبل ذلك معتقدين ان لا امل فى النصر ولا سبيل للسلامة اذا تركوا هيا كل الآلهة وقبور الاباء . ولـكن تميستوكل وقـد ييئس من اقناع الشعب بالمعقولات عمـد الى احداث المعجزات وانطاق الوحي كما يعمدون فى التمثيل (الردأى) الى الآلات. والمعجزات التى افترضها هى اختفاء تنين مترفا ، الذى لم ير تلك الايام فى بيت المقدس . ووجـد الـكهنة التقدمات اليوم سليمة فاذاعوا ، بناء على اشارة من تيميستوكل ، ان الآلهة غادرت المدينة وارتهم طريق البحر . واستشهد بالوحى قائلا ان الجدران الخشب التى تكلم عنها ليست سوى السفن ، لقد منح الآلهة مدينة سلامين لقب . الآلهية ، لا التعسة ولا المشؤمة لانه سيجعلها احدى مواقع اليونان الجليلة ،

واخيرا تغلب رأيه فاصدر أمرا إن يدع الاثينيون المدينة تحت حماية ميهنرفا حاميتهم وان ينزل كل رجل قادر على حمل السلاح الى السفن ، وان يعـد كل انسان مافى طاقته لحماية امراته واولاده وعبيده ؛ صودق على هذا الامر ؛ وارسل اكثر الاثينين أهلهم ونساءهم الى ترازين حيث استقبلوا بالحفاوة والاكرام وقرر الترازيون اطعامهم على حساب الخزانة العامة وعينوا لـكل فرد فلسين يوميا واباحوا للاطفال اقتطاف ماشاؤا من الاثمـار ، وقاموا بنفقات وكان هـذا القرار من حسنات نيكا جوراس . كانت خزانة اثينا فارغة ، ويقول أرسطو ان المجلس الاعلى قرر لـكل جندى ثماني دراخمات و إنه صاحب

الفضل فى تمام اعداد السفن وتجهيزها بالسلاح ،ولـكن كليداموس يقول أن حيلة تيميستوكل هى التى أوجدت المال ، ذلك أنه عند ما نزل الاثينيون الى بيره وجد ستار تمثال مينرفا ضائعاً فاخذ تيميستوكل يفتش كل مكان بحجة البحث عنه فعثر بمقادير وافرة من المال خبأه الاهالى بين أسراب القطعان . وضعت هذه الاموال تحت تصرف الحكومة فتمكن الجنود من الحصول على المؤونة اللازمة وأخيراً طفت المدينة فوق الامواج . ملك هذا المشهد على الاهالى مشاعرهم وأعجبوا بجرأة أولئك الرجال الذين بعثوا بأهلهم الى مدينة غريبة وساروا الى سلامين لم تأخذهم هزة حزن ولا ندت عيونهم لبكاء نسائهم ووداعهن . ولـكن الذى تثير عواطف الحنان أكثر من هذا هو منظر أولئك الشيوخ الذين لم تسمح لهم شيخوختهم بالسفر ، يضاف الى هذا الشعور المؤلم ، حنين الحيوانات الداجنة التى كانت تجرى على الشاطىء هنا وهناك وهى تعوى عواء محزنا تستصرخ باصحابها . ومما يروى أن كلب كسانتيب والد بريكليس أبى مفارقة سيده، رمى بنفسه فى البحر ، وسبح بالقرب من مركبه حتى سلامين حيث نفق من التعب ولا يزال حتى الآن هناك « قبر الـكلب » الذى يقال أنه دفن فيه .

هذه أعمال تيميستوكل المجيد لم يقف بها عند هذا الحد ؛ لحظ ان الوطنيين آسفون لابعاد اريستيد وانهم يخشون ان يدفعه الحقد للانضمام الى البربر ويفسد على اليونانين أعمالهم . وكان حزب تيميستوكل قد نفاه بالاقتراع السرى قبل الحرب ، فقدم مشرعا يبيح للمنفين العودة والاشتراك قولا وعملا مع الوطنيين فيما يعود على البلاد بالفائدة والسلام .

كانت سبارطة لتفوقها على جميع مدن يونان ، قد عينت أريبياد رئيسا أعظم للاسطول ولـكنه كان رجلا جبان القلب أمام الخطر . أراد ان يقلع ويسير باسطوله الى البرزخ حيث اجتمع جيش بوبوكنز البرى . عارضه تيميستوكل ، ولهذه المناسبة بقيت أجوبته محفوظة . قال اريبياد ، ياتيميستوكل ، لانهم يصنعون

فى الالعاب الاولمبية ، من يرحلون قبل اعطاء الاشارة .) فاجاب تيميستوكل ؛ (حقيقة ، واكنهم يتوجون) . رفع أزيبياد عصاه كمن يريد ان يضرب . فقال تيميستوكل « اضرب ولكن اسمع » أوخذ أريبياد بهذا التواضع فدعاه للكلام . أخذ تيميستوكل يجتذبه الى رايه . ولكن أحدهم اعترضه بقوله . (لايحق لرجل لامدينة له ان ينصح لاصحاب المدن ان يتركوها وان يخونوا وطنهم . فعاجله تيميستوكل بقوله « أيها الشقى ، لئن كنا قد تركنا منازلنا وجدرانها فلانا لم نرد ان نكون ارقاء حباً في أشياء لاحياة لها ، على اننا لاتزال لنا أكبر مدن يونان وهى هذه المئتا سفينة ، المعدة اذا شئتم ، لمساعدتكم على النجاة . اما اذاسافرتم وخنتم عهدنا للمرة الثانية فسوف تسمعون يونان قائلة : ان الاثينيين يملكون مدينة حرة . يملكون بلدا لاتقل جمالا عن التى فقدوها . » فزع أريبياد من العزلة التى يتركه فيها انسحاب الاثينين . أراد أحد الاتريزين الكلام ضد تيميستوكل فعاجله هذا بقوله ! « ماذا أتتكلمون أنتم الآخرون عن الحرب وأنتم مثل « التيتيد » (١) . سيف ولا قلب.

بينما كان تميستوكل يلقى عباراته هذه وهو واقف فوق مقدمة سفينة ظهرت « بومة » وطارت الى يمين العمارة و وقفت على اعلى الصارى . اجمع هذا الضال اليونانيين على رأى تيميستوكل وقرروا الحرب بحرا . ولكن عندماظهرت اساطيل العدو على سواحل اتيكا بالقرب من ميناء فلير . وملأت الشواطىء المجاورة ، ونزل الملك شخصيا الى البحر ، ونشر جيشه على مرأى من الجماعة ، حينئذ امحت اقوال تيميستوكل من عقول اليونانيين وصول السبارطيون انظارهم ثانية نحو البرزخ . ولم يقبلوا سماع حديث فى غير هذ المعنى . وتقرر الرحيل تلك الليلة واعطيت أوامر السفر للنوتية .

---

(١) التيتيد . نوع من السمك من فصيلة المولبسك . ولكن مايقال عن تركيبه خطاء اذله جميع أعضاء السمك ، مع فوارق تجعل له طبائع خاصة ؛

رأى تيميستوكل مع الالم الشديد ان اليونانيين بتفرقهم كل الى مدينته يضيعون الفائدة العظمى التى تمنحهم اياها طبيعة المكان وهذا الممر الضيق . لجاء الى الحيلة وكان سيسينوس عدته فى ذلك كان سيسينوس هذا اسير حرب فارسى الاصل ، وصديق تيميستوكل ومربى اطفاله . اوفده سراً الى ملك الفرس وامره ان يخبر الملك ان تيميستوكل قائد الاثنيين مخلص لمصالح الملك ، وهو يخبره ان اليونانيين اعتزموا الفرار . وانه ينصح لك الا تدعهم يفلتون ، فينتهز فرصة الاضطراب الذى اوقعهم فيه غياب جيوشهم البرية لمهاجمتهم والقضاء على قواتهم البحرية . طار كزرسيس فرحا بهذا الخبر ولم ير فيه سوى دليل على اخلاص تيميستوكل اسرع باصدار امره الى ضباط السفن الكبرى بالاقلاع والمهاجمة . بينما تعباء السفن الباقية على مهل . وان تقوم مائتى سفينة في الحال للاستيلاء على الممرات ، ومحاصرة الجزر حتى لا يفلت احد من الاعداء .

كان اريستيد بن ليزيماكوس اول من لمح هذه الحركة فأسرع الى خيمة تيميستوكل ، لم يكن صديقه بل هو الذى نفاه كما تقدم القول . خرج تيميستوكل للقائه فقال له : لقد حوصرنا . كان تيميستوكل يعرف امانته وقد سر بعودته ، فأفضى اليه بما فعله بواسطة سيسينوس ، ورجا اليه ان يستبقى اليونانيين وان يعمل من عاله من المنزلة لديهم لحملهم على القتال فى المضيق . اثنى اريستيد على تميستوكل ثم قابل القواد ورجال السفن وحثهم على القتال واذ كانوا فى ديب من وجود منفذ ، انضمت مركب من تانادوس بقيادة باناتيوس الى اليونانيين واكد لهم الخبر اضطرتهم سورة الغضب والضرورة الى خوض غمار القتال .

كان كزرسيس في صباح الغد عند فجر النهار جالساعلى مرتفع يرقب حركات المعركة . يقول فانوديم (١) ان ذلك المرتفع هو قمة هيكل هرقل ، بالقرب من اضيق مكان

(١) كان معاصرا لتيميستوكل ، مؤلف كتاب تاريخ اتيكا وهو غير معروف كثيرا .

فى القناة يفصل حزيرة سلامين من اتيكا . ولـكن اسيستوتور (١) يزعم ان كان على حدود ميجار يد . على المرتفعات التى تعرف بالقرون . كان كزرسيس جالسا على عرش ذهبي والى جانبه جماعة من الـكتاب يثبتون حوادث القتال .

بينما كان تيميستوكل يقدم الضحية على سفينة القيادة جيء اليه بثلاثة فتيان كاجمل ما يكون فى بزة فخمة تزينهم حلى ذهبية ؛ قيل انهم أبناء أوتار كتوس وساندوسه اخت الملك ، فما رآهم العراف أوفرنتيد حتى سطع من الضحايا لهب متلالئ ورن صوت عطسة من جهة اليمين . أخذ العراف بيد تيميستوكل وطلب اليه أن يقدم الفتيان ضحية لباخوس أومستيس ، يقدمهم ذبائح له زاعما أن هذه هى الوسيلة الوحيدة لسلامة اليونانيين وانتصارهم . جمد الدم فى عروق تيميستوكل لطلب العراف لما فيه من قسوة وحشية .ولـكن الجمهور جرى على عادته عند المخاطر يعتمد في سلامته على غرائب الاوهام أكثر من حقائق العقل . أخذ الجمهور يضرع للاله وقاد الاسرى الى المذبح ملحا فى وجوب اجراء الضحية على ما أمر العراف . هذا ما رواه فانياس اللسبوتى ، فيلسوف وعالم من علماء التاريخ القديم . أما عدد سفن البربر فقد قال عنها الشارع أشيل (٢) في رواية الفرس « بصفته شاهد عيان » معتمداً على معلومات وثيقة .

أنا الضمين بان جملة ما كان لا كزرسيس الف سفينة . عدا مراكبه الصغيرة التى تبلغ مائتى وسبع مركبا . هذه هى الحقيقة . وكان للاثينيين مائة وثمانون سفينة على كل منها ثمانية عشر جنديا يقاتلون من أعلى جسرها . منهم أربعة رماة نشاب والآخرون من المشاة المدججين بالسلاح . ولم يكن تيميستوكل اقل مهارة في اختيار ساعة القتال منه فى اختيار المكان . أبى أن يبدأ القتال الا عند هبوب ريح قوية فى البحر تثير الامواج فى البوغاز ، ولم يكن هذا ليعطل

١ لم يعرف عنه سوى انه مؤلف خبرت فى الشؤن الخرافية للمدن
٢ حضر أشيل موقعه سلامين

شيئاً من نشاط السفن اليونانية التى كانت مسطحة وقليلة الارتفاع . أما سفن البربر التى كانت عالية المقدم مرتفعة الجسر ، ثقيلة الحركة تدور بجهود عظيمة فكانت هدفا لسهام اليونانيين ؛

حمل هؤلاء على الاعداء حملة صادقة منفذين بدقة أوامر تيميستوكل والقواد يعلمون حق العلم ما يجب عمله .

ركب اريامين اميرال كزرسيس وهو جندى باسل وشجاع وهو اعدل اخوه الملك ، سفينة ارسل منها السهام وابلا . يرمى بها من فوق جدار مصوبة الى الجهة التى يقاتل فيها تيميستوكل . اندفع امينياس الديسيلى وسوزيكلس البيدى عليه بعنف حتى اصطدم مقدما السفينة النحاسيين وتلاصقا . قفز ارياحين الى السفينة الاثينيه فتلقاه الجنديان وقاتلاه بالاسفة ، وقذفا به البحر . بصر أرتاميس بجثته طافية بين الاشداء فنقلها الى كزرسيس

قيل أنه بينما كان القتال على هـذه الحال سطح نور باهر من جهة البزيس وامتلأ السهل من اتريازى الى البحر باصوات مضطربة كانها أصوات جماعات عديدة من الرجال تقود فرقة باكوس الخفية وخيل الى الاوهام رؤية سحب من الغبار تثيرها سير هـذه الجماعات المائجة، ترفع رويدا رويدا الى الهواء ثم تنحدر ساقطة على السفن . ويقول البعض أنهم رأوا صور رجال مسلحة تترأى تمدايديهم من جهة جزيرة « أجين » الى سفن اليونانين . والمظنون أن هؤلاء هم « الاياسد» الذين استغاثوا بهم قبل القتال

كان ليكوميد الاثينى وهو رئيس سفينة أول من استولى على سفينة من سفن الاعداء فجردها من اعلامها وجعلها تقدمة لأبللون وافنفور . كانت سفن اليونانين مساوية لسفن البربر في ساحة القتال نظرا لضيق البوغاز حيث كان هؤلاء مضطرين أن يقدموا سفنهم بالتوالى فيعطل بعضها بعضا . استمر القتال حاميا طول النهار حتى ارخى الليل سدوله فاضطر الفرس الهرب وتم النصر كما قال سيموميند

في اجل وامجد معزكة خاصتها اليونانيون والبربر بفضل شجاعة الجنود وحكمة ومهارة تيميستوكل .

اراد كزرسيس بعد هـذه الموقعة أن يعاود الكرة بالرغم من هزيمته وقصد الى سد البوغاز لنقل جيشه البرى الى سلامين ويهاجم اليونانين فاقترح تيميستوكل قاصدا اختبار اريستيد انيذهبوا الى هلسبون ويقطعوا جسر السفن قائلا « ان هـذه هى الطريقة الوحيدة لجعل اسيافي اوروبا » لم يرق هـذا الاقتراح لاريستيد وقال ! إنا الى اليوم لم نقاوم سوى بربر انهكهم الترف . ولكنا إذا احتبسناهم فى يونان وقضى الخوف والضرورة الى محاربة رجل يقود جيوشا عديدة فانه لا يقعد حينذاك على مخضة ذهبية يشاهد القتال مطمئنا بل يجرأ على كل شيء ويحمل الخطر الى كل مكان فيسترد ما خسره عملا بنصائح أوفر حكمة . فقال تيميستوكل إذا علينا بدل أن نقطع جسر السفن أن نقيم فى وجههم جسراً آخر لنطرد العدو باسرع ما يمكن من أوروبا . إذا كنت ترى هذا صوابا فلنسرع بتبادل الآراء معا ولندبر خطة ننقذ بها يونان من وجوده باسرع ما يمكن » أخذا بهذا الرأى ثم أوفد تيميستوكل خصي كزرسيس ، أرناس كان أسيراً . الى الملك ، يحمل اليه الرسالة الآتية .

ان اليونانيين بعد انتصارهم فى البحر يستعدون للرحيل الى هلسبون ليقطعوا جسر السفن الذى أقاموه وأن تيميستوكل قلق على سلامة الملك لينصح له بسرعة العودة الى البحار الخاضعة لسلطانه ويعود الى أسيا وأن تيميستوكل من جهته سيجد المعاذير ليلهى الحلفاء ويؤخر مطاردتهم له . استولى الرعب على ملك البربر عند سماعه هذا الخبر وانسحب بسرعة أثنى ماردنيوس على حكمة تيميستوكل وأرنست كان اليونانيون فى خطر محقق في بلاتا على أنهم لم يحاربوا سوى جانب صغير من جيش كزرسيس

قال هيرودوت أن أجين تفوقت على جميع المدن في هـذا اليوم العصيب

ولكن اليونانيين بالاجماع خصوا تيمتستوكل بالمقام الاول بين الشجعان ولكن مع شيء من الاسف لانهم كانوا يحسدونه على مجده . والواقع أنه عند ماعاد الزعماء الى البرزخ وقدموا اليمين أمام المذبح واعلنوا اختيارهم ، نسب كل منهم المقام الاول لنفسه والثانى لتيميستوكل أما السبارطيون فانهم قادوه الى سبارطة وقدموا الى اربيناد جائزة المجد والى تيميستوكل غصن زيتون جائزة الحكمة واهدوا اليه اجمل مركبة فى المدينة وعند سفره سار معه ثلاثمائة شاب اجلالا لمقامه حتى الحدود . و يقال ايضا إنه فى الايام الاولى للالمبيادة التالية ظهر تيميستوكل فى الساحة فنسيت النظارة المتصارعين وحولوا انظارهم طول النهار محدقين به مشيرين للاجانب عليه هاتفين له هتاف الاعجاب مصفقين ملء ايديهم وقد اعترف تيميستوكل فى هذه الحفاوة المنعشة لاحد أصحابه ، ان هذا جزاء وفاق لكل ما احتملته من الآلام فى سبيل يونان

أن شغفه بالمجد كان بالغا أقصى حد كما يتبين لنا من الاحاديث المروية عنه عند ما انتخبه الاثينيون قائداً للعمارة امتنع عن انجاز ما كان يرسل اليه من قضايا الناس والحكومة لوقتها يؤجلها الى يوم سفره حتى يرى الناس ما ينتجز من قضايا عديدة مخاطبا صنوفا من الناس عديدة فيكبر شأنه فى نظرهم و يعظم خطره بينهم وحدث مرة أنه كان يسير فوق الشاطىء فرأى جثثا طافية فوق البحر مما تحمله الامواج وفى معاصم وعنق أكثرها أساور ومخانق من الذهب فاستمر في سيره ولكنه قال لاحد أصحابه مشيراً الى هذه المصوغات «اذهب وخذها لك لانك لست تيميستوكل » كان انتيفاتس شاب جميل شمخ بأنفه على تيميستوكل ولكنه مذ رآه قد بلغ من الشهرة ما بلغ أخذ يتقرب اليه بلا انقطاع ، فقال له تيميستوكل لقد صرنا يا صديقى عقلاء فى آن واحد ولكن بعد فوات الفرصة » (متأخرين) وقال عن نفسه « إن الاثينيين لا يضمرون له احتراما ولا اعجابا ولكنهم يستخدمونه كما

يستخدمون شجرة وارثة الظلال يأوون اليها عند هبوب العاصفة ومتى انقضت احتوا يقطعون أوراقها ويهصرون أغصانها . قال له « سيرفي » « لست صانع شهر تلك بل اصطنعها لك وطنك » فقال تيميستوكل « اصبت ولكنى ما كنت لاعرف المجد لو أنى ولدت في سيريف ولا أنت لو أنك ولدت فى اثينا » كان احد الزعماء يحسب نفسه ادى الى الجمهورية خدما جليلة و يقارن اعماله باعمال تيميستوكل فاجابه « تخاصم يوم العيد مع أمه ، شكا هذا انه لايجد راحة وأنه ينقضى بين الشاغل على انهم لا يعملون يوم العيد شيئا تمتعا بما جمعوا فى الايام الاخر . فاجابه يوم العيد لك الحق ولكن لولم أكن أنا لما كنت انت . » ثم قال تيميستوكل وأنا إذا لم أكن فأين كنتم تكونون الآن كان ابن تيميستوكل يسىء استخدام عطف والدته ويستعملها للتحكم فى والده فقال تيميستوكل مازحا أن ابنه ، اقدر جميع اليونانيين « والحقيقة أن الآثينيين يتحكمون فى جميع اليونانيين وأنا احكم في اليونانيين ووالدته تتحكم فى وهو يتحكم فيها » كان يصطنع الاغراب فى جميع شونه عرض ارضا للبيع وقال فى المناداة عليها »سيكون للمشترى فوق هذه الصفقة جار طيب . » تقدم طالبان لخطوبة ابنته ففضل الرجل الصالح على الغنى قائلا « أريد صهرا يكون رجلا فى حاجة الى ثروة لا ثروة فى حاجة الى رجل » هذه كلمات تيميستو كل المأثورة

بعد أن فرغ تيميستوكل من الاعمال الجليلة التى اتينا على شرحها اسرع الى العناية باعادة بناء اثينا وتحصينها وقد تغلب على معارضة النواب بالمال . هذه رواية تيوبونب ولكن الخبر المأثور هو انه استعمل الحيلة . سافر الى سبارطة بصفة سفير ولما كان السبارطون يشكون من تحصين اثينااعتمادا على شهادةبوليارك الذى أوفده الأجيتيون خصيصا لاتهام الاثينين . أنكر تيميستوكل الواقع وطلب ارسال أناس الى اثينا ليتجنشوا الامر . لم يرد بذلك سوى كسب الوقت لنهاية بقاء الجدران واعطاء الاثينيين رهائن عن نفسه فى شخص الموفدين . ثم الفرض

بذلك وادرك السبارطيون الحقيقة فكظموا غيظهم وتركوه يسافر دون أن يمس بأذى »

ثم أخذ في تحصين بيره ، لانه ادرك ميزة هذا البناء ، و بذلك استمال الشعب الاثيني الى البحر . سار فى ذلك على سياسة مناقضة لسياسة ملوك اثينا الاقدمين . يقال ان هؤلاء أذاعوا لابعاد الوطنين عن التجارة البحرية والعدول بهم عن الملاحة الى الزراعة ، الخرافة القديمة المنطوية على نزاع قام بين نبتون ومنيرفا عن السيادة اتيكا فقدمت منيرفا للقضاة الزيتون المقدس فكسبت القضية لم يلحق تيميستوكل بيرة بالمدينة كما زعم اريستوفان المرجن بل الحق المدينة ببيرة والارض بالبحر . و بهذا العمل قوى الشعب ضد الاشراف وملأه ثقة بنفسه بأن جعل السلطة بين ايدى البحارة والنوتية والمقذفين . ومن ذلك حول الطغاة الثلاثون فيما بعد منبر بنكس الذى كان يطل على البحر الى جهة البر . لظنهم أن القوة البحرية تولد الديموقراطية في حين أن حكومة « الجماعه » تجد مقاومة قليلة من الفلاحين .

فكر تيميستوكل لمصلحة البحرية في مشروع غريب . كان الاسطول اليونانى بعد هزيمة كزرسيس راسيا في باجاز حيث يقضى الشتاء . قال للاثينين فى جلسة عمومية أن لديه مشروع يعود عليهم تنفيذه بالفائدة والسلامة ولكنه لا يستطيع أن يقضى به الى الجمهور فامره الاهينيون أن يبلغه الى اريستيد فاذا وافقه عليه قام بتنفيذه . قال تيميستوكل لارتستيد أنه يفكر فى احراق عمارة اليونانين . فعاد اريستيد الى الجمعية قائلا إن المشروع الذى يفكر تيميستوكل فى تنفيذه من اجل المشاريع فائدة ولكنه في الوقت ذاته من اشدها ظلما . فامروه بالعدول عنه . اقترح السبارطيون على مجلس الانفكتيون (المجلس الدولى اليونانى) إخراج المدن التى لم تشترك فى التحالف ضد الفرس من الانفكتيون ولكن

(١) اشارة الى ماجاء فى رواية « الفرسان »

تيميستوكل خشى أنه إذا ابعـد التساليون الادجيون والطيبيون من المجلس علا نفوذ السبارطين وصاروا اصحاب الكلمة في الانتخابات واستأثروا بالامر فدافع عن هذه المدن واستحال الى رأيه قائلا «لم يشترك في الحرب سوى واحدة وثلاثين مدينة واكثرها بلا خطر . فمن البلاء إذا ابعدنا بقية المدن اليونانيه وأن تستأثر مدينتان أو ثلاثة من المدن الكبرى بالسيادة فى المجلس الدولى صار تيميستوكل من هذا الحين غرضا لاساءات السبارطيين . رفعوا سيموره الى اعلى منصب ليعادل سلطة تيميستوكل في الحكومة .

وقد اجتلب تميستوكل على نفسه بغض الحلفاء بسعيه فى الجزر بجمع الضرائب وحدث لو صدق هيرودوت . عند ما طالب اهالى اندروس بالأموال ماياتى :

قال تيميستوكل « حضرت و بين يدى الاهتان . الاقناع والقوه . فاجابوه ونحن ايضا لدينا الاهتان عظيمتان . وهما الفقر والحاجة يمنعانهم اعطائه شيئا

وقد وجه الشاعر تموكريون الروضى في أحدى قصائده الى تيميستوكل قدعا مؤلما . يتهمه بانه استدعى المنفيين رغبة فى المال . ومن اجل المال تركه هو وهو حديقه وضيفه « اطرى إذ شئت يوزانياس ؛ اطرى كزانيت . إطرى ليوتيشيد

أما أنا فانى اطرى اريستيد افضل واكرم رجل انجبته اثينا المقدسة .

اما تيميستوكل ، ذلك الكذاب ، ذلك الظالم ، ذلك الخائن .

أن لانوزه يبغضه : وهو مضيف تيموكريون افسده المال الحقير ، وابى أن يرد تميوكريون الى لاليسوس وطنه.

نعم من أجل ثلاثه طالانات من الفضة نشر ذلك النذل القلوع !

طرد هؤلا ظلما ونفى اولئك وقضى بالموت على آخرين ، واخيرا شبع من المال وفي البرزخ قدم الموائد ولكن باس شيخ حقير . قدم لحوما بارده ؛

فكان الناس يأكلون وهم يتمنون الا يرى تيميستوكل ربيعا آخر .

استرسل تيموكريون في عدائه لتميستوكل ورماه بقوارص الهجاء ولم يبق عليه

فى نشيد نظمه بعد نفيه جعل مطلعه ماياتى : —

ياعذارى امنحن هذاالغناء الشهرة التى يستحقها من اليونانيين والتى تجب عليك له .

يقال ان تيموكريون نفى لانضامه الى الفرس وان تيميستوكل ايد الحكم ولذلك عند ماوقعت على تيميستوكل التهمة ذاتها قال فيه تيموكريون الاشعار الآتيه.
لم يكن تيموكريون وحده هو الذى فاوض الفرس :

يوجد خونة اخرون ! ولست الاعرج وحدى هناك ثعالب أخرى القى الوطنيون السمع لهذه الوشايات حسداً منهم لجره بحيث ان تيميستوكل القى نفسه مضطرا لاغضابهم اكثر فاكثر بتكراره فى المجتمعات العمومية ذكرى خدماته واعماله فاذا شعر بتذمرهم قال . فاذا ! أتملون قبول الحسنات ذاتها من الاشخاص ذاتهم ؟ » ولم يكن بناء هيكلا للالهــة ديانه اريستو بيل اقل ايغارا للصدور . اراد بهذه التسمية الاشاره بانه قدم الى اثينا خير النصائح . بنى هذا الهيكل بالقرب من منزله فى حى « ماليت » حيث ترى اليوم الجلادين يرمون خبال التعذيب وثياب المخنوقين والقتلى والحبال التى استخدمت فى تنفيذ القتل . وكان يوجــد فى زمنى فى هيكل ديانه اريستو بيل تمثال صغير لتيميستوكل . ويرى من هذه الصورة انه لم يكن لتيميستوكل نفس بطل فقط بل وكانت له ملامحه . واخيرا لجأ الاثينيون ليتملصوا من هذه السيطرة التى رأوها فوق الحد الى الحكم بنفيه بالاقتراع السرى وهو نوع من النفى الغوه للقضاء على من يخشون سطوتهم ولاتدخل فى حدود المساواة الديموقراطية . لان الاقتراع السرى لم يكن عقابا بل ارضاء للحسد وتخفيفا من حدته ومن هذا الحسد ان يحط من قوله الذين تنقل عليهم رفعتهم ويرى فى اذلالهم سبيلا للترويح عن بغضهم

كان تيميستوكل يقيم فى ارجوس بعد نفيه من اثينا اذ ظهرت خيانة بوزنياس فاتخذه اعداؤه ذريعة لاتهامه . اتهمه ليوبوت بن الكيمون من قرية اجرول بالخيانة.

وعضد السبارطيون التهمة . ولئن كان بو زنياس صديق تيميستوكل الا انه اخفى عنه فى اول الامر سر الخيانة التى كان يدبرها . ولكنه لما رآه قد جرد من سلطته وانه يتذمر من نفيه اجتراء على افشاء سره اليه فلجأ عليه في الانضمام الى المشروع اطلعه على رسائل الملك واثار حقده ضد اليونانيين بتهمتهم بالخبث واللؤم ونكران الجميل . رفض تيميستوكل اقتراح بورنياس وابى الاشتراك فيه باية حال . ولكنه كتم سر المؤامرة ولم يفض به الى احد املا ان يعدل بوزنياس من نفسه عن هذا المشروع الجنونى الخطر الذى لا أمل فى نجاحه . أو انه يفشى الامر بطريقة أخرى . و بعد أن نفذ حكم الموت فى بوزنياس كما هو معروف وجدت فى منزله رسائل ومكاتبات توقع تهمة الاشتراك على تيميستوكل ، ثار السبارطيون ضده وأقام أعداؤه الاثينيون عليه دعوى الاتهام وهو غائب . وكان يدافع نفسه برسائل يبرىء نفسه من وشايات أعدائه ومما كتبه « لقد كنت أسعى للسيادة دائما لانى لم أولد لا كون عبداً . ولم أود قط أن أكون عبداً فكيف يظن بى انى أسعى لالقى بنفس و بجميع يونان بين ايدى أعداء ، بين أيدى برابرة ؟ ولكن الشعب الذى امتلكه المدعون أرفد أناسا الى أرجوس للقبض عليه ، ويحضروا به الى أثينا لمحاكمته أمام مجلس من اليونانيين . أحس تيمستوكل هذه النتيجة فسار الى كورير وهى مدينة سبق له الاحسان اليها ، عين حكما فى خلاف بين أهلها و بين الكورنتيين ففض الخلاف بالحكم على الكورنتيين بغرامة قدرها عشرون طالانا وجعل لوكادملكا مشتركا بين كورير وكورنت لانها مستعمرة المدينتين .

هرب من هناك الى بيره ولما كان السبارطيون والاثينيون يتعقبونه اعتزم عزما خطراً وهو الالتجاء الى « أدميت » ملك المولوس . وكان أدميت هذا فيما مضى طلب أمرا ما من الاثينيين وكان تيميستوكل صاحب الكلمة العليا فخذله شر خذلان . ولم يكن من ريب فى انه ينتقم لنفسه منه متى سنحت الفرصة . غير أن تيميستوكل فى منفاه كان أكثر خوفا من حقد مواطنيه الجديد ، منه خوفا

من عداء الملك القديم لذلك أثر أن يلقى بنفسه بين يدى أدمت تقدم الى الملك ضارعا متوسلا ولكن باسلوب غريب خاص بالبلاد . أخذ بين يديه ابن الملك وهو طفل وترامى على أقدامه أمام الموقد وهذه هى الضراعة المقدسة فى نظر المولوسين التى لايجوز رفضها . ويقول البعض أن التى أوحت اليه هذه الطريقة هى « فتيا » زوجة الملك وانها هى التى أوقفته بذاتها أمام الموقد وابنها بين يديه . ويقول البعض ان أدمت نفسه هو الذى فكر في هذه الضراعة ليجد لنفسه عذرا أمام واجب مقدس يمنعه ان يسلم تيميستوكل الى مضطهديه لاجئاً الى هذه اللعبة المسرحية .

وقد بعث ابيكرات الاشرافى اليه بامرأته وأولاده عند أدمت بعد أن أخرجهم خفية من أثينا . قدم سيمون من أجل ذلك ابيكرات الى المحاكمة وقضي عليه بالموت . هذا ماروا ه ستاذمبروت ولا ندرى كيف أنه نسى ماقاله . أو انساه تيميستوكل وهو القائل أن ابكرات أبحر الى (صقلية) وهناك طلب من الطاغية هيارون ابنته زوجة ولما أبى عليه هيارون ذلك أبحر الى آسيا . على أن هذه الرواية بعيدة عن الحقيقة ، ان هيارون بشهادة تيوفرات في كتابه عن الملكية أرسل خيلا الى أولمبيا لتزاحم فى كسب جائزة الجرى . وأقام لها مظلة كأفخم مايكون فاقترح تيميستوكل على جمعية اليونانيين أن ينزعوا ظلة الطاغية وان يمنعوا خيله دخول ميدان السباق .

ويقول توسيديد ان تيميستوكل أبحر الى بيدنا ليصل الى البحر الاخر . ولم يكن فى السفينة أحد يعرف انه تيميستوكل الى ان هبت عاصفة قذفت السفينة الى نا كسوس وكان الاثينيون يحاصرونها . فاضطره الخطر المحدق به الى اعلان نفسه للربان والنوتى وأخذهما بالرجاء والتهديد ثم قال لهما انه يتهمهما أمام الاثينيين انهما قبلاه فى سفينتهما لاعلى جهل منهما بل طمعا فى المال . وانتهى الى أعقال أمزه والاتجاه الى آسيا . أما أمواله فقد أرسل اليه أصحابه بجانب كبير منها مما

تمكنوا من اخفائه . وكل ما اكتشف منها نقل الى الخزانة العمومية ويقدره ثيوبونب بمائة تالان أما ثيوفراست فانه يقدره بثمانين تالانا . على أن ما كان تملكه تيميستوكل عند تولية الاعمال العمومية لم يكن يزيد عن ثلاثة تالانات .

وعند ماوصل الى « سيما » لمح على الشاطىء اناسا قد رصدوا للقبض عليه لاسيما ارجوتاليس و بيتودور : والحقيقة انه كان غنيمة عظيمة لمن يعتقدون أن كل الطرق صالحة للفناء وكان ملك الفرس أعلن أن يعطى من يسلمه اليه مائتى تالان فهرب الى أجيس وهى مدينة صغيرة من أيولى لايعرفها فيها أحد سوى مضيفة نيكوجين أكبر الاهالى ثروة وأعلاهم قدراً لدى عظماء الفرس . بقى مختفيا هناك أياما الا انه فى ليلة هذا العشاء الذى تلته تمدمة . نهض البيوس مربى أولاد نيكوجين والقى فجأة بالهام وبلهجة وحى ، البيت التالى بصوت عال .

« أمنح الليل صوتاً ، أمنحه النصح والنصر »

ذهب تيميستوكل لينام فظهر له فى الحلم تنين التف حول بطنه وطوق عنقه . وما لمس التنين وجهه حتى انقلب نسراً نشر أجنحته فوق تيميستوكل ثم حمله مسافة طويلة والقى به على مركب ذهبيـة ظهرت فجأة فأحس تيميستوكل قدمه ثابتة ونفسه ناجية من خطر جسيم أرسله نيوجين الى الملك واليك الطريقة التى لجأ اليها ليجعله في مأمن . ان المرأة لدى جميع الامم الشرقية ولا سيما الفرس موضع غيرة وحشية قاسية . لا الزوجات فقط بل والرقيق المشترى والمحظيات . لذلك يحرصون عليهن كل الحرص بحيث لايستطيع أجنبي ان يراهن . ففى المنازل يغلق عليهن الابواب بالاقفال . وفى السفر يحملن فى مظال محكمة ، وفى احدى هـذه المظال أرسل نيكوجين ، خيفة تيميستوكل . وكان الحراس يجيبون كل سائل ، انها امرأة يونانيـة ، احضروها من يونيا لـكبير من أصحاب الملك .

يقول توسيديد وشادون ، ولامبساك (١) أن تيميستوكل لم يصل الى الفرس إلا بعد وفاة كزرسيس وانه قدم نفسه الى ابن كزرسيس ، ولكن أفود (٢) ودينون (٣) وكلبتارك (٤) وهيرا كليد وغيرهم مؤكدون أنه ظهر أمام كزرسيس نفسه ، على أن رأى الاول أدنى مطابقة لجدول التاريخ وان كان قليل الدقة ولما رأى تيميستوكل نفسه في موقف حرج ، خاطب ارتابان رئيس الالف قائلا أنه يونانى الجنس وانه يريد محادثة الملك فى شأن على جانب كبير من الخطورة وان الملك نفسه يتشوق لرؤيته فاجابه ارتابان قائلا أيها الاجنبي ان شرائع الناس ليست واحدة في كل مكان ، الجميل فى غير جميل فى نظر الآخرين فمن الحسن واللائق بكل انسان أن يحترم ويؤدى شرائع البلاد . يقال إنكم تحترمون الحرية والمساواة فوق كل شيء . أما نحن فان أجمل شريعة عندنا من بين شرايعنا الجميلة ، هي التى تأمرنا باحترام الملك ، وأن نعبد فيه صورة الاله الذى يحمى كل شيء . فاذا أردت أن تخضع لعاداتنا وتعبده فلك كالنا أن تراه وتحادثه . وان لم تكن على استعداد لذلك فلن تستطيع مخاطبته الا بوسيط . لان العادة في بلاد الفرس ألا يقابل أحد الملك ما لم يقدم اليه واجب العادة . . أجاب تيميستوكل على ملاحظات ارتابان بقوله « لقد أتيت ياأرتابان لأزيد فى مجد وسيادة الملك . نعم اطيع شرائعكم بما أن هذه إرادة الاله الذى رفع العرش الى هذا المقام السامى ، على أن الملك سيرى بمساعدتى ازدياد عدد عباده ، وعليه لا يكون هناك ما يمنع ماأريد من محادثته . » قال ارتابان ، باى اسم أقدمك ، لانى أرى عواطفك فوق

---

١ مؤرخ سابق لعهد هيرودوت . عرف بمؤلف لتاريخ الفرس .

٢ من كوم فى أليد . وضع تاريخ يونان . وهو يعد بعد هرودوت وتوسيديد ، من كبار المؤرخين

٣ معاصر للاسكندر ، ومؤلف تاريخ للفرس لا يعرف إلا قليلا

٤ ابن دينون وهو أيضا غير معروف

العادة . . فاجابه تيميستوكل . أما اسمي فلن يعرفه يارتابان ، أحد قبل الملك .»
هذه رواية فانياس ، يضيف اليها اراتوستين في كتابه عن «الثروة» ان امرأة ارترية . محظية ارتابان هي التي أوصت تيميستوكل الى خليلها ودبرت المقاتلة بينهما.

ولما أدخل إلى الملك سجد له ووقف صامتا الى أن صدر الامر للمترجم أن يسأله من هو . سأل المترجم فاجاب تيميستوكل ، أنا أيها الملك تيميستوكل الاثيني نفاني وأضطهدني اليونانيون فجئت أبحث عن ملجأ لديك لقد أذيت الفرس ولكني أحسنت اليهم أيضاً بمنعي اليونان من تعقبهم واذ نجت اليونان وأصبحت بلادي بعيدة عن الخطر صار في وسعي أن أقدم اليك خدمة . ان عواطفي اليوم طبق حظي وقد جئت اما لقبولي احسانك إذا كان بغضك قد زال أو لتحويله اذا كان باقيا ، ان اعدائي يشهدون لديك بالخدم التي قدمتها الى الفرس . لتكن نكبتي فرصة لاظهار فضلك أكثر منها لاظهار نقمتك . تخير بين أن تنقذ حياة رجل جاء اليك متوسلا وبين أن تقضي على عدو صريح لليونانيين » لم يقف تيميستوكل عن هذا الخطاب بل ذكر الأوامر الالهية وروى حكاية الرؤيا التي شهدها في منزل فيكوجين ووحي جوبتير دورون فقد أمرني الاله أن الجأ الى الامير الذي يحمل اسما كاسمه ولا يمكن أن يكون سواك لان جوبتير وأنت وجدكما اللذان تدعوان ملكين لم يجب الملك تيميستوكل بشيء وبقي مأخوذا بعظمة نفسه وجرأته ولكن كان بين أصحابه يهنئ نفسه بهذا الحادث كأنه أكبر نعمة يصل اليها ورجا الى أريمان أن يبعث دائما بين أعدائه مثل هذه الافكار ويحملهم على نفي العظماء من بينهم ويقال انه قدم للالهة تقدمة وأقام وليمة وبلغ من شدة فرحه سمع يصيح ثلاث مرات وهو نائم .

« عندي تيميستوكل الاثيني »

فى الغد عند مطلع الفجر دعا أصحابه واحضر تيميستوكل ولم يكن هذا يتوقع خيراً مذ رأى رجال البلاط وعلم أنهـم عرفوا اسمه فتجمهروا له وقابلوه بالاهانة والزراية يضاف الى ذلك أن روكسان رئيس الف من الجنود جابهه وهو مار أمامه فى حين كان الملك على عرشه والقوم في سكوت عميق جابهه بقوله همساً « ان حظ الملك هو الذى أتى بك الى هنا يا أفعى يونان الخبيثة» ولـكنه عند ما ظهر أمام الملك وسجد له ثانية حياه الملك وقال له بلطف « انى مدين لك بمئتى تالان بما أنك أنت الذى قدمت نفسك الى، فمن العدل أن تنال المـكافأة التى وعدت بها من يحضر الى » ثم وعده با كثر من ذلك وطمن خاطره ودعاه للاعتراف صراحة عن رأيه مهما يكن في شؤون يونان فاجاب تيميستوكل أن البيال كالبساط المنقوش لابد من نشره لاظهار صوره اما اذا بقى مطويا اختفت نقوشه وضاع تناسبها . استحسن الملك التشبيه وأذن له بما أراد من وقت . طلب تيميستوكل سنة اخـذ فى اثنائهـا بدراسة اللغة الفارسية ليتمكن من مخاطبة الملك مباشرة بدون حاجة إلى ترجمان .

توهم القوم ان تيميستوكل لايكلمه ألا فى شؤن اليونان ولـكن التغيرات التى احدثها الملك فى حاشيته والسخط الذى انزله ببعضهم جعل تيميستوكل موضع بغض جمع الـكبراء لاقناعهم انه اجترأ على التصريح للملك بمـا يعتقده فيهم والحقيقة ان كل ما كانوا يحبطون به الاجانب من التكريم لايذكر بجانب ماناله بتيميستوكل. كان يصحب الملك فى جميع رحلاته للقنص وفي جميع ملاهيه الداخلية وقد قدمه الملك إلى الملكة والدته فقبلته في صداقتهـا ثم صدر أمر الملك بتعليمه علوم المجوس . وحدث أن الملك طلب من دامارات السبارطى أن يتمنى عليه .فطلب منه أن يأذن له بالتنزه على جواد فى السارد وعلى رأسه عقال الملوك الفرس فقبض مسترو بسينس بن عم الملك على يده وقال له « ان ذلك العقال يادامارات لا يجد فى رأسك مخا يغطيه : لوقبضت بيدك على الصاعقة

لما صرت جونبير » غضب الملك لهذا الطلب وأغلظ لدامارات القول بحيث لم يكن هناك رجاء في تهدئية ثائرة . ولكن تيميستوكل توسط له فتمكن من مصالحتهما . لذلك جرت عادة الفرس بعد ذلك كلما ارادوا استجلاب يوناني أن يعدوه بأن سوف يلقى مالم يلقه تيميستوكل من الاجلال والتعظيم ويقال انه وهو في نعيمه هذا وهو موضع حفاوة الجميع قال يوما لأولاده وقد رأى المائدة امامه على افخم مايكون « ياابنائي كنا ضعنا لولم نكن ضعنا » ويكاد جميع الكتاب يجمعون على أن الملك منحه ثلاث مدن « لخبزه وخمره ولحمه » : وهي مانيزيا ، ولا مبساك وميونت ولكن نياتيس السيزيكي (١) وفانياس يضيفان اليها مدينتين آخرين وهما بركوث بالسبسى تخصصان للرياش والثياب .

واذ كان يوما نازلا الى سواحل الامبراطورية البحرية لشؤن يونانيه كمن له فارس يدعى ابيكسيس كاهن فرجيا العليا وأرصد له أناسا يقتلونه ليلا حين يجتاز مدينة ليونتوسيفال (رأس الأسد) ولكن والدة الآلهة ظهرت له وهو نائم في قيلولة الظهر وقالت له احذر ياتيميستو كل (رأس الاسد) لئلا تقع في مخالب الأسد وأريد منك جزاء هذا التحذير أن تهب ابنتك « منسيبتوليما لخدمتي» نهض تيميستو كل وقدم صلاته للالهة وعدل عن الطريق اجتنابا لذلك المكان المشؤم ولم يقف حتى اسدل الليل ستاره . وسقط احد الحيوانات التي كانت تحمل خيمته في النهر فنشر الخدم الأبسطة لتجف فرأها الكامنون) فأسرعوا اليها مشهراسيوفهم غيرمتبينين على ضوء القمر واهمين انها أبسط انها خيمة تيميستوكل وظنوه نائما فيها . دنوا منها ورفعوا البساط ولكن رجال تيميستوكل الذين كانوا كامنين لهم انقضوا عليهم وقبضوا عليهم . واذا نجا تيميستو كل هذا الحظ اقام اعترافا بفضل الآلهة هيكلا في مانيزي باسم وانديمن وجعل ابنته منسبتوليما كاهنة له وبينما هو يمر بالسارد استخدم فرصة فراغة لزيارة الهيا كل وكلها فخم جليل وفحص

١ عاصر انالوس ملك برجام وله جملة مؤلفات تاريخية

التقدمات التى تقدم فيها . رأى فى هيكل والدة الآلهة ، الفتاة المعروفة باسم (هيدر وفور) وهذا اسم تمثال نحاسى يبلغ طوله زراعين وهو الذى اقامه ايام كان وكيلا للمياه في اثينا ينفق عليه مما كان ينجمع من الغرامات التى كان يحكم بها على الذين يحولون مياه المجارى العامة إلى مجارى خصوصيه وكان قدسها في احد الهيا كل فلا تدرى ماذا حال بنفسه هل تألم لرؤية تقدمنه في هذا الاسر أو اراد أن يرى الاثينيين مايتمتع به من ثقة فى اراضى الملك لذلك خاطب ليديا في امر هـذا التمثال وطلب اليه الأذن بارساله الى اثينا اغضب البربرى هذا الطلب وقال له انه سيكتب للملك عنه . فزع تيميستوكل واستمال محظيات الحاكم فهدأ غضبه ولـكنه كان درسا لتيميستوكل تعلم منه التزام الحذر من غيرة البربر لذلك لم يزر ممالك آسيا الاخر بالرغم من أقوال تيوبونب وأقام في مانيزيا يجنى ثمار خيرات الملك ويتمتع بما يتمتع به الكبراء من الأكرام فعاش هناك زمنا طويلا ناعم البال لان الملك لم يفكر في المسائل اليونان لاشتغاله بشؤون اقاليم المملكة العيا

ولكن ثورة مصر التى كان اليونان يقصدونها. وتقدم وفود العمارة اليونانية التى تقدمت حتى بلغت قبرص وكليكيا وأخيراً تمكن سيمون من اخضاع لجميع جوانب البحر لفتت نظره الى اليونان وعول على مقاومة اغراضهم ومنعهم من أن يقووا ضده سارت الجنود وأسرعت القواد كل الى معسكره وأسرع البريد الى مانيزيا يحمل الى تيميستوكل باسم الملك الامر بان يتولى قيادة الحملة العامة ضد اليونانيين براً بوعده. ولـكن تيميستوكل لم يجد فى قلبه أثراً كبيراً للحقد على مواطنيه ولم ير فى المجد والسيادة التى يقدمها اليه النصر ما يحمله على الحرب وقد يكون ذلك لاعتقاده ان النصر محال لان يونان كانت حينذاك غنية بالقواد العظام بينهم سيمون الذى كان التوفيق ملازما له فى جميع أعماله على أن العامل الذى أوقفه هو خجله من أن يلحق الخزى والعار بما نال من مجد وما كسب من أكاليل الفخر لذلك اعتزم ذلك العزم المجيد وهو أن يختم حياته

بنهاية حقيقة به . قدم ضحية للالهة وجمع أصدقاؤه وودعهم الوداع الاخير.
شرب على رواية البعض دماء ثورة وعلى رواية الآخرين سما زعافاومات فى مانيزيا بالغا من العمر خمسة وستين عاما بعد حياة قضاها فى ادارة الاعمال العمومية وقيادة الجيوش ويقال أن اعجاب الملك ازداد عند ما علم سبب وكيفية موته واستمر احسانه إلى اسرته وأصدقائه . خلف تميمستوكل ثلاثة أبناء من أرشيب بنت ليزاندر من قرية الوبيس وهم : ارشبتوليس ، بوليكت وكلوفانت

وقد ذكر افلاطون الفيلسوف كليوفانت كان مروضاً ماهراولكنه لا يستحق الذكر ؛ ورزق قبل هؤلاء اثنان آخران فيوكاس . الذى مات وهو طفل من عضة حصان وديوكلس الذى تبناه جده ليزاندر ورزق أيضا جملة بنات منسبتوليا من زوجة ثانية تزوجت من ارشيبتوليس اختها من ام أخرى، وايطاليا زوجة بانتيد من شيوء سيبارس زوجة نيكومد اثينى ؛ نيكوماشة التى بعد موت والدها زوجها أخوتها من فرازجلس ابن أخ تيميستوكل جاء من اثينا الى مانيزيا وعنده ترتبت صغرى الاخوات وهى ازيا ؛ اداسيا

ولا يزال يشاهد فى مانيزيا فى الطريق العام قبر تيميستوكل الفخم ولايجب أن نصدق ما رواه اندوسيد (١) فى خطبة لاصحابه حيث ادعى أن الاثينتين نبشوا رفاته وذروها فى الهواء فما هو الا كذب اريد به اثارة الاشراف ضدالشعب وقد عمد فيلارك فى تاريخه الى حيلة مسرحية تحريكا للشفقة واثارة القلوب فأوجد شخصين لا يعلم لهما وجود دعاهما فيوكليس وديموبوليس جعلهما ابناء تيميستوكل وماهما سوى ابنى خياله كما يبدو ظاهراً للعيان

ويزعم ديودور البريجينى فى مؤلفه عن المقابر ظنا لا حقيقة أنه يوجد فى البيرة

١ لعله اندوسيد الخطيب

عندالعودة من منعرج السيموس لسان أرض على شكل مرفق تراه فى طول حول هذه النقطة حيث البحر هادىء قاعدة فسيحة فوقها قبر تيميستوكل على شكل هيكل ويستشهدلذلك بقول افلاطون المهرج فى أشعاره التالية

ان قبرك مشيد فى مكان لائق

موضع احترام خالد في نظر جميع المسافرين

يطل على الخارجين من الميناء والداخلين اليها

ومتى اشتبكت السفن فى القتال كان ذلك مشهده وملهاه ولا يزال ابناء تيميستوكل ينعمون في مانيزيا بكرامة خاصة مما كان ينعم به تيميستوكل الذى كان رفيقى وصديقى في مدرسة امونيوس الفيلسوف .

كامي

ان ادعى شيء للدهشة والغرابة فى الحياة فوريوس كامي ان رجلا مثله قاد الجيوش غير مرة واحرز انتصارات باهرة غير مرة وتولى الحكم الفردى خمس مرات ونال من أكاليل النصر اربعا ودعى مؤسس روما الثانى لم يعين قنصلاولا مرة . يرجع السبب فى ذلك الى الظروف السياسية . كان ذلك عهد مناقشات بين مجلس الشيوخ والشعب . أبى الشعب انتخاب القناصل وعين بدلا منهم للقضاء رجالا من أنصاره المعروفين بخطباء الشعب يتولون السلطة القنصلية وكان حكمهم اقل فظاعة بسبب كثرة عددهم وكان العزاء لمن يفضون حكم الجماعة ان يروا على رأس الحكومة ستة بدلا من اثنين .

كان كامي في ابان مجده مشهوراً باعماله الحربية . ولكنه لم يرد ان يكون قنصلا رغم ارادة الشعب مع حدوث انتخابات قنصلية فى ذلك العهد . أما المناصب الاخرى فقد تولى الكثير منها . وقد سلك فيها جميعا مسلكا حسنا بحيث أنه حتى فى حين انفراده بالامر كان يجعل السلطة شركة بينه و بين آخرين مع احتفاظه بالمجد لنفسه ولو كان له فيه شركاء . أفلح فى ذلك لالتزامه الاعتدال . أراد أن يتولى الحكم دون اثارة الحسد لما كان عليه من الحكمة التى جعلت له مقاما ساميا وتوفيقا لا جدال فيهما

لم تكن اسرة فوريوس نابهة الذكر ، فهو اول فوريوس جعل له ذكرا لفتت جدرانه الشخصية الانظار اليه في الموقعة الكبرى ضد الايكين والفولكين كان يعمل تحت ديكتاتورية لوستوميوس تو برتوس . فهو الذى بدأ الهجوم ضاربا فى الجانبين متقدما بين الصفوف ، جرح فخذه فلم يترك ساحة الوغى بل انتزع السهم من الجرح واشتد على اشجع الاعداء حتى ولوا الفرار ونال جزاء بسالته

عدة مناصب سامية منها منصب (المراقب) وكان فى ذلك العهد جليل الشأن ومما يذكر له بالثناء الحق فى هذا المنصب انه تمكن بالاقناع والتهديد بالغرامات من الزام الاعزاب بالتزاوج من الاعزبات التى زادت الحروب المتوالية عددهن ولم يقدم الا اضطرارا على فرض الضرائب على اليتامى ؛ وكانوا معفين من كل التزام. كانت الضرورة قاضية بتحصيل ماتقتضيه الحروب المستمرة من النفقات .

وشد مالزم ذلك فى حصار مدينة الفايين الذين يدعوهم البعض الفاناتاينين .

كانت مدينة فايين مفتاح اتروريا ، ولا تقل عن روما ذخيرة ولا جندا . عظم شأنها بما لها من ثروة وبذخ وجلال وملاذ فرأى فيها الرومانيون منافسة فى المجد والسيادة وكثيرا احسوا بقدرتها . ولكنها اليوم ضعفت بما اصابها من خسائر فى جملة مواقع . فعدلت عن مطمعها . اطمأن الفانيون لما اقاموا من اسوار وجمعوا من سيوف وسهام ومؤونة وجميع مايلزم فصبروا للحصار آمنين . استمر الحصار زمنا طويلا لا يقل ايلاما للمحاصرين عن المحاصرين. والحقيقة ان الرومانيين كان من عادتهم ان لايحاربوا الاصيفا وفى مواقع قصيرة الاجل. وان يقضوا الشتاء فى منازلهم ولكنهم اضطروا لاول مرة اجابة لاوامر الحكام ان ينشئوا القلاع وان يقيموا في معسكراتهم وان يقضوا الصيف والشتاء فى بلاد العدو . كانت السنة السابعة للحرب فاستاء الشعب من قواده واتهمهم بالتراخى في الحصار فانتزع منهم القيادة وانتخب اخرين لادارة القتال وكان كامي بين المنتخبين وهى المرة الثانية لانتخابه بين محامى الشعب وخطبائه ؛ لم يكلف اول الامر بالعمل فى الحصا بل عهد اليه فى محاربة الفولسكين والكابنيتين الذين انتهزوا فرصة اشتغال الرومانيين بغيرهم فدخلوا ارضهم واقلقوا بالهم اثناء حرب اتروريا .هزمهم كامي واعمل فيهم السيف واكرههم على الفرار الى داخل اسوارهم .

كانت الحرب على اشدها عندمابدأ فى بحيرة البا حادث من اغرب مارأوا فزع له الجميع لانهم لم يعرفوا له اسبابا عادية ولا علة طبيعية وكان ذلك في الخريف ولم

يحدث فى الصيف حيث لا امطار غزيرة ولا رياح جنوبية شديدة وكانت البحيرات والسواقى والينابيع الموجودة بكثرة فى ايطاليا اما ناضبة او قليلة المياه وكانت الانهر المنخفضة المياه صيفا ناضبة . ولكن بحرة البا التى منبعها فيها وليس لها مصرف محصورة من جميع جهاتها بجبال خصبة امتلأت فجأة وزادت زيادة محسوسة بلا سبب ، ان لم تكن ارادة الالهة ثم بلغت الجبال بلا اضطراب ولا دوى وصلت الى قممها . لم ير رعاة الغنم ولا رعاة الخنازير وهم اول من شهدوا الحادثة سوى حالة مدهشة . ولكنهم راوا الحاجز الذى كان يمنع الفيضان من اغراق الاراضى المزرعة قد انفتح وان سيلا جارفا من المياه ينحدر الى البحر من خلال Guerets استولى الذعر على الرومانيين وجميع سكان ايطاليا ورأوا فى هذه المعجزه اشارة الى حوادث خارقه . ولم يكن للجند المحاصر حديث غير هذا حتى بلغت الاشاعة المحاصرين انفسهم

من المألوف فى الحصار الطويل ان تجرى بين المتحاربين مقابلات ومحادثات . وحدث ان رومانيا صادق احد الفاييين وهو رجل عليم بالآثار معروف بمهارة في فن العرافة حادثه الرومانى في مسألة طغيان البحيرة ولحظ ان هذا الخبر أفرحه فرحا عظيما . وانه يتهكم على الحصار . فقال له ليست هذه المعجزة الوحيدة التى شهدها الرومانيون في هذا الزمن فقد حدث ماهو أعجب منها وانه يريد ان يطلعه عليها ليعرف اذا كان هناك سبيل في هذه النكبة العامة ليأمن على نفسه . اجابه الفايى طوعا والقى السمع الى حديث الرومانى يتحدث وهو سائر والفايى يتبعه ولما سار على مقربة من المدينة انتهز الرومانى فرصة تفوقه البدنى وقبض على صديقه يعاونه بعض الجند ، أتوا اليه مسرعين واحتملوا الرجل الى القواد . لما رأى الفايى نفسه فى هذا المأزق وأيقن انه ليس للانسان نجاة مما قدر له أفشى أسرار الوحى التى فهم وطنه قائلا انه لن تؤخذ الا اذا غير العدو مجرى المياه الفائضة من بحيرة البا واعاده الى مجراه الاصلى أو على الاقل منبع المياه ان تصب في البحر .

ولما علم مجلس الشيوخ النبأ أوفد لتعذر الوسائل لديه يستشير وحى ولف وكان الوفد مؤلفاً من كوسوس ليتيوس ، وفلاريوس بوتيتيوس ، وفابيوس أموستوس ثلاثة من أعيان وكبار روما . وكانت رحلتهم موفقة وتلقوا عدا الجواب عما أوفدوا من أجله اجابات أخرى تشير الى اهمال وقع فى حفلات (الارواح اللاتينية) خلافا للعادات المتبعة . وكان جواب الوحى عن مسألة مياه بحيرة ألبا ان يحاولوا اجراء مياه البحر الى مجراها القديم واذا تعذر ذلك يحفرون اقنية وينشئون خنادق تتحول اليها لتنصرف بين الاراضى فعمد الكهنة بناء على هذه المشورة الى اجراء ما اغفلوه في التقدمات وشرع الشعب فى العمل وصول مياه البحيرة

وفى السنة الثانية للحرب الغى مجلس الشيوخ مناصب القضاة وولى كامى الحكم ، فاختار كورنليوس سيبون قائداً عاما لفرقة الخيالة ومذ تولى الحكم منفرداً تعهد علينا انه اذا انتهت الحرب على خير ، يقيم الالعاب الكبرى ويكرس هيكلا للآلهة التى يدعوها الرومانيون الام ماتوتا (١) ويؤخذ مما يجرى فيه من المراسيم ويقدم فيه من التقدمات انه هو عيد (ليكوتية) يدخلون عبدة الى بيت المقدس يصنعونها كنوفا ثم يطردونها خارجا . ويحمل كل بين ذراعيه لا ابناه بل أبناء اخوته ثم يطاف ببكوس بين ايدى مرضعاته واينو تضطهدها عشيقة زوجها

وبعد ان فرغ كامى من نذره دخل متقلد سلاحه أرض الفايين وهزمهم فى موقعة فاصلة هم وحلفاءهم الكابتقين ومن ثم ساروا الى حصار فاى وسرعان ما أدرك صعوبة ومخاطر الهجوم ، واذ كانت الاراضى المجاورة صالحة لان تحفر حفراً عميقاً بحيث يخفى العمل عن العدو فتح خنادقا خفية . نجح عمله . وبينما كان كامى يهاجم المدينة من الخارج ليجتذب الفايين الى الاسوار تمكنت فرقة أخرى من السير فى الخنادق فى خفية والوصول الى القلعة حيث هيكل (جينون) أكبر هياكل المدينة وأسماها شرفا وكان قائد الاترويين يقدم ضحية وصاح العراف بعد

(١) يقع هذا العيد حسب النتائج الرومانية القديمة فى ١١ يونية ويدعى اماتراليا ؛

فحص احشاء الضحية قائلا « ان الآلهة تعد النصر لمن يتمم هذه التقدمة »

سمع الرومانيون الذين فى القبور هذه الكلمات فشقوا الارض وبرزوا في جلبة وضوضاء يقعقعون بالسلاح . استولى الرعب على الفاييين ولازوا بالفرار ، حمل الرومانيون احشاء الضحية الى كامى . على ان هذه الرواية يظهر فيها الاختلاف

ومهما يكن من الامر فقد أخذت فايى عنوة واذ كان كامى يشهد من أعلى القلعة مايحدث من نهب وسلب لتلك الثروات الهائلة لم يتمالك نفسه فاذرف الدمع . واذ كان من حوله يهنئونه بهذا النصر رفع يديه الى السماء ونطق بالصلاة التالية ياجو بيتر العظيم وانت أيتها الآلهة التى تشهدين أعمال الناس خيرها وشرها تعلمون ان الرومانيين لم يتقلدوا السلاح ظلما بل حملتهم على ذلك ضرورة الدفاع العادل . تقلدوه ضد أعداء ألداء عابثين بكل قانون ونظام فلئن قدرت علينا قبالة هذه السعادة ويلا وشقاء فانى أضرع اليك ان تقى روما والجيش الرومانى تلك النكبات وان توجهى ضرباتك الى انا ، على أن لاتسحقينى . »

ولما فرغ من صلاته حول وجهه الى اليمين كعادة الرومانيين فسقط أثناء التفاتته . فزع الرومانيون لهذه السقطة ولكن كامى نهض قائما وهو يقول « هذا هو الاذى القليل الذى طلبته من الآلهة قبالة ماأحرزناه من سعادة عظمى . »

وبعد ان فرغ نهب المدينة عمل على اتمام نذره بنقل تمثال جينون الى روما . جمع العمال لهذه الغاية وقدم للالهة ضحية ورجا اليها ان تتقبل تحيات الرومانيين الحارة وان ترضى المقام مع الالهة حاميات روما

ويقال ان التمثال اجاب انه راض وان هذا الاقتراح يسره .

قال ثيت ليف ان كامي ادى صلاته للاله (١) ويده على التمثال وانه عندما دعا الآلهة للسير معه اجابه الحضور « انها راضية عن ذلك كل الرضى وان اقتراحه

---

(١) لم يتكلم تيت ليف عن كامي بل عن الشبان الذين جمعهم كامي لنقل التمثال ولا ندرى لماذا دعاهم بلوتارخوس عمالا .

يسر قلبها . » ويدلل انصار المعجزة (صواحب التمثال) على صحة زعمهم بما اصابته روما من حظ موفق سعيد . هل يمكن ان تخرج مدينة عن أصل ضعيف حقير وتبلغ اسمى قمم المجد والقوة اذا لم تكن بعض الالهة قد خصها بحماية دائمة باهرة واهم ليذكرون معجزات اخرى من هذا النوع . قائلين الم نشاهد التماثيل تتصبب عرقا وتتنهد وتشير بعينيها . معجزات دونها الكثيرون من المؤرخين القدماء ؟ وفى وسعى انى أيضاً بناء على شهادات الكثيرين من معاصرى ان أثبت كثيراً من هذه الحوادث الحقيقية بالاعجاب مما لا يمكن اطراحه بلا تردد . على أنه فى مثل هذه الحوادث يتساوى خطر تصديقها وعدم تصديقها. لان ضعف الانسانية لا يعرف حداً ولا يعرف أن يسن نفسه قانونا فاما أن ينحدر الى الاخذ بالاباطيل والترهات والكبرياء أو يسف الى الاهمال واحتقار الشؤون المقدسة وعليه يكون من الحكمة التزام الحرص والاعتدال

ان عظمة هذه الحملة والاستيلاء على هذه المدينة التى كانت تناظر روما ودوام حصارها عشر سنوات حركت الالسنة بالثناء على المنتصر ثناء انتفخ له قلب كامي واثار فيه مطامح كبيرة لحاكم الجمهورية التى يجب عليه احترام عاداتها : زاد فى ابهة موكب النصر زيادة كبرى فدخل روما على عربة يجرها أربع جياد بيض . لم يحدث هذا قبله ولا بعده . لان الرومانيين يعتبرون هذه العربة خاصة بملك ووالد الالهة . فكان هذا أول سبب لاستياء الوطنيين الذين لم يعتادوا مشاهدة هذه الفخفخة المهينة . جاء بعد ذلك السبب الثانى وهو معارضة كامي لقانون تقسيم السكان . اقترح خطباء الشعب تقسيم الاهالى والشيوخ الى قسمين متساويين يبقى النصف فى روما والآخر حسب الاقتراح يذهب فيسكن المدينة الجديدة .

يرون فى ذلك زيادة سعادة الجميع إذ يصيرون أصحاب مدينتين عظيمتين جميلتين فيتمكنون من الدفاع عن بلادهم ومصالحهم . استقبل الشعب الذى

صار كثير العدد هذا الاقتراع بفرح عظيم والتف حول المنبر وطلب بصيحات عالية الاقتراع . ولكن الشيوخ وكبار الاعيان لم يروا في اقتراح الخطباء تجزئة روما فقط بل خرابها التام واشتدة استيائهم لجأوا الى كامي . خشى عقبى هذا الانقسام فأخذ يماطل الشعب ويقيم فى سبيله الصعب فيؤجل القانون من يوم ليوم فكان هذا سبب ما انطووا عليه من الضعف له.

على أن غضب الشعب ضده انفجر عند اثارة مسألة عشر الاسلاب ولا بد هنا من الاعتراف بانه اذا لم يكن هذا السبب عادلا كل العدل فلا يخلو من أثر . عندما سافر كامي الى فاى انذر انه اذا استولى على المدينة ان يخص ابولون بعشر الغنيمة وعندما أخذت المدينة أطلق الجند أيديهم بالنهب والسلب ترك لهم كل الغنيمة ، قد يكون ذلك عن خوف من أغضابهم او ان الاضطراب الذى غشاه حين ذلك انساه نذره ولم يفض بذلك لمجلس الشيوخ إلا بعد الحادثة بزمن طويل . وبعد أن غادر منصبه أعلن العرافون في ذلك الحين أن الضحايا تنبئ بغضب الآلهة ولا بدلتهدئة غضبها من كفارة وضحايا.

رأى الشيوخ من المحال أن يعودوا الى تقسيم الغنايم فتركوها لمن استولوا عليها . فاكتفوا بان أمروا ان يرد كل عشر ما أخذ مع القسم بان يخل بالوفاء العادل . وعليه أخطروا لتنفيذ هذا الامر الى وسائل محزنة . وان يستعملوا القسوة ضد جنود فقراء احتملوا كثيراً من الآلام فى تلك الحروب يطالبونهم بقسم كبير من أموال انفقوها . اضطرب كامي لما وجهه اليه من اللوم واذ لم يكن لديه عذر قيم لجأ الى أسخف الأعذار : اعترف علنا أنه نسي نذره فبلغ الغضب أشده قال الشعب ان الديكتاتور نذر ذلك اليوم أن يقدم عشر أسلاب الاعداء وها هو يأخذه اليوم من افلاك الوطنيين ! .

وانتهى الامر بان قدم كل انسان ما طلب اليه تقديمه . ومن ثم تقرر أن يصنع

من المتحصل فوهة ذهب ترسل الى دلف ولم يكن الذهب شائعاً في روما وبينما كان الحكام يبحثون لايجاده اجتمعت النساء وقررت فيما بينهن تقديم جميع خلاهن لاجل هذه التقدمة . وقد بلغ مجموعها ثماني تالانات فقرر الشيوخ مكافأتهن مكافأة تليق بهن وبشرف قدرهن فأمر أن ترثى النساء بعد موتهن كما يرثى الرجال ولم يكن من العادة ان ترثى النساء عند جنازتهن

ندبوا لنقل التقدمة ثلاثة من اعيان الوطنيين تقلهم مركب طويل يسيرها نخبة من الجدافين ومحلاة بالزينة اللائقة بالحفلات العامة وقد عانى الوفد الشدائد فى العاصفة والهدوء — يلاقون من الهدوء مايكاد يكون الموت حتى اذا نجوا من الخطر كانت نجاتهم على غير أمل . خانتهم الرياح بالقرب من جزائر الابولين فظنتهم مراكب اللبيادين ، كورتين فهاجمتهم واذا رأوهم يمدون اليهم الأيدى ويرفعون اليهم الرجاء لم يقسوا عليهم وسحبوا مركبهم إلى مينائهم وهناك أعلنوا أن ركابها من القرصان وشرعوا فى بيعهم هم وكل مالديهم ولم يقبلوا اخلاء سبيلهم إلا بعد عناء . والفضل فى ذلك لقائدهم تيماشيه . وزاد هذا القائد أن ارسل بعض مراكبه تصحب الوفد حتى رلف واشترك معه فى تقديس التقدمة لذلك خصه الرومانيون باكرام لايتى لخدمته

قدم الخطباء قانون تقسيم أهالى روما ولكن حرب الفالكيين التى جاءت في الوقت المناسب جعلت الاشراف سادة الاقتراح واقتضت الحال الالتجاء إلى قائد يجمع الى المهارة العمليه السلطة والسمعة الطيبة فعرض كامين مندوبا حربيا مع خمسة أخر . ووافق الشعب على الاقتراح وتغلب كامين قيادة الجيش واسرع بالاغارة على أرض الفالكين وحاصر فالير وهى مدينة حصينة . لم يهمل أهلها أمراً من أمور الدفاع . رأى كامى أن ليس من السهل اغتصابها وان الحصار سيطول امده ورأى من الحسن أن يبقى الرومانيون خارج المدينة ليمنعهم الثورات التى

يلجأون اليها عادة امام السلم تحت تأثير خطبائهم . ذلك هو الدواء الذى يلجأ اليه الشيوخ كما يفعل النطاسيون من الاطباء لتطهر آلهة السياسة من المفاسد التى تفسد عليها احوالها الاقتصادية .

كان الفالسكيون واثقين من متانة حصونهم هازئين بالحصار وكان الناس ماعدا حراس الاسوار يمرحون فى المدينة بثيابهم العادية وكان الاولاد يذهبون الى مدرستهم ويخرجون بقيادة معلمهم الى التنزه حول الاسوار ويقومون بتماريتهم الرياضية والحقيقة أن الفالسكين كاليونانيين يجعلون لتعليم ابنائهم معلماً واحداً ليعتادوا من الصغر الغذاء والحياة معا اضمر هذا المعلم ان يسلم الفالسكين الى الرومانيين بتسليم ابنائهم فبدأ يأخذ الاولاد كل يوم الى سفح الاسوار فيستدرجهم خارج المدينة ثم يعود بهم بعد تأديبهم ومن ثم صار يبعد بهم شيئاً فشيئاً حتى يبعد عنهم كل مظان الخوف والخطر واخيراً اذ كان جميع الاولاد معه بلغ بهم عمداً محلة الحرس الرومانى وسلمهم الاولاد وطلب مقابلة كامى . فبدا اليه واذ صار بمقربة منه قال له « انى معلم مدرسة فاليرى . وقد فضلت على واجبى أن أقدم لك خدمة وقد جئت اسلم اليك تلاميذى وبذلك اجعلك تملك المدينة »

غضب كامى لهذه الخيانة السوداء وقال لمن حوله « ان الحرب من الاعمال المشؤمة وكم تجر وراءها من المظالم والفظائع ولكن كبار النفوس يعرفون لها قوانين لا يريدون النصر عن طريق الجرائم والدنايا . أن القائد الكبير يقيم الحرب معتمداً على قوته الشخصية لا على خبث وخيانة وحقارة الآخرين » ثم امر الجلاد ان يمزق ثياب ذلك الرجل وان يوثق يديه الى ظهره وأن يعطى الاولاد قضبانا ومذبان ليقتصوا من الخائن وهم يرجعون به الى المدينة .

شعر الفالسكون بخيانة المعلم ولا غرابة ان عم المدينة الحزن والكدر وقد رفعت النكبة كبار المدينة رجالا ونساء الى الاسوار والابواب واذ بهم يرون الاطفال عائدين يقودون المعلم عاريا موثوق اليدين يضربونه بالعصي ويدعون كامى

الهم ومنقذهم ووالدهم تأثر الاهالى جميعاً لا الآباء فقط من هذا المشهد وتملكهم اعجاب شديد بكامى وشملتهم الرغبة في الاستلام الى عدله فاجتمعوا لفورهم وارسلوا اليه مندوبين طالبين ان يسلموا أنفسهم وأموالهم لامره . أرسل كامى المندوبين إلى روما ولما أدخلوا الى مجلس الشيوخ قالوا ان الرومانيين باثارتهم العدل على النصر علمونا ان نؤثر الهزيمة على الحرية وهم يعلنون ان قد انتصرت عليهم فضائل الرومانيين ولو انهم ليسوا أقل منهم قدرة . اعادهم مجلس الشيوخ الى كامى يرى فيهم رأيه . فاكتفى بان طلب منهم تعويضا حربياً ثم عادوا الى روما بعد ان عقد محالفة حربية مع جميع الشعوب الفالسكية ولكن الجنود الذين كانوا يؤملوا الغنم الكبيرمن اسلاب فاليرى عادوا فارغى الايدى . ما وصلوا روما حتى أخذوا يشنعون على كامى يتهمونه بانه عدو الشعب وانه حرم الفقراء وسيلة مشروعة للثروة .

عاد خطباء الشعب الى تقديم قانون تقسيم أهالى روما واعد الشعب لاعطاء صوته . اقتحم كامى غضب الشعب وعارض القانون بشدة وصراحة حتى رفض .

تبل الشعب على غير رضي و بلغ من حقده على كامى ان شمت لنكبته بفقد أحد ولديه ، ولم يهدا غضبه عليه . اما كامى فكان طيب القلب رقيق الأحساس فقد اشتد به الحزن من هول هذه النكبة حتى انه دعى للمحاكمة فلم يحضر و بقى رهن بيته مع النساء

كان المدعى على كامى رجل يدعى لوسيوس الوليوس يتهمه باختلاس جانب من غنائم أترووريا . ليستشهد لذلك بابواب نحاسية كانت بينها وشوهدت فى منزل كامى . كان الشعب ثائرا ضده والحكم عليه منتظر لاقل حجة . دعا كامى أصدقاءه واخوانه تحت السلاح وزملاءه الاقدمين وهم عدد غير قليل وتوسل اليهم ان لا يبخلوا عليه بالدفاع أمام هذه التهم الكاذبة وان ينقذوه من حكم ظالم ومن سخرية أعدائه . فاجابوه بعد المداولة والمناقشة انهم لا يستطيعون منع الحكم

ولكنهم اذا حكم عليه بغرامة يدفعونها عنه . ساء كامى ضعفهم ولم يصغ الا لصوت غضبه فاعتزم مغادرة المدينة وان ينفي نفسه برضاه فعانق زوجته وابنه وخرج من البيت ومشي صامتاً حتى أبواب المدينة وهناك وقف وتحول ثم بسط يديه نحو الكابيتول ورفع الى الآلهة الصلاة التالية « اذا كنت بريئا وكان ظلم وحسد الشعب هو الذى أكرهنى على الخروج ذليلا من وطنى فلتكن ارادتك ان يشعر الرومانيون ويعلم العالم حاجتهم الى وتأخذهم الحسرة لغياب كامى » وبعد ان صب على مواطنيه اللعنات كما فعل أشيل أبعد عن روما . حكم عليه غيابياً بغرامة قدرها خمسة عشر الف (اس) توازى بالفضة الف وخمسمائة درخمة لان الاس عمله صغيرة كل عشرة منه تساوى فلساً

لم يبق رومانى لا يعتقد ان العدل الالهى تقبل صلاة كاميى لوقتها وان الويلات صبت على روما جزاء ظلمها الذى ذهب ضحيته، انتقام ربى له كاميى ذاته ولكنه شريف وعظيم لان غضب الالهة انهك قوى روما واجتمع عليها الفزع والخطر والعار وسواء كان العقاب من عمل الصدفة او ارادة إله لا يسمح لنكران الجميل بامتهان الفضيلة بالاعقاب .

واول نكبة نزلت بروما هى موت الرقيب يوليوس والحقيقة ان منصب الرقابة مقام محترم جدا فى نظر الرومانيين حتى انهم يقدسونه اما النكبة الثانية فكانت سابقة لنفى كاميى. ذلك أن رجلا لا هو من الاشراف ولا من الشيوخ لكنه رجل محترم لفضله يدعه ماركوس سيديتيوس ابلغ الزعماء الحربيين واقعة حسبها حقيقة بان تنقل اليهم وتستحق عنايتهم ابلغهم انه بينما كان يجتاز الليلة الماضية السكة الجديدة سمع صوتا يناديه ، التفت فلم ير احداً ! ولكن صوتا اقوى من صوت رجل قال له ياماركوس سيديتيوس اذهب غدا عند مطلع النهار وبلغ الزعماء الحربيين ان يتوقعوا رؤية الغالين قريبا ضحك الزعماء من هذا الانذار وسخروا به ثم اخذت بعد ذلك نفى كاميى .

والغاليون انه سلتية كثر عددها وغادرت بلادها التى لم تعد تكفى لمؤنتها وذهبت تبحث عن ارض تصلح لسكناها . وهذه الامة كثيرة الشبان البواسل تجر وراءها عددا اكبر من النساء والاطفال اخترق بعضها جبالى ريفه ، وانتشروا حول الاوقيانوس الشمالى واستقروا على حدود اوروبا وأقام البعض بين البيرلينا والالب على مقربة من الينونين والسانتورين واقاموا زمنا طويلا وحدث أن ذاقوا لاول مرة النبيذ محمولا اليهم من ايطاليا فاستطابوا طعم هذا الشراب ولذ لهم ماادخله عليهم من السرور فحملوا اسلحتهم واصطحبوا اهلهم وانحدروا من جهة الالب يطلبون الارض التى تنبت ثمراً شهيا كهذا ، يرون كل ارض دونها قحلاء موحشة .

اما الذى علمهم النبيذ وحرك فى نفوسهم شهوة الذهاب الى ايطاليا فهو على مايقال رجل يدعى ارون من اتروريا معروف فى بلده لم يكن شريرا بالطبع يل ارد الانتقام لنفسه من عار لحقه . كان مربيا لفتى يتيم يدعى لوكومون . اجمل واغنى مواطنيه تربى الفتى من نعومة اظفاره تحت اشراف اروني ، ولما بلغ سن الشباب لزم المنزل بدعوى حبه لمربيه على انه كان على اتصال بامرأته يحبها وتحبه صلة إثمية

بقيت هذه الصلة طى الخفاء زمنا طويلا ولكن الهوى المتبادل اشتد بهما حتى لم يعد في امكانهما التغلب عليه او اختفاءه

اختطف الفتى زوجة ارون وابقاها فى منزله علانية ؛ رفع الزوج عليه قضية ولكنه لم يستطع التغلب على لوكومون لكثرة عدد اصدقائه ورفعة قدره ووفرة ثروته فخذل وخسر قضيته وحينئذ غادر وطنه وسار الى الغاليين الذين عرفهم بما شاع عنهم وتولى قيادتهم الى ايطاليا

افتتح المغيرون في وقت قصير جميع المملكة بين الالب والبحرين وهى التى كان يملكها الاترسكيوت من زمن بعيد كما يتضح ذلك من اسماء الاماكن

فالبحر الشمالى الذي يدعى الادرياتى نسبة الى ادريا وهى مدينة من مدن اترسكيا وكذلك يدعون البحر الجنوبى بحر اترور يا وكانت هذه البلاد وافرة الفرس خصبة المرعى ترويها انهار كثيرة وكان بها ثمانى عشرة مدينة جميلة عظيمة غنية فى تجارتها تعيش في سعة وبذخ . طرد الغاليبون منها الاترسكين واقاموا بها . حدثت هذه الغارة قبل نفى كامى بزمن طويل (١) ولكن ابان هذا النفى جاء الغاليبون جاءوا لمحاصرة كلوزيوم وهى احدى مدن اتروريا .

استصرخ أهل كلوزيوم الرومانيين يستنجدونهم طالبين اليهم ان يرسلوا الى هؤلاء البربر الوفود وان يخاطبوهم فى الامر . أوفد الرومانيون ثلاثا من عائلة فابيوس وهم من كبار القوم اصحاب السمعة المحترمة فى روما . اكرم الغاليبون وفادتهم احتراما لاسم روما واوقفوا مهاجمة الاسوار واخذوا فى مفاوضة المندوبين اى ذنب جناه الاترسيكون ضدكم حتى جئتم تحاصرون مدينتهم ! ضحك برونوس ملك الغاليين من هذا السؤال ثم قال « ان ذنبهم فى نظرنا انهم يريدون ان يمتلكوا وحدهم اراض واسعة وهم لا يستطيعون سوى استغلال جانب صغير منها وانهم يأبون اقتسامها معنا ونحن غرباء كثير والعدد فقراء . وذنبهم ايها الارمانيون هو الذنب الذى جناه ضدكم بالامس لاليون والفدايون والاروبون وهو ما ارتكبه ضدكم الفيون والكابتيون اخيرا واغلب الفايسكين والنويسكين. وكل شعب يأبى عليكم مشاركته فى خيراته تسيرون اليه بسلاحكم تستعبدون رجاله وتسلبون امواله وتهدمون مدنه . لم تأتوا فى ذلك شيئا شاذا ولا ظالما بل سرتم على اقدم الشرائع التى تبيح للاقوياء اموال الضعفاء وهذه شرعة تبدأ بالله ذاته وتنتهى الى الضوارى . لانها تعرف ايضا ان القوى يزعم دائما ان نصيبه لابد من ان يكون أوفر من نصيب الضعيف . فاقلعوا عن العطف على الكلوزيين المحاصرين اذا كنتم لا تريدون ان يعطف الغاليون على الشعوب التى استذلها الرومانيون » .

١ منذ قرنين تقريبا

رأى الوفد الرومانى من هذا الجواب الاسيل الى التفاهم مع برتوس : دخلوا كلوزيوم وانهضوا شجاعة المحاصرين ودفعوهم الى المهاجمة على أن يحاربوا معهم . اما رغبة فى معرفة مقدار شجاعة البربر واما لاظهار كفاءتهم. عمل الكلوزيون بنصيحتهم . حدث اثناء المعركة التى وقعت تحت اسوار المدينة ان كنتوس امؤستوس احد الغاليو بين الثلاث دفع جواده ضد غاليى طويل القامة فخم الهيئة طاف حوله واندفع بعيدا عن الموقعة لم يعرف لاول امره لان الملحمة كانت شديدة وكانت الاعين مأخودة ببريق السيوف ولكنه بعد ان انتصر على خصمه وقتله عرفه برتوس وهو يجرد الجثة استشهد الآلهة على هذا العمل المخالف للشرائع الدولية والقوانين المقدسة « قائلا جاء فابيوس رسولا فاجترأ ان يعمل عمل عدو . فاوقف القتال وترك الكلوزيين وسار بجيشه الى روما على انه لم يرد ان يظهر يظهر من اتخذ هذا الاعتداء زريعة لمهاجمة الرومانيين فطلب من روما ان تسلم اليه الجانى لمعاقبته ولم تتقدم الا متمهلا

اجتمع مجلس الشيوخ فى روما وأوقع اللوم على فابيوس وقام الكهنة المعروفون باسم فاسيو يؤ يدون التهمة قائلين ان هذا الاعتداء يهم الالهة انفسهم وأنا بتضحيتنا بشخص واحد كفازة عن الجريمة نحول عن الشعب كله الانتقام السماوى . وطفحة الكهنة هذه من اوضاع نوما بومبليوس ارق واعدل الملوك ، ليكونوا حراساً للسلام و حكماً عدلا فى الاسباب التى تدعوا الى حمل السلاح

احال مجلس الشيوخ المسئلة على الشعب وجدد الكهنة تأيدهم التهمة ضد فابيوس ولكن الشعب اكثر من السخرية والاحتقار لقوانين الدين المقدسة وعين فابيوس زعيما حربياً مع اخوته

ولما علم الغاليون هذا النبأ اشتد غيظهم وساروا بلا مهل يسرعون الخطا وكانت كثرة عددهم وقعقعة سلاحهم وقوتهم وسورتهم ترسل الرعب حيثما سارت وكان أهالى المزارع يتوقعون تلف مزارعهم على شر أنواع التلف واهالى

المدن يتوقعون خراب مدنهم ولكن شيئاً من الفظائع لم يرتكب فلم يسلبوا شيئاً من المزارع ، وكانوا كلما مروا بمدينة صاحوا باعلى صوتهم « انما نسير ضد روما ليس لنا أعداء سوى الرومانيين أما جميع الشعوب الاخر فهم اصدقاؤنا ،

بينما كان البربر يتدافعون فى تقدمهم الى الامام غادر الزعماء الحربيون رؤما وساروا لملاقاتهم ولم يكن جيشهم أقل عدداً من جيش الغاليين اذ كان عددمشاته أربعون الفا ولكن أغلبهم حديث العهد بالحروب لم تسبق له بها خبرة ولم يقبض على السيف الا لاول مرة وقد قصر القواد في التأكد من مساعدة الآلهة فلم يقدموا الضحايا ولم يستطلعوا رأى العرافين فيما تجب معرفته فى هذه الظروف الحرجة قبل مباشرة الحرب وكان لكثرة عدد القواد أثرها السيء فى اضطراب الاعمال الحربية فقد كان الرومانيون في أقل الحروب خطراً يعينون حكما وحيداً يدعونه ديكتاتور يعرفون له قدرة في المواقف الخطرة فيعمل الجميع بروح واحدة ليتولى الامر رئيس واحد بيده السلطة العليا وله حق القضاء ولامرد لحكمه على ان نكبة الرومانيين الكبرى هى معاملة كامى تلك المعاملة الحقيرة فحرموا بابعاده قائداً جريء على مقاومة نزعات الشعب واهدائه .

تقدم الرومانيون على مدى تسعين ستار (١) من المدينة وعسكروا على شواطى نهر اليا عند ملتقى نهر التبر . ومالبث البربر انظهروا ولكن الرومانيين جبنوا في القتال ووقع الاضطراب في الجيش فكانت هزيمته تامه . القى الغاليون فى هجمتهم الاولى الجناح الأيسر فى النهر وخشى الجناح الايمن صدمة البربر فاعتصم بالمرتفعات فكانت نكبة اقل ويلا . وتمكن بعض هؤلاء من الالتجاء الى روما ولما مل الغاليون القتل تمكنت بقايا الجناح الايسر من الهرب إلى فاى ليلا موقنين ضياع روما وهلاك اهلها وقعت هذه المعركة حول الانقلاب الصيفي تقريبا

(١) تزيد قليلا عن اربع فراسخ الستارة عبارة عن ١٥٥ و ٨٥ امتر

حيث كان البدر في تمامه . في اليوم الذى هلك فيه ثلاثماية رومانى من عائلة فابيوس بعد الاترسكيين ولكن الهزيمة الاخيرة التى تعرف بذلك اليوم (١) لايزالون يدعونه يوم « اليا » اسم النهر الذى وقعت بجواره

ولقد دققت البحث فيما اذا كانت هناك حقيقة ايام نحس او أن هيراكليت كان مصيباً فى لومه هزيود لاعتباره وجود أيام خير وأيام نحس. كأنه يجهل أن جميع الايام سواء وقد لا يكون من الخروج عن الموضوع أن أذكر بعض حوادث تتعلق بهذا الشأن . مثال ذلك أن البيوتيين يعدون من أيام الخير الخامس من شهر هيبود روميون الذى يدعوه الاثينيون هيكاتبنيون (يونيه ـ يوليه) فقد اكتسبوا في ذلك اليوم النصر مرتين انتصارات باهرة أيدت حرية يونان . احداهما انتصار ليكتر والثانى قبل ذلك بمائتى سنة انتصار جرابت حيث قهروا التلاميين والتاليين وبالعكس من ذلك انهزم الفرس فى موقعة مراتوت يوم ستة من بويدروميون (أغسطس سبتمبر) وهزموا فى بلاته وميكال يوم ٣ وهزموار فى ابريل يوم ٢٥ منه وكان انتصار اليونانيين بقيادة شابوياس فى موقعةباكسوس البحرية فى تمام بدر هذا الشهر وفى العشرين منه غنموا موقعة سلامين كما قلت فى كتاب عن الايام (٢) وقد نزلت بالبربر في شهر تارجليوت (ابريل — مايو) نكبات عديدة وفى هـذا الشهر انتصر اسكندر على قواد الفرس بالقرب من جرانيك . وفى الرابع والعشرين من هذا الشهر اخذت تراوده على رواية كالستين (٣) وداماست (٤) وفيلارك وفى هـذا اليوم هزم تيموليون القرطجنيين في صقليه اما شهر تارجينيون (سبتمبر ا كتوبر)

---

(١) ورد بالنتائج الرومانيه ١٨ يوليه باسم موقعة اليا سنة ٣٦١ لروما و ٣٩٠ قبل المسيح . أما مذبحة آل و بيوس فقد وقعت قبل ذلك بثمانين سنة .

(٢) لم يبق لهذا المبحث أثر (٣) الذى قتله اسكندر بتهمة المؤامرة (٤) مؤرخ معاصر لدودوت . وطبقات الابطال فى حرب تراوده

الذى يدعوه البيوتيون بانسيموس فلم يكن خيرا على اليونانين ففى السابع منه هزمهم انتيباتر في فرانون فى موقعة نظامية وشتت شملهم وكانوا من قبل قد هزمهم فيليب فى موقعة شارونه وفى اليوم ذاته من هذا الشهر فى السنة ذاتها تمكن البربر من قتل وتشتت شمل الجيوش اليونانية التى سار بها ارخيدا موس الى ايطاليا ويخشى القرطجنين يوم ٢٢ من هذا الشهر لانه يأتيهم دائماً بويلات فادحة.

ولكنى لا أعلم اذا كان اسكندر ضرب مدينة طيبة فى وقت الاحتفاء بالاسرار المقدسة. وان فى العشرين من شهر بدروميون يوم الاحتفاء باسرار الآله باخوس تلقى اللاتينيون حامية سبارطة وكان الرومانيين ايضاً أيام خير وشر معا. مثال ذلك اليوم الذى هزم فيه السنيريون جيشهم الذى كان يقوده سيبيون، حتى معسكره وهذا الذى حدث فيه أنهم تمكنوا بقيادة لوكاوس من الفوز على الارمنين وتجرانذ

وقد توفى الملك اتالوس و بونبيه فى يوم مولدهما ومن السهل ذكر عدة أيام كانت هناء وشقاءاً لاصحابها ولكن الرومانيين يعدون يوم هزيمة ألبا من كل شهر يوماً مشؤوماً ويعدون هذا اليوم ويومين آخرين بسببه، لان النكبة كما هي العادة تزيد الرعب والاوهام ولقد عالجت هذا الموضوع في بحثى المعروف باسم (المسائل الرومانية)

لو ان الغالبين بعد الموقعة اقتفوا اثر الفارين لما كان لروما نجاة من الخراب التام ولا أهلها من مذبحة عامة. ذلك أن الهاربين فى تقهقرهم المروع ملاءوا الاذهان رعباً ونشروا الفزع والاضطراب فى جميع انحاء المدينة ولكن البربر لم يدركوا فى ذلك الوقت ان انتصارهم كان تاماً عدا انهم لفرحهم بالفوز لم يفكروا الا فى اغتنام اسلاب المعسكر الرومانى، فمكنوا الهاربين من الاهالى من الانسحاب ومكنوا الباقين من استعادة قواهم وتحصين الدفاع. على أن هؤلاء لم يعنوا بانقاذ المدينة فاكتفوا بان جمعوا فى الكابيتول كل أنواع

السلاح واقامة المعاقل والحصون حوله وكان أول همهم نقل الاشياء المقدسة اليه

اخذت عذارى فستا وهن هاربات نار فستا والاشياء المقدسة التى عهدت اليهن صيانتها ؛ ويزعم البعض انه لم يكن عليهن سوى تعهد النار الدائمة . انشأ نوما هذه العبادة لانه كان يعتبر النار جوهر كل شيء وهى بطبيعتها اشد العناصر حركة ، وكل تجدد حركة أو يصدر عن حركة وان جميع المواد الطبيعية تنتهى متى فقدت حرارتها الى حالة جمود لاتختلف كثيراً عن الموت وحاجتها الى عمل النار القوى كحاجتها الى الروح او الحياة ، ومتى عملت فيها عاون الى العمل، كانها تحتمل مايصيبها من احداث المخلوقات الاخرى . هذا مادعا نوما ، ذلك الرجل العظيم الذى بلغ من حكمه أن قيل عنه أنه كان يحادث الالهة ، الى تقديس النار وامر أن يحتفظ بها موقدة على الدوام رمزاً لتلك القوة الخالدةالتى تدير الكون. و يزعم البعض أن الرومانيين كاليونانيين يبقون النار دائماً أمام الاشياء المقدسة إشارة الى طهارتهاوانه يوجد بالهيكل اشياء أخرى مقدسةلايراها سوى عيون العذارى اللاتى تدعى (فستال) ومن الاشاعات المستفيضة ان يوجد فى هذا الهيكل البيلاديوم الذى احضره انياس من تروادة الى ايطاليا ويزعم البعض أنها آلهةساموطرس قائلين أن درداوس مؤسس تروادة نقلها الى مدينة حيث اسس حفلاتها وعبادتها وأنه عند سقوط تروادة قام انياس فانتزعها سراونقلها الى ايطاليا ويقول البعض مما يدعون المعرفة انه يوجد بالهيكل برميلان (زنبلان) متوسط الحجم احدهما مكشوف وفارغ والاخر مغطى وملآن. وللعذارى دون سواهن الحرية في مشاهدتها ويكذب البعض هذه الرواية قائلين ان العذارى اخفت فى الزمبلين اكثر الاشياء المقدسة ودفنتها تحت هيكل كيرينيس فى المكان الذى يعرف حتى اليوم باسم دوليولا ثم احتملت اكثر الاشياء الدينية قداسة واحتراما وهربت بها عن طريق التتر . وحدث فى ذلك الوقت ان احد العامة لوسيوس ابينوس كان مغادرا روما مع الهاربين وقد حمل على عربته اولاده الصغار وامرأته وادواته

الضرورية . ولما رأى العذارى تحمل فوق ازرعتهن الاشياء المقدسة سائرات وحدهن بلا معين وقد اخذ منهن التعب والعياء كل مأخذ انزل زوجته وابناءه واخلى العربة من الاوانى واجلس فوقها العذارى ليتمكن من الوصول الى احدى المدن اليونانية وقد رأت ان تقوى البينوس وا كرامه الآلهة فى ظرف حرج كهذا حقيقة كان يبقى ذكرها بين الناس .

ولكن كهنة الآلهة الاخرى والشيوخ الذين كانوا قناصل أوا كتسبوا اكاليل النصر ابوا مغادرة روما فارتدى كل منهم ثيابه المقدسة الفاخرة وقدموا انفسهم ضحية لوطنهم فى صلاة أعادوا فيها ما كان يقوله الحبر الاعظم فابيوس ومن ثم جلسوا في ساحة الفوروم على مقاعدهم العاجية منتظرين ماقضت به الآلهة

وصل برنوس بعد الموقعة بثلاثة ايام بجيشه الى روما ولما رأى الابواب والاسوار بلا حراس داخله الشك وخشى أن يكون هناك كمين . ولم يخطر بباله ان الرومانيين بلغ بهم اليأس ان غادروا مدينتهم . ومن ثم تأكد ذلك فدفع جواده ودخل من باب كولين واخذ روما بعد تاسيسها بثلاثمائة وستين سنة . هذا اذا كان من الممكن التثبت من تاريخ قديم كهذا مع مانعرفه من الاضطراب فى تواريخ الحوادث الحديثة ، وكأن اشاعة صامتة جرت بين اليونانيين عن نكبات الرومانيين واغتصاب مدينتهم . قال هيرا كليد البونتى الذى وجد بعد هذه الحوادث بزمن يسير فى (مبحثه عن التعس) ان قد جاءت انباء من الغرب ان جيشا آت من بلاد القاصية غزا مدينة يونانية تدعى روما وواقعة فى الممالك الغربية غير بعيدة عن البحر الاعظم . ولست استغرب من هيرا كليد هذا الكاتب الخرافي الكذاب أن يتخيل فيزين حادثة اخذ روما الحقيقية بكلمتى القاصية والبحر الأعظم . اما ارسطوا الفيلسوف فقد أوضح المسألة بعبارة جلية وقد سمع باغتصاب السلتين (الغالين) مدينة روما ولكنه قال ان الذى انقذها يدعى لوسيوس مع انه كامى مركوس لالوسيوس ولم يذكر اليونانيون هذا

الموضوع الارجما بالغيب

لما تمكن برنوس من روما حاصر الكابيتول بثلة من جنده وعاد الى الفوروم . أخذه الاعجاب بهؤلاء الشيوخ فى ملابسهم الفخمة جالسين فى صمت عميق ثابتين فى أماكنهم عند اقتراب العدو لم يبد عليهم تغير، لا في وجوههم ولا ألوانهم ولم يبدعليهم شيء من الرعب ! ينظردن الى بعض في هدوءمتكئين على عصيهم ، أثر هذا المنظر المهيب فى نفوس الغاليين فبقوا زمنا طويلا لا يجسرون على الدنو منهم ولامسهم يحسبونهم ذواتا مقدسة . واخيرا اجترأ أحدهم على الدنو من مانيوس بانيريوس ومد يده بلطف تحت ذقنه ومسك بلحيته الطويلة . ضرب مانيوس ذلك البربرى بعصاه على رأسه فجرحه . استل البربرى سيفه وقتل بانيريوس وحينئذ انهال الغاليون على أولئك الشيوخ فدبحوهم جميعاً .وأخذوا كل ما وصلت اليه أيديهم وقضوا أياما يسلبون وينهبون و يخربون المدينة وأخيراً أحرقوا النار فيها وقلبوها رأساً على عقب ثائرين ضد حامية الكابتول التى أبت التسليم . والحقيقة أن رجال الحامية دافعت ببسالة وحمت معاقلها بشجاعة وقتلت نفراً من الاعداء غير قليل لذلك خرب الغاليون المدينة وأطلقوا يدهم بقتل كل من وقع بين أيديهم لافرق عندهم بين الجنسين ولا عبرة للسن .

طال الحصار وأعوزت الغاليين المؤونة فقسموا جيشهم جماعة تقوم بمحاصرة الكابتول وأخرى تعبث فى المزارع ونهب القرى المجاورة ولم يسر هؤلاء جماعة بل فرقا وعصابات لما استقر فى نفوسهم من كبرياء الفوز موقنين أنهم في مأمن وقد قصد أكثر هذه الفرق عددا وأ كثرها مرانا على القتال الى مدينة (اردة) التى لجأ اليها كامي . حيث كان يعيش فى عزلة عن المسائل العامة عيشة خاصة ولكن فى ذلك الوقت دبر مشروعا عظيما لم ير من المحال تحقيقه . لم يكن همه حماية شخصه

ولم يرد قط أن ينجو بنفسه من الاعداء ولكنه كان يفكر فى أخذهم على غرة وطردهم . رأى أن الاردين اقوياء بعددهم ولكنهم فى فشل لعدم خبرة ونزالة قوادهم فبدأ بمخاطبة الشبيبة قائلا « لا تعزوا هزيمة الرومانيين الى بسالة الغاليين . ان الذين لم يعملوا لنيل النصر لا يستطيعون المفاخرة بنكبات جرتها النصائح والارشادات السيئة ، ان القدر وحده هو الذى أحدث كل شيء . أى مجد تنالون لو تقحمتم الخطر وطردتم البربر وأنقذتم أنفسكم من عدو لا غرض له من النصر سوى أن يشعل النار فتلتهم كل ما تصل إليه . هيا اذا كنتم شجعانا وأردتم أن تبذلوا جهداً . انى أهيء لكم فرصة للفوز بلا خطر »

وقع هذا الخطاب من الشبان أحسن وقع . قابل كامى حكام اردة وشيوخها فوافقوه الى ما أراد حينئذ سلح كل من يستطيع حمل السلاح وأبقى الجميع داخل المدينة خشية ايقاظ الريبة فى نفوس الاعداء الذين كانوا على مقربة منه . أما الغاليون فبعد أن عاثوا فى البلاد فسادا عادوا بالغنائم الى الحقول وعسكروا في السهل بلا حذر وبغير نظام واطلقوا لشهواتهم العنان فشربوا بلا وعى ، أرخى الليل سدوله وخيم على المعسكر سكوت عميق ولما علم كامى ذلك من المستكشفين خرج فى مقدمة الارديين واجتاز بلا ضجة المسافة التى بينه وبين الغاليين فوصل الى معاقلهم عند منتصف الليل . أمر الجند ان ترسل صيحات عالية من كل جانب وان يدقوا الطبول ليلقى الرعب فى نفوس البربر فلم يكن من هذه الضجة العالية سوى أن اخرجهم بعض الشيء من سباتهم وغفوة سكرهم ولم يتمكن من النهوض سوى قليل ؛ وثب مسرعا الى سلاحه وبرزوا لكامي فهلكوا وهم يقاتلون . أما الباقون الذين استغرقتهم غفوة النوم والسكر فقد ذبحوا جميعاً . وكذلك اللذين هربوا تحت جنح الظلام وتفرقوا في الخلاء فقد

أخذتهم الخيالة في صباح الغد وأعملت فيهم السيف .

سرعان ماانتشر خبر هذا النشر فى جميع المدن المجاورة فرأى كامى الناس يسرعون اليه ذرافات ووحدانا لايطالبون سوى القتال تحت امرته . جاء اليه الرومانيون الذين كانوا في فاييى التى لجأوا اليها بعد هزيمة « أليا » وهم يحدثون أنفسهم فى اسف قائلين ، « أى قائد انتزع القدر من روما . لقد اذاع كامى بانتصاراته سمعة (ارده) اما المدينة التى انجبت وغذت ذلك القائد العظيم فقد ضاعت ولا معين لها . ونحن الذين لم نجد قائدا يقودنا بقينا بين اسوار اجنبية بلا عمل نخون عهد ايطاليا . لماذا لانطب الى الارديين قائدنا ؟ او لماذا لا نتقلد السلاح ونسرع للحاق به ؟ لم يعد كامى منفيا ولانحن وطنيين اذ لم يعد لنا وطن واذ اصبحت روما فى قبضة الاعداء » ،

وقف بهم التفكير عند هـذا الحد ، فاوفدوا الى كامى يرجون اليه تولى القيادة فاجابهم كامى انه لايقبل اختيارهم هذا اذا لم يصادق عليه طبقا للشرائع الوطنيون المحاصرون فى الـكابيتول وانه يرى فيهم مابقيوا « الوطن » وانه مستعد لتنفيذ امرهم ولـكنه لايعمل ضد ارادتهم ، ، اعجبوا بوداعة واخلاص كامى ولـكن المشكلة هى ايجاد شخص يحمل هذا الخبر إلى الـكابيتول ورأوا من المحال ان ينفذ احد الى القلعة والاعداء فى المدينة .

كان بين الشبان رجل يدعى بونتيوس وطنى متوسط الحال ولـكنه شديد الشوق الى المجد . تقدم لحمل هذه المهمة الخطرة . لم يحمل الى الرومانيين المقيمين فى الـكابتول رسائل خشية ان يعلم الاعداء اغراض كامى اذا اخذ . سافر مرتديا ثيابا حقيرة يخفى تحتها قشورا من الالياف سافر طول نهاره بلا عائق وصل بالقرب من روما عند مدخل الليل ولم يستطع اختيار جسر التبر لان البربر كانوا يحرسونه فلف ثيابه على رأسه لم تـكن ثقيلة ولا معطلة والقى بنفسه فى النهر يقطعه سباحة بفضل مالف حول جسمه من الالياف . اجتاز نهر التبر حتى سفح الاسوار

واجتنب الاماكن التى تنبئه النيران والضجيج بيقظة حراسها ؛ وسار حتى بلغ باب كارمنتال حيث كان السكون مخيما . وفي هذا المكان كان جبل الكابيتول مرتفعا عموديا يراه الناظر صخرة ضخمة صعبة المرتقى ، تسلقه فى خفية عن الانظار وتمكن بصعوده السريع الذى عانى فيه الصعاب من الوصول الى طلائع الحراس حياهم وذكر اسمه استقبلوه وساروا به الى الحكام . اجتمع الشيوخ لوقتهم أعلن بونتيوس اليهم خبر انتصار كامى الذى لم يعلموا عنه شيئا واطلعهم على ماقر عليه رأى الجنود وحثهم على تأييد انتخاب كامى بما انه القائد الوحيد الذى يريد الرومانيون الذين فى الخارج طاعة اوامره . قرر مجلس الشيوخ بعد المداولة تعيين كامى حاكما عاما (ديكتاتور) وارسلو اليه بونيتوس من حيث اتى . لقى من التوفيق فى عودته مالقى في رحلته ونقل الى الرومانيين قرار مجلس الشيوخ . تولى كامى القيادة برضى الجميع . كان تحت امرته عشرون الفا من الجنود وحشد عددا اكبر من المحالفين وتهيأ للسير ضد البربر هكذا صار كامى ديكتاتورا للمرة الثانية وسار الى فايى حيث تولى قيادة الرومانيين وجيشا اكثر منهم عددا من المحالفين واستعد لمهاجمة الاعداء

حدث في روما ان بعض رجال البربر اجتازوا الطريق الذى سلكه بونتيوس الى الكابيتول ولاحظوا في جملة اماكن اثار الاقدام والايدى لان بونتيوس كان وهو يتسلق الجبل يمسك بكل ماتصل اليه يده واثار ذلك ظاهرة في الاعشاب النابتة على جدار الجبل وقد انحدرت بضعة من احجارها بلغوا ذلك الى الملك . ذهب اليها بنفسه وتعرف حقيقتها ولم يقل شيئا حينذاك ولكنه عند المساء جمع انشط رجاله ممن يحسنون تسلق الجبال ، وخطبهم قائلا

« ان الاعداء أرونا بانفسهم الطريق المؤدى اليهم ، ولم نكن نعرفه . وارونا انه ليس صعبا ولا عسير المسلك . ويالعارنا اذا كنا بعد أن فزنا بالبداية نضعف

قبل الوصول الى النهاية ! او تركنا المكان كانه مما لا يؤخذ بعد أن ارشدنا الاعداء أنه مما يؤخذ !

حيث سار رجل بمفرده لا يعز على الكثيرين السير اليه جملة الواحد بعد الاخر مساعدين متعاونين على ان المكافآت الحسنة والشرف العظيم يكون جزاء كل منكم على نسبة شجاعته »

عملت خطبة الملك عملها فى النفوس ووعده الغاليون باقتحامه مستبسلين . وفى منتصف الليل بدأوا يتسلقون فى صمت جملة الواحد بعد الاخر آخذين بنوأى الصخور . كان الصعود صعباً ولكنهم وجدوه الطف وأيسر مما كانوا يظنون . بلغ الاوائل قمة الجبل وكانوا على وشك الاستيلاء على المعاقل ومفاجأة الحراس النيام اذ لم يشعر حارس ولا كلب . ولكن كان هناك سرب من الاوز يعنون به حول هيكل جينون ؛ كانوا يطعمونه أيام الرخا اما وقد أصبح الرجال فى حاجة الى الغذاء . اهملوه فكان يتضور جوعا . وهذا الطير دقيق السمع يفزع لاقل حركة وهذه الحيوانات التى أيقظها الجوع وجعل شعورها بالفزع لاقل حركة أشد أثرا أحست بدنو الغاليين . أسرعت اليهم فى صيحات عالية أيقظت جميع الرومانيين . رأى الغاليون ان قد كشف أمرهم ؛ فلم يخشوا احداث أية حركة وهاجموا بلاتردد . أسرع الرومانيون الى أقرب سلاح وصلت اليه أيديهم ووقفوا للعدو وكان مانيليوس وهو قنصل سابق أول من هاجم البربر وكان رجلا متين العضد وافر الشجاعة اعترضه عدوان دفعة واحدة رفع أولهما الفأس ليهشم رأسه فقابله مانيليوس بضربة سيف أطارت ساعده وصدم الاخر بدرعه فألقاه فى الهاوية ثم وقف على السور مع من لحقه يدفع الآخرين من الاعداء ولم يكن عددهم كبيراً وذهبت مخاطرتهم سدى . نهض الرومانيون عند فجر الغد وقد نجوا من الخطر فألقوا الى الاعداء من أعلى الصخر بقائد حرس الليل ومنحوا مانيليوس جزاء انتصاره مكافأة تجمع بين الشرف والفائدة . منحه كل منهم غداء يوم وهو نصف

رطل من حنطة البلاد وربع زجاجة يونانية من الخمر .

فت هـذا الخذلان فى عضد الفاليين و بدت حاجتهم الى المؤونة ومنعهم الخوف من كامى من الخروج للسلب وانتشر المرض فى ذلك الجيش الذى كان يعيش بين أكداس من جثث القتلى واطلال المنازل التى التهمتها النار . وكانت أكوام الرماد التى جففتها حرارة الشمس وأثارتها الرياح تتبخر فتفسد الهواء وتملأ الرئات بسمومها القاتلة . وقد ساعد تبديلهم معيشتهم الأولى مع انتشار العدوى . اعتادوا المقام فى بلاد منكشفة ودارنة الظلال يجدون فى ظلها مأوى لطيفاً من حرارة الصيف وأصبحوا في بلاد منخفضة حارة لاسيا فى فصل الخريف يضاف الى هذه الاسباب طول زمن الحصار ، فقد مضى أكثر من ستة شهور وهم وقوف تحت سفح الكابتول لذلك انتشر الوباء في الجيش وكثر عدد الموتى بحيث لم يعد فى الامكان دفنهم على ان حالة المحاصرين لم تكن أقل خطرا . أخذت المجاعة تشتد بينهم ، وقدفت فى ساعدهم جهلهم حركات كامى . لم يستطع أحد ان ينقل اليهم أعمال كامى ورجاله لان البربر كانوا يشدون الحصار على المدينة

وفي هذه الحالة التى اشتد ويلها على الجانبين بدأت مفاوضات الاتفاق بواسطة محادثات جرت بين الطلائع ومن ثم ذهب سولبسيوس بناء على قرار كبار الوطنيين لمفاوضة برنوس وتم الاتفاق بينهما على ان يدفع الرومانيون الف جنيه ذهبا وزنا وان الفاليين عند استلامها يغادرون المدينة والاراضي . قبل الطرفان الاتفاق واقسما عليه وقدم الذهب فبدا الفاليون يغشون فى الوزن ، بدأوا ذلك خفية بغش الموازين ثم علانية بامالة كفة الميزان . لم يخف الرومانيون استياءهم ولكن برنوس أضاف الى الخيانة الاهانة والسخرية فنزع سيفه ووضعه فى كفة الموازين مع الزرد . سأله سولسيوس مع أى معنى هذا ؟ فاجابه برنوس وأى معنى يمكن ان يكون سوى « الويل للمغلوب » فذهبت هذه الجملة مثلا .

اراد بعد الرومانيين لشدة استيائهم ان يأخذوا الذهب ويعودوا الى

الكابتول للاستمرار فى حالة الحصار ورأى البعض احتمال الاهانة لقلة خطرها قائلين ليس العار ان ندفع اكثر مما وعدنا ولكن العار أن نقهر على الدفع ، وهذه ضرورة مخزية حتمتها علينا الظروف

بينما كان النزاع قائماً بينهم وبين الغاليين ، و بينهم و بين بعضهم كان كامى على رأس جيشه قد وصل الى ابواب روما . ولما علم بما هو جار امر جيشه بالمسير خفيف الخطى حريصاً على النظام اما هو فسار بنخبة جيشه مسرعا وفى لحظة كان بين الرومانيين واذ رآه الجميع تفرقوا واستقبلوه كرئيسهم الاعلى بكل تجلة وفى صمت عميق . اخذ كامى الذهب الذى كانوا يزنونه واعطاه لحراسه وامر الغاليين ان يأخذوا ميزانهم وموازينهم وينصرفوا ثم قال « ان الرومانيين تعلموا من آبائهم ان يشتروا وطنهم بالحديد لابالذهب » انتفض برنوس غضباً وقال هذا ظلم ومخالفة للمعاهدة فاجابه كامى « لم تعمل تلك المعاهدة حسب القوانين والاتفاقات ملغاة . انا المنتخب ديكتاتور فكل سلطة معطلة بامر القانون . لقد تعاقدت مع أناس لاشأن لهم فيجب أن تعرض على أنا مطالبك . لى سلطة القانون . لى أن اصفح عنك اذ توسلت ضارعا ولى أن أعاقبك كمجرم اذا لم تبد الندم .

اغضب برنوس هذا الكلام فتقلد سيفه فجرد الجانبان سيوفهم فبدأت ملحمة عنيفة اختلط فيها الاعداء اختلاطاً لم يكن منه بد بين الخرائب وفى طرق ضيقة لايمكن فيها تنظيم القتال . عاد برنوس الى صوابه وانسحب بجيشه الى معسكره بعد خسائر قليلة ولما جنى الظلام انسحب بجيشه مغادرا روما وعسكر على مسافة ستين غلوة بالقرب من طريق جابى . وفي مطلع الفجر كان كامى هنالك متقلدا سلاحه اللامع يتبعه الرومانيون . وقد عادت اليهم الثقة بانفسهم نشبت هناك معركة طويلة شاقة . تمكن كامى فيها من تمزيق شمل الاعداء وأوقع بهم هزيمة تامة واستولى على معسكرهم وكان نصيب الهاربين الذبح اذ تعقبهم

الثائرون من الرومانيين اما الذين تفرقوا في الخلاء والمزارع فقد تولى سكان القرى والمدن المجاورة ابادتهم

هكذا اخذت روما بكيفية غريبة وأعيدت بكيفية اشد غرابة وقد بقيت في ايدى البربر سبعة شهور كاملة . وصلوها فى (ايد كانيلين) وطردوا منها نحو (ايد) فبراير .

فاز كامى باكليل النصر ولا اقل منها لرجل انتزع وطنه من ايدى الاعداء واعاد روما ذاتها لان الوطنيين الذين غادروها بنسائهم واولادهم عادوا اليها فى اثر المنتصر . وقد خرج الذين كانوا في الكابتول لاستقباله . وقد كاد الجوع يقتلهم فكانوا يعانقون بعضهم البعض وهم يذرفون دموع الفرح لا يصدقون هذه السعادة التى لم تكن منتظرة وكان الكهنة وسدنة الهياكل يحملون الاشياء المقدسة التى اخفوها قبل الفرار أو احتملوها معهم وكان أكرم وأقدس مشهد في نظر الوطنيين ، خيل لمن شهد احتفاء الشعب باستقبالهم كان الآلهة ذاتهم يدخلون الى روما معهم . قدم كامى الضحايا وطهر المدينة برسوم أملاها عليه الاحبار ثم أصلح الهياكل و بنى عدا الموجود منها هيكلا ايوس لوكتيوس (١) فى المكان الذى سمع فيه ماركوس سديتيوس ذلك الصوت الالهى الذى انبأه بقدوم البربر . لم تكن معرفة اماكن الهياكل من الامور الهينة لولا مسابرة كامى وعناية الكهنة و بحثهم الدقيق

ولما جاءت مسالة أعادة نياز المدينة التى عمها الخراب . أستولى الخول على العقول وخارت العزائم امام هذه المهمة . اخذ الشعب الذى كانت تعوزه جميع حاجاته الضروريه فى التسويف يوما بعد يوم

وكان القوم بعد ما الم بهم من النكبات فى حاجة الى شيء من الراحة فقد ذهبت اموالهم ، وضعفت اجسامهم فترددوا فى القيام بهذه الاعمال وانهاك قواهم اكثر مما هى عليه ثم اخذت الافكار تتحول الى ماكانت عليه من الاتجاه

(١) اسم مؤلف من كلمتين . القول والكلام

الى فابلان هذه المدينة لم تمس ببوء وتعيش في رغد . انتهز زعماء الشعب هذه الفرصة وجعلوا منها مادة خطب وتحريضات جديدة وجعلوا كامى هدفا لهجماتهم الاثيمة وهى لم تكن فى عرفهم سوى ان كامى يأبى على الوطنيين مدينة مستعدة لاستقبالهم لغير شيء سوى اشباع شهوته لرفعة مجده الشخصى ، وانه يكرههم على سكن الاطلال الباليه واثارة رماد تلك المحرقة الواسعة حتى لا يقال عنه فقط انه رئيس وقائد الرومانيين بل ومؤسس روما ، ولينتزع هذا اللقب من رومولوس خشى مجلس الشيوخ حدوث انقلابات فخالف القوانين بالرغم من الحاح كامى وكانت تقضى الا تزيد مدة الديكتاتورية عن ستة شهور فلم يقبل أن يقيل الديكتاتور قبل نهاية السنة

أخذ الشيوخ يلاطفون الوطنيين ويعزونهم ويستميلونهم بالاقناع والملاينة فكانوا يرونهم آثار ومقابر آبائهم ويذكرونهم بتلك الهياكل والاماكن المقدسة التى قدسها رومولوس ونوما وغيرهما من الملوك واصبحت وديعة بين ايديهم اما الادلة المدنية التى كانوا يدللون بها فهى تلك الرأس البشرية التى وجدوها حديثا وهم يحفرون اساس الكابتول فهى وعد من الاقدار للمدينة التى ستبنى فى هذا المكان بان تكون يوما ما عاصمة جميع ايطاليا ونارفستا المقدسة التى اوقدتها الكاهنات بعد الحرب وهم يريدون اطفاءها مرة ثانية بتركهم المدينة روما هذه التى ستكون عارا عليهم لوجاء شعب آخر وأقام فيها مدينة تحت انظارهم او بقيت خرابا ترعى فيها الماشية هذه هى الاقوال المؤثرة التى كانوا يوجهونها لكل وطنى على حده والتى كانوا يكررونها امام الجميع فى الحفلات والاجتماعات ولكنهم كانوا من جهة أخرى متاثرين يرثون لبؤس ذلك الشعب الذى يبكى لفاقته ويضرع اليهم ان لا يرهقوا اناسا نجوا من غرق عريانين ولا معين لهم باقامة انقاض مدينة مهدمة فى حين وجود مدينة اخرى تصلح لسكناهم

رأى كامى أن يبدى مجلس الشيوخ رأيه فى هذه المسألة والقى فى المجلس

خطابا مستفيضا عرض فيه مصلحة البلاد . ثم سمع المجلس اقوال من اراد الكلام من الشيوخ . وشرع فى اخذ الاصوات مبتدئين بلسو يوس كركراتيوس الذى جرت العادة ان يكون اول المصوتين . ثم يبدى كل رايه حسب درجته . خيم السكوت على المجلس ، ونهض كركراتيوس للكلام واذا بالضابط المتولى حراسة النهار مار بجنده صدفة يصيح بصوت عال مخاطبا حامل العلم ، قف واغرس العلم هنا ثم قال « مكان بديع لنبقى هنا » عند سماع هذه الكلمات وهى اشبه مايكونه بمقتضى الحال وموضوع المباحثة والحيرة التى تقسمت النفوس ، كان لوكراتيوس يعبد الالهه (من المؤمنين) فقال وقال معه بقية الشيوخ ان رأيه رأى الوحى الذى سمعه . حدث فى ارادة الشعب تغير عجيب . اخذ يحرض بعضهم البعض عن العمل برغبة وحماسة غير منتظرين لتخطيط الشوارع بل كان كل منهم يبنى فى المكان الذى يراه ملائما .

اندفع القوم فى العمل لهجة ناهضة غير مبالين بتقسيم الطرق وساحة المبانى فلم تمض سنة حتى برزت المدينة كاملة البناء ، اسوارها ومنازل افرادها . اما الذين امرهم كامى بالبحث عن الاماكن المقدسة والكشف عن حدودها فقد طافوا حول (بالاتيوم) و وصلوا الى هيكل مارس . القواهذا المعبد كغيره تماخرب به واحرقه البربر ، ولكنهم وجدوا وهم يرفعون الانقاض تحت كومة رماد عصا روموليوس الرمزية . وهو قضيب محنى من أحد طرفيه يدعى لبيتوس

وكان يستخدم لتعين الاقطار السماوية عند اخذ الوحى فى هذا كان يستعمله روموليوس ، ذلك الامير الضايع فى علوم العرافه . ولما اختفى روموليوس واخذ الكهنة الليتوس وعنوا بصيانته

عناية دينية لا يسمحون بمسه . شأنه شأن الاشياء المقدسة (٠) فرحوا لوجوده فرحا عظيما اذ لم تلتهمه النار كما التهمت سواه ورأوا فيه فاتحة أمل عظيم لسعادة روما ورأوا فيه اشارة تبشر المدينة بالخلود

لم تكن تلك الاعمال قد بلغت تمامها حتى فوجىء القوم بحرب جديدة ذلك أن الابكيين والفولسكيين واللاتينيين أغاروا بسلاحهم على أراضى روما . حاصر الاترسكيون سوتريوم وهى مدينة مخالفة للرومانيين وحاصر اللاتينيون القواد الذين أقاموا جيشهم على مقربة من جبل مارسيوس واذا رأوا أنفسهم فى خطر ارسلوا يستنجدون روما فعين كامى ديكتاتورا المرة الثالثة.

ولهذه الحرب روايتان مختلفتان . أبدأ بالخرافية منهما . يروى أن اللاتينيين أرادوا التذرع بحجة ما لقطع علاقاتهم مع الرومانيين أو أنهم أرادوا كما فعلوا سابقا ان يتصلوا معهم بمصاهرة جديدة . أرسلوا اليهم يطلبون زوجات من الفتيات الاحرار . صار الرومانيون فى الامر ولم يكونوا قد استراحوا بعد من المشاق والخسائر . فكانوا يخشون الحرب . وداخلتهم من جهة أخرى الريبة في أن اللاتينيين لم يقصدوا بهذا الطلب سوى الحصول على رهائن وما كانة المصاهرة سوى غطاء يسترون به عرضهم . تقدمت عبدة تدعى توتولا و يدعوها البعض (فيلوتيس) الى الزعماء الحربيين بنصيحة أن يرسلوها مع طائفة من العبدات الحسان في فتيات كريمات البيوت وان يعتمدوا عليها فيما بقى . قبل الحكام اقتراحها وانتخبوا العدد الذى أرادته عن زميلاتها وافرغوا عليهن افخر الثياب وزانوهن بالحلى الذهبية . وسلموهن الى اللاتينيين المعسكرين غير بعيد عن المدينة أسرعت هذه النساء الى جمع سلاح الاعداء وصعدت توتولا أوفيلوتيس الى قمة شجرة تين برية وأسدلت خلفها ملاءة ورفعت نحو روما مشعلا موقدا. وكانت هذه علامة اتفقت عليها مع الحكام على غير علم الوطنيين .لذلك حدث اضطراب عند خروج الجند مساء على أمر الزعماء . فكانوا يدعون بعضهم البعض و بكل مشقة وصلوا الى تنظيم صنوف القتال ومهما يكن الامر فقد انقضوا على مواقع الاعداء ولم يكن هؤلاء يتوقعون ذلك بل كانوا نياما . فاستولوا على معسكرهم وذبحوا منهم خلقا

كثيراً .وقع هذا الحادث في يوم عذارى يوليو المعروف بعذارى (كنتليس) ولا زالوا حتى اليوم يقيمونه في روما عيدا تذكاريا . يخرج فيه الرومانيون في شيء من الاضطراب، يلفظون أشهر الاسماء الرومانية بصوت عال . مثل كايوس ،ماركوس، لوسيوس،وغيرها يقلدون خروج الجند وهم يدعون بعضهم البعض باسمائهم ثم تخرج العبدات في ثياب فخمة تطوف المدينة في مرح ترمى كل من تقابله بسوار ثم تقمن فيما بينهن نوعا من القتال اظهاراً لنصيبهن في مقاتلة اللاتينيين . ثم تجلس تحت ظلال اشجار التين حيث تقدم لهن ولمة . و يدعى هذا اليوم بيوم عذارى كابراتين وهو اسم مشتق على ما يظن من اسم شجرة التين البرى التى اعتلتها العبدة رافعة المشعل وذلك لان شجرة التين البرية تدعى كابريفيكس في لغة الرومانيين -ويزعم البعض أن ما يقال و يعمل في هذا العيد انما هو اشارة الى اختفاء روولوس . والحقيقة أنه اختفى في ذلك اليوم إبان عاصفة هبت فجأة صحبها ظلام حالك .أو كما يظن البعض اثناء خسوف الشمس ويكون اسم عذارى كبراتين المطلق على هذا اليوم مشتق من (كابرا) وهذا اسم لاتيني للعنزة لان رومولوس اختفى وهو يعقد جاسة شعبية بالقرب من غدير العنزة كما ذكرت ذلك في «حياته .»

أما الرواية الثانية التى أجمع عليها أكثر المؤرخين فهى علم كامى وهو ديكتاتور المرة الثالثة أن اللاتينيين والفولسكين حاصروا جيش الشعب الحربيين في معسكره فاخطر لتجنيد جيش كبير حتى ممن تجاوزوا سن الجندية وقطع دائرة طويلة حول جبل مارسيوس وعسكر بجنده خلف العدو دون ان يراه . وأوقد نارا ليعلم المحاصرين بحضوره . فاعاد هذا المشهد الشجاعة الى قلوبهم واعتزموا الخروج لمهاجمة العدو. ولكن اللاتنيين والفولسكيين بقوا في معسكرهم وخضعوا جميع جوانبه وتربصوا في مكانهم اذ رأوا أنفسهم بين جيشين وعولوا على انتظار جيش من يلوهم أومساعدة الاتروسكيين. أدرك كامى غرضهم وخشى أن يحاصر هو أيضاً فتعجل الحوادث كانت معاقل الاعداء من الخشب و كانت تهب كل

صباح رياح شديدة من الجبال . أعد كامى كمية وافرة من الحرامات . وأمر جيشه بالاستعداد عند الصباح . وأمر جزءا من رجاله أن يستخدم النشاب وأن يهاجم العدو من جانب صايحا صيحات عالية أما هو فبقى مع حملة الثيرات فى المكان الذى تهب منه الرياح وانتظر الفرصة الملائمة . نشب القتال فى الجهة الاخرى وهبت الرياح عند طلوع الشمس بشدة . وعند ذلك أمر كامى رجاله ان يقذفوا السهوم النارية اشتعلت النار بالاوتاد المتلاصقة التى تحميها أخشاب أخرى خلفية امتدت النار بسرعة الى جميع الحظيرة ولم يكن لدى اللاتينيين ما يرمونهم به ولا ما يقفون به تقدمهم فالتهمت النار المعسكر كل تجمعوا أولا فى مكان ضيق ثم اضطروا الى الخروج فلقيهم جيش مصطف للقتال أمام معاقلهم . ولم يبح سوى القليل اما الباقون فقد التهمتهم النار اخذ الرمانيون بعد ذلك فى اطفائها واطلقوا يدهم فى السلب والنهب .

ولما فرغ كامى من هذا عهد الى ابنه لوسيوس في قياة المعسكر وحراسة الاسرى والغنائم . ودخل اراضى الاعداء واستولى على مدينة الايكيين واكره الفولسكيين على التسليم . ثم اسرع بجيشه الى سوتريوم لانه لم يكن يعلم بعد نكبة السوتويين . واهما ان المدينة لم تكن فى حاجة الا الى نجدة سريعة وان الاترسكيين يحاصرونها ويخشى استيلائهم عليها . ولكن السوتريين كانوا قد سلموا المدينة الى الاترسكيين فجردوهم من كل شىء لم يتركوا لهم سوى ثيابهم . فقابلوا كامى هم ونساؤهم وأطفالهم ليكون ماحل بهم من الويلات . رثى كامى لحالهم ورأى الرومانيين يبكون رحمة وعطفا على السوتريين فعول على ان لايؤجل الانتقام لهم وان يسير فى اليوم ذاته الى سوتريوم قائلا في نفسه ان اناسا استولوا على مدينة غنية عظيمة لم يبقوا فيها عدوا واحدا ولا يخشون احدا من الخارج لا بد من ان يكونوا الآن منصرفين الى اللهو واللعب فى غير حذر دخل ابوابها لم يخطىء فى حدسه . ولم يدخل فقط أرض سوتريوم بل وتجاوز اسوارها دون ان يشعر به

أحد منهم . لم تكن هناك حراس بل كان الاتروسكيون متفرقين فى كل ناحية يلهون ويمرحون . ما افاقوا حتى راوا العدو مسيطرا على المدينة . كان قد بلغ بهم المرح والخمر حتى لم يفكر احد منهم في الحرب. فاستسلموا معه بكل خزى للقتل او التسليم بلا دفاع . وهكذا اخذت سوتريوم مرتين فى يوم واحد . طرد منها الذين استولوا عليها . واستعادها الذين طردوا منها بفضل كامى

لم تكسبه الحملتان الاخيرتان من المجد والاجلال أقل مما فاز به في الحملتين السابقتين لم يجد اليه اعدائه حتى الذين كانوا ينسبون انتصاراته الى القدر لا الى فضله لم يجد هؤلاء بدا من الاعتراف امام الواقع بفضله وتقدير خبرته وحكمه وكفاية حق قدرها . وانه وحده صاحب تلك الانتصارات . كان ماركوس مانيلوس اشد اعدائه صراحة وحسدا وهو أول من رد غارة السليتيين فى العلقة ليلة تسلقوا جدران الكابتول وكوفىء على ذلك بلقب (كابيتولينوس) اراد مافيلوس ان يكون الاول بين مواطنيه واذا لم يستطع التفوق على كامى بطرق شريفة عمد الى سبيل الذين يطمحون الى السيادة : كان يجتذب اليه (المثقلين بالديون) بان تولى الدفاع عنهم ضد دائنيهم فى المحاكم وكان ينزع المدين بالقوة من دائنيه مع ان القوانين تقضى باستعباده لدائنيه . لذلك التفت حوله عصابة من البؤساء ازعجوا كبارالوطنية فى جلسات (الفوروم) انتخب كنتوس كابيتيولوس ديكتاتورا فى هذه الاثناء فامر بسجن مانيليوس . ولكن الشعب لبس الحداد وهى حالة لاتحدث الا عند المصائب الكبرى العامة . خشى مجلس الشيوخ الفتنة فاطلق صراحه و بدل ان يخرج من السجن خيرا مما كان اثار الشعب في محنة أشد خطر وملأ المدينة فتنة

انتخب كامى زعيما حربيا : وقدم ماتيلوس للمحاكمة ولكن منظر الكابتول كان قذى فى عيون المدعين اذ كانوا يرون من الفوروم المكان الذى قاتل فيه مانيلوس السلتيين ليلا . وكان هو يمد يده الى العلقة وعيناه مغرورقتان بالدموع

يد كرالرومانين بمواقعه . كان جميع الحضور يعطفون عليه والخطر القضاة غير مرة الى تأجيل الفصل فى امره . لايستطيعون تبريئه والتهمة ثابتة عليه . ولا يستطيعون الحكم عليه لازال الكابتول يمثل امام عيونهم خدمات مانلوس ، ادرك كامى هذه الحالة فنقل المحكمة خارج المدينة فى غابة باثليان حيث لايرى الكابتول . وهناك نهض المدعى فاثبت التهمة ورأى القضاة ولم يكن هناك مايذكرهم بخدمات مانيليوس فاخذه بجزيرة وحكموا عليه بالموت فقادوه الى الكابتول وقذفوا به من اعلى الصخر فكان شاهد مصرعه كما شهد عمله الجليل . هدم الرومانيون منزله وبنوا مكانه هيكلا للالهة مونتيا واصدروا امرا يحرم على (الباترسن) الاشراف السكنى فى جبل الكابتول .

دعى كامى للمرة السادسة الى الزعامة الحربية فابى قبولها لتقدمه فى السن ولانه خشى بعد مااحرزه من النصر والمجد شر الحسد أوانقلاب الحظ . وكان أظهر اسباب امتناعه ضعف صحته اذ كان مريضا . ولكن الشعب لم يقبل عذره صائحا انا لانلزم القتال راجلا أوراكبا انما نريد الاستعانة بنصائحه فى القتال . فاضطر لتولى قيادة الجيوش ، يعاونه لوسيوس فوريوس احد زملائه . قاد الجيش لمواجهة الاعداء فاهم البرنستيون والفولسكيون ، عاثوا بجيش عرمرم في اراضى حلفاء الرومانيين . سار كامى اليهم وعسكر على مقربة من معسكر العدو وقصد الى التسويف حتى اذا حانت ساعة القتال يكون قد استرد قواه واستطاع خوض المعركة . ولكن زميله لوسيوس كان يلتهب شوقا الى المجد ولم يستطع الانتظار وامتدت شهوته الى جميع الرؤساء من ضابط وحملة رماح وخشي كامى ان يتهم بحرمان الشبيبة حسدا من فرصة ينتصرون فيها ويظهرون تفوقهم وكفايتهم .فسمح لـكوسيوس فى اسف بالتقدم للقتال ولزم هو معسكره مع قليل من الجند .

هاجم لسيوس الاعداء هجمة عنيفة ولكن اضطر للتقهقر . رأى كامى الرومانيين قد لازموا بالفرار فلم يطق صبراً فقفز من فراشه و اسرع بمن معه من

الجند الى أبواب المعسكر واخترق صفوف الفاريين وهاجموا مطارديهم فارتد الرومانيون الذين بلغوا المعسكر على اعقابهم وانضموا الى كامى وانضم اليه الفارون الذين كانوا في السهل وانتظموا في صفوف القتال يحرض بعضهم البعض الا يتركوا قائدهم . وقت الاعداء فى ذلك اليوم طرادهم وفى الغد تقدم اليهم كامى بجيشه وما زال يعمل فيهم السيف حتى ألجأهم إلى الفرار . دخل معسكرهم مع الهاربين ولم ينج من سيفهم احد . علم بعد انتصاره أن الاتروسكين استولوا على (ساتريا) وقتلوا جميع أهلها وهم رومانيون . فارسل إلى روما المشاة والذخيرة وسار فى نخبة رجاله الى الاتروسكيين الذين احتلوا ساتريا . هزم الأعداء وطردهم من المدينة بعد أن هلك الكثيرون منهم فى القتال . عاد كامى إلى روما يحمل الغنائم فكان برهانا قاطعاً على أنه احكم الشعوب شعب لا يخشى كبر سن أو ضعف قائد عرف بالخبرة والبسالة يؤثرونه مهما يكن مريضاً ومهما تكن رغبته فى الامتناع ، على جماعة الشبان الذين يطلبون القيادة و يبذلون كل جهد للحصول عليها .

علم الرومانيون بثورة التوسكوليين فعهدوا الى كامى أيضاً فى معاقبتهم تاركين له حرية اختيار من يريده من زملائه الخمس . وكان كل منهم يرجوا ملحاً ان يكون المختار . ولكن كامى على غير ماكان ينتظر الجميع ترك الكل واختار لوسيوس فورسيوس الذى خلفه قبلا وقام بتلك الحملة الشعواء . وكان كامى أراد بذلك أن يقدم لفوريوس فرصة يصلح فيها خطأه ويمحوا عاره . استولى الرعب على التوسكوليين اذ علموا بقدوم كامى فعمدوا إلى الحيلة يسترون بها خطاهم نشروا الزراع والرعاة في الحقول يحرثون الارض ويرعون الماشية شأنهم فى وقت السلم ، وابقوا أبواب المدينة مفتوحة . وارسلوا ابناءها على عادتهم الى المدارس واخذ الصناع يعملون فى مصانعهم فى طمأنينة ومشى الناس فى طرقات المدينة بثيابهم العادية وكان الحكام مسرعين هنا وهناك كأنهم يهيئون

المساكن للرومانيين، وكأنهم لا يخشون امراً ولا موضع للريبة فيهم . لم تذهب هذه المظاهرة بما كان يعتقده كامي من اضمارهم الثورة . ولكنه تأثر بما بدأ من مظاهر الندم والنكران . فأمرهم بالرحيل إلى مجلس الشيوخ ليتقوا غضبه عليهم . أيد رجاءهم وابرأ مدينتهم من التهمة وحصل لهم على حقوق المدينة الرومانية . هذه اهم اعماله مدة زعامته السادسة .

احدث بعد ذلك ليسينيوس ستولون فتنة شديدة في روما محرضاً الشعب ضد مجلس الشيوخ . اراد الشعب أن يكون أحد القنصلين المنتخبين من الشعب (السوقة) بدل أن يكون من الاشراف. جرى انتخاب زعماء الشعب ومن ثم منع الشعب اجراء الاقتراع لانتخاب القنصلين . فاوشكت المدينة لعدم وجود الحكام تعمها الفوضى . عين مجلس الشيوخ كاميا ديكتاتوراً للمرة الرابعة . وكان ذلك ضد إرادة الشعب على أنه لم يقبل هذا المنصب الا بعد عناء . لم يرغب فى مقابلة رجال يقولون له بحق لعد تلك الانتصارات ان ماقام به في الحروب بمعونتهم شيء آخر يختلف عن جميع الاعمال السياسية التى عاونه فيها الاشراف . وكان يشعر ان الاشراف لم ينتخبوه إلا لأنه بغض الى الشعب ولكن يوقعوه بين أمرين أما أن يبقى نيزهم على الشعب اذا انتصر واما أن يلاشى نفسه اذا انتصر الشعب عليه . حاول ان يجد حلا لهذه المعضلة على اليوم الذى حدده زعماء الشعب لتقرير قانونهم فامر أن تحشد الجيوش في ذلك اليوم ودعا الشعب أن يترك الفوروم ويذهب إلى حقل مارس . مهدداً بايقاع غرامة على كل من يخالف امره . قابل الزعماء التهديد بالتهديد واقسموا ان يحكموا عليه اذا اصر على منع الشعب من تقرير مشروعه بغرامة خمسين الف اس . انسحب كامي الى منزله خوفا من نفى جديد أو حكم بان يصدر عليه مما يشين شيخا مثله اشتهر باعماله الحربية أوهو رأى فى نفسه عدم الكفاية لمقاومة رغبات الجمهور و بعد التزامه منزله بايام اعتذر باعتلال صحته وقدم استقالته

من الديكتاتورية عين مجلس الشيوخ خلفاً له فاختار الخلف ستولون رغم الشعب قائداً للفرسان واباح له تنفيذ قانون يثير غضب الاشراف وهو قانون يحرم على أي وطني امتلاك أكثر من خمسماية ذراعاً من الارض . انتفخت أوداج ستولون بهذا الفوز ، ولكن ثبت عليه بعد قليل أنه هو يملك من الاراضي أكثر مما يبيحه للآخرين فذهب ضحية قانونه .

بقيت بعد ذلك مسألة الاقتراع على القنصلين الشغل الشاغل وهم أسباب الفتنة واحتقد العقد . استمر النزاع قائماً بين الشيوخ والشعب زمناً طويلا علم اثناءه من مصدر ثقة أن السلتيين اجتازوا للمرة الثانية بحر الادرياتيك وهم سائرون يسرعون الخطى إلى روما في جيش ضخم . سرعان ماأيدت الحوادث الاشياء ابتدأت الحرب بما نزل بالبلاد من العطب والخراب وتشتت في الجبال من لم يستطع الانسحاب الى روما . أخمد الخوف الفتنة واجتمع الشيوخ والشعب أمام الخطر وعينوا بالاجماع كامى ديكتاتوراً للمرة الخامسة . وبالرغم من شيخوخته (اذا كان في الثمانين) ولم يبد عذراً ولا اعتل بعلته بل اسرع في قبول الديكتاتورية بلا تردد غير ناظر الا الى ضرورة الحال ، اسرع بالتجنيد واذ كان يعلم بالاختيار ان اشد قوى البربرهي سيوفهم الثقيلة يديرونها في غير مهارة فقطم الاكتاف والرؤوس سلح معظم جيشه بخوذات من الحديد المصقول تنزلق عليه سيوفها الغالبين او تتحطم . ولم يكن خشب دروع الرومانيين من المتانة بحيث يحتمل الصدمات فطوقها باطواق من النحاس . ومن ثم علم الجند استخدام الرماح الطويلة يزلقونها تحت سيوف الاعداء وفقاً لضرباتهم التي يرسلوها من فوق .

وقف السلتيون على مقربة من روما عند شاطىء انيو وكان معسكرهم ممتلئا من الغنائم التي أحرزوها . خرج كامى بجيشه وعسكر على تل ناعم المرتقى تتخلله المغاور اختفى فيها معظم جيشه حتى يظهر الباقون فوق التل في هيئة المستسلم الخائف المعتصم بالمرتفعات . ولكي يدخل كامى هذا الوهم في

نفوس الاعداء لم يمنعهم السلب حتى فى سفح النل و بقى هو هاديا فى معاقله الحصينة . واذ رأى الأعداء قد تفرقوا البعض لاحضار العلف والباقون يلهون و يسكرون انتهز الفرصة وأرسل جنوده الخفيفة يهاجمون البربر و يقاتلون كل من يلقونه ليمنعوهم التجمع والاصطفاف للقتال . ولما بزغ النهار نزل الى السهل وصف مشاته للقتال كثيرة العدد ممتلئة حماساً لا كما توهمها البربر قليلة العدد خائرة القوى .

خفض السلتيون بعد هذا الهجوم من كبريائهم وشعروا أن القوم لا يرهبونهم . بدأت القوات الخفيفة التى كانت تأخذهم دراكا وتمنعهم الانتظام في صفوف القتال فاوقعت بهم الفشل وأكرهتهم على القتال في غير نظام فكأن كل منهم يقاتل فى المكان الذى دفعته اليه الصدفة . وأخيراً تقدم كامى بجيشه فانهال البربر على الرومانيين بسيوفهم الطويلة وقاتلهم هؤلاء برماحهم الطويلة معرضين لضرباتهم أجساما يغشاها الحديد فكانت سيوف البربر وهى من الحديد غير المسقى رقيقة الحدين تتحطم وتتثنى وقد انغرست في دروعهم الرماح فكانت حملا ثقيلا عليهم . تركوا سلاحهم وهجموا يختطفون من الرومانيين رماحهم . واذ رآهم الرومانيون يتقومون عزلا عمدوا الى سيوفهم وذبحوا الصفوف الاولى منهم . وأسرع الباقون الى الفرار مشتتين في السهل لان كامى كان سبقه فاحتل التلال والمرتفعات وقد علموا أن العدو قد استولى حتما على معسكرهم . ويقال إن هذه المعركة وقعت السنة الثالثة عشر بعد استيلائهم على روما . تعلم الرومانيون فى هذه المعركة أن يواجهوا السلتيين في عزم وثبات . لان فزعهم من أولئك البربر كان قد تمكن من نفوسهم الى درجة عزوا أكبر الفضل فى هزيمتهم الاولى الى الاوباء والامراض التى فتكت بهم لا الى شجاعتهم هم . يشهد بفرط خوفهم القانون الذى قرر ودباعفاء الكهنة من الخدمة الحربية الا فى محاربة السلتيين.

كانت هذه الموقعة آخر مواقع كامى لانه ما ظهر حتى استولى على فالبير بلا قتال ولكن المشاكل السياسية كانت تخبيء له صراعا عنيفا كثير المخاطر . اشتد ساعد الشعب بهذا النصر فألح بالرغم من القانون القائم ان ينتخب أحد القنصلين من الشعب . وكان الشيوخ يقاومونه بشدة . وحرموا على كامى الاستقالة من الدكتاتورية آملين أن يساعدهم مقامهم فى حماية امتيازات الاشراف . حدث يوما اذ كان كامى يقضى في الفوروم ان تقدم اليه جلاد موقد من قبل زعماء الشعب وأمره أن يتبعه موضعاً عليه يده كأنه يقوده بالقوة . فحدث شغب بين الحاضرين لم يسبق له مثيل . دافع الذين حول كامى ذلك الرسول الى ما وراء المحكمة ولكن الشعب كان يصيح أن ينزع الديكتاتور .

حار كامى فى أمره ازاء هذا الموقف ولكنه لم يشتغل بل سار ومن معه من الشيوخ الى مجلس الشيوخ . وقبل ان يدخل حول وجهه الى الكابيتول وتضرع للآلهة ان تجعل خاتمة هذا الشقاق المشؤم خيرا وانذر لو انتهى الخصام ان يقيم هيكلا (للوفاق) (كونلوكرد) احدث تباين الآراء فى المجلس جدلا عنيفاً . ثم تقلبت روح الاعتدال فأجيب الشعب الى طلبه . وسمح له بانتخاب احد القنصلين من الشعب . أعلن الديكتاتور فى جلسة الشعب قرار المجلس . فكان بطبيعة الحال فرح الشعب عظيما جداً وتصالح مع الشيوخ وساروا بكامى الى منزله بين الهتاف والتهليل والتصفيق . اجتمعوا فى اليوم التالى وقرروا اقامة هيكل للوفاق فى مكان يطل على الفوروم ومحل الاقتراع وفاء بنذر كامى وتخليداً لذكرى الصلح وان يقاسى يوما الى أيام الاعياد اللاتينية يحتفى بها مدة أربعة أيام . وان يذهب الجميع لفورهم يقدمون الضحايا للآلهة فى حفلة يحضرها جميع الرومانيين تتوج رؤسهم أكاليل الزهر .

تولى كامى رياسة حفلة انتخاب القنصلين فكان ماركوس اميليوس عن

الاشراف ولوسيوس سيكتيوس عن الشعب وهو أول قنصل اختير من العامة .
أصيبت روما في السنة التالية بوباء الطاعون فقضي على كثيرين من الشعب أفنى جميع الحكام تقريباً . وقضى به كامى ولئن كان كبير السن وحياته ملأى بما لم تناله حياة أى انسان غير ان الحزن لوفاته كان عاما عميقا لاتعدله وفاة جميع من ذهبوا ضحية ذلك الوباء .

الموازنة بين تيميستوكل و بين كامى لاتوجد

بركلس

رأى قيصر جماعة من سراة الاجانب فى مدينة روما يحملون كلابا وقردة صغيرة يداعبونها فسأل الأتلد نساء هؤلاء : عبارة ملكية تشف عن تقريع اولئك الذين يخصون الحيوانات بتلك العاطفة التى اودعتها الطبيعة فلو بنا وجعلتها خصيصة للناس اذا كانت نفسنا تواقة بطبيعتها للمعرفة افلا يكون من الصواب ان نلوم اولئك الذين يسيئون الى هذه الحالة النفسية بتحويلها الى مالايليق بعنايتنا واهتمامنا متعامين عن الجميل منا والنافع حقا ؟ ان الحراس تتأثر بملامسة الاشياء الخارجية وعليه يكون من الضرورى ان يقف امامها متأثرة بما يمسها نافعا كان أو غير نافع .

اما الفطنة فمن السهل اذا اردنا استخدامها ان نوجهها الى مايرضينا من الاغراض او نحولها عنه . فالواجب المتعين علينا هو أن نقتفى اثر الاحسن والافضل ولايكفى ان نتأمل الغرض بل يجب ان نكون له مادة النظر انما هى مزيج من اللطافه والجاذبية : فلنتخير لعقولنا مناظر بهجة تقودها الى الحسن الخاص بها . كالاعمال الفاضله التى تثير فيها القدرة الصالحة وتحملنا على الاقتداء بها على أن اعجابنا بالشىء لايحملنا دائما على الاتيان بمثله فقد نعجب بالعمل ونحتقر العامل تسرنا الروائح الذكية ورؤية الارجوان ولكننا نضع صناعهما فى مهنة العمال . وهذا ماقصه اليه من عبارته التالية التى لاتخلو من معنى . اثنى امامه على أسمانياس بان يحذق اللعب على المزمار . فقال « حسن الا انه رجل لايصلح لشيء والالما كان زمارا حاذقا . » وحدث ان اسكندر وقع على العود نغمات شجية توقيع خبير فنان فقال له فيليب . « الا تخجل من ان تحسن التوقيع هذا الاحسان . » .

الحقيقةانه كفى ان يشرف الملك المغنيين بالاصغاء اليهم اذا لم سمعت له شواغله وكفاه تكريما لالهة الشعر ان يشهد تحاملها .

كل عمل صناعى يدلنا ان كل من يشتغل بعمل غير نافع لايعنى بالجمال الحقيقى . فمامن شاب طيب المنبت يحس لمجرد رميته جو بيز يز او جومون ارغوس بالرغبة فى ان يكون فيدياى أو بوليكاييت ؛ او ان يكون انا كريون او فيلامون او ارخيلوك اذا طالع قصدهم بشهية ولذوليس من الحتم ان يحملنا الاعجاب بعمل رقته ودقته على احترام منشئيه . فلا يفيد الناظر الى بدائع الاعمال شيئا اذا لم تحدث فيه الرغبة فى النسج على منوالها . اما الفضيلة فأثرها فينا مباشر وهو على العكس من ذلك . نعجب بالمثل الاعلى ونحسن الرغبة فى الاقتداء باصحابها . نحب من الثروة أمتلاكها والتمتع بها ونحب من الفضيلة الجرى على سنن الفضيلة ذاتها لذلك نوثر أن ننال حسنات الثروة من الغير ونحب ان نأخذ الغير عنا حسنات الفضائل . ان الجمال يجتذبنا اليه بقوة تحدث فينا همة ناهضة ليست غريزة التقليد بل هى الفطنة يجتذبها ماتحدثه فينا مشاهدة الجمال من اثر يدفعها الى العمل.

هذا مادعانى الى الاستمرار في كتاب سيد العظماء واضع هذا المؤلف العاشر الذى يضم حياة بركليس وما كسيموس الذى حارب هينبال : رجلان فضائلهما واحدة واخلاقهما واحدة كلاهما عادل وكلاهما صبور احتمل صنوف التعب وزملائه . وكلاهما ادى لوطنه اجل الخدم . ايحق لنا التقريب بينهما على هذا النحو ؟ هذا مايتضح من سرد سيرة كل منهما .

بركليس من قبيلة اكامنتيد من قرية شولارج وهو من جهتى والده ووالدته سليل أسرة عظيمة عريقة . نزوج أكزاتيب الذى قهر قواد ملك الفرس فى ميكاد ، من اجارست سليلة كليستين الذى طرد البزيستراتين وقضى على الاستبداد وسن الشرايع واعاد الى اثينا الوئام والطمأنينة بما ادخله الى الحكومة من الاصلاحات المحكمة . حلمت اجارست ان ولدت اسداً و بعدها

بايام وضعت بريكليس . جاء المولود متناسق الاعضاء غير ان راسه كانت من الضخامة بحيث لاتتناسب مع تكوينه . لذلك تعمد المثالون عند اقامة التماثيل له ان يبقوا على رأسه الخوذة . خشية ابراز ذلك العيب . ولكن الشعراء كانوا يدعونه علانية (شينوسيفال) يريدون الفصيلة البحرية . وقدعني كراتينوس (١) في احدى رواياته بقوله . اولد ساتورن القديم الاله « الغواية » مستبدا كبيرا دعته الآلهة « سيغاله جيراتاس » (صاحب الرأس الضخم) وقوله في رواية دنيازيس » تعال باجوبتير المضيف باصحاب الرأس السعيدة أو الضخمة (٢) . وقال (تالا كليد) (٣) « ان بركليس كان حائرا في امر نفسه لايدري مصيره تارة يجلس في المدينة مستندا رأسه الثقيلة بين يديه . وتارة تفور من رأسه ضجة تشبه ضجيج الرعد . » وكان اوبوليس (٤) يزعم ان زعماء الشعب يعدون الى العالم . واذ كان يستعرضهم الواحدة بعد الآخر ويسأل قائده عن اسم كل . وكان بركليس آخرهم .

« قال اخيرا خرجت الرأس من الجحيم ؛ »

أجمع أكثر المؤرخين ان دامون أستاذ بركليس في الموسيقى ولكن أرسطو يقول انه تعلم الموسيقى في مدرسة بيتوكليد . والظاهر ان دامون كان سوفسطائياً ماهراً (أستاذا بارعا في فنون الكلام . يخفي تحت ستار لقب الموسيقي عن العامة نزعته الحقيقية . لزم بركليس كما يلزم معلمو السلاح ومولكو الزيت ، المصارع . ولكنه كان يعلم الصراع السياسي . وأخيراً على ان « مزهره » لم يكن سوى ستار خداع يخفي دونه مؤامراته المريبة وميله للاستبداد . نفي بالاقتراع السري وصار

---

(١) شاعر روائي قديم .
(٢) تحتمل الكلمة اليونانية المدنيين .
(٣) شاعر روائي اخر اقل شهرة من كراتنوس
(٤) هو واريستوفان وكراتيوس اشهر الشعراء الروائيين القدماء

اسم مضغة فى أفواه الهازلين من الشعراء . ووجه اليه أفلاطون (١) في احدى روایاته على لسان احدى مخاطبيه العبارة التالية :

أرجو اليك ان تقول لى قبل كل شيء ؛ الست انت ياشيرون ، الذى يقال عنك انك مهذب بركليس . ؟

كان بركليس يحضر دروس زينون (الايلى) مدرس الطبيعة فى مدرسة بارميتيد . وكان زينون هذا يحذق صناعة الجدل اذا جادل أفحم خصمه قال عنه تيمون الفيليازى مايأتى : صاحب اللسانين ، قدرة لاتغلب ؛ زينون . القاهر في كل خصام .

ولكن الذى كان بركليس يكثر من مباشراته، ذلك الذى تصفه رقيق اللهجة وسمو العاطفة ونفخ في نفسه روح تلك الكبرياء التى لاتليق بحكومة ديموقراطية . وغرس فى أخلاقه وأساليبه تلك النبالة . والآباء . هو اناجازكور الكلازومينى . الذى كان يدعوه معاصروه العقل لاعجابهم بنفوذ بصره الى مايفوق الحدود البشرية ودقة معرفته بالطبيعة ولانه أول من عزا تكوين العالم ونظامه لا الى الصدفة ولا الى الضرورة بل لقدرة روحية طاهرة لايمازجها شيء . وهى التى أخرجت من الخلاء . (الكاوس) جميع العناصر المتشابهة وجمعت بينها . (٢)

كان بركليس كثير الاحترام لاناجزاكور الذى أخذ عنه علم الاحواء والطبيعة . وعليه تأدب فكان له ذلك السمو والرزانة العقلية ونبالة العبارة وخلوها من تكلف خطباء المنابر وخسة التراكيب المبتذلة . تنطق ملامح وجهه بالجد وتبعث الهيبة لاتمر بها ابتسامة . متأد فى سيره وانطلاق صوته دائما فى اتساق وانتظام معتدل فى موقفه وحركاته لايغير من ثيابه اذا تكلم لايتأثر لشيء مهما تنازعته الاهواء . وأخيراً كل ماجعل من بركليس موضع اعجاب عام . حدث

(١) شاعر هزلى معاصر له

(٢) الجزء الاول من كتاب ماوراء الطبيعة لارسطو .

يوما ان شاب فاسد الخلق خسيس التربية اهانه وأكثر من سبابه في المنتدى العمومى . فلم يعمل بركليس سوى انه استمر في عمله ينظر مابين يديه ويصرف شئونه المستعجلة ولم يجب بكلمة على تلك المسالب ومتى غربت الشمس عاد الى منزله هادىء البال وذلك الشاب يتبعه بصيحاته وسبابه ، ولما بلغ باب منزله امر احد اتباعه ان يحمل مشعلا وينير سبيل الفتى حتى بيته .

قال الشاعر يون (١) انه كان كثير الكبرياء والاباء كثير الدعوى يزدرى الناس ، أما سيمون فكان رجلا وديعاً لطيفاً يلين لكل شيء ويرضى جميع الناس . لندع الشاعر يون الذى يحسب أن الفضيلة تمثيلا روائياً لابد أن يكون للهزل فيه نصيباً . (٢) على أن زيتون كان على العكس من ذلك اذا سمع أحداً يقول ان الجلال الذى يصطنعه بركليس ليس سوى قحة وفخفخة دعا القائل ان يصطنع مثلها لان التكلف يصير بنا على الى كلف بالعظمة الحقيقية فنعتادها على غير علم منا .

ليس هذا وحده بركليس من معاشرة اناجزاكور فقد تعلم منه الزراية بذلك الخوف الوهمى الذي تحدثه التقلبات الجوية فى نفوس الجهال الذين لا يعرفون اسبابها فتنغشاهم لجهلهم الفلق والاضطراب واهمين أنها من علاقات غضب الآلهة . اما المستنير الذى يعلم قوانين الطبيعة فانه يحترم الآلهة بين الطمأنينة والامل بدلا من العبادة الخرافية الواجلة .

حدث يوما ان احضر الى بركليس من الحقل رأس كبش ليس بها سوى قرن واحد . لاحظ العراف لاميون أن القرن نابت في وسط الجبين وانه قوى ومتين . وقائل في تأويل هذا الحادث « ان توسيديد (٣) وبركليس يدير

(١) شاعر تراجيدى (مأساة) معاصر لبركليس

(٢) كانت العادة فى ذلك العصر أن يقدم الشعراء اربع روايات يكون احداها هزلية هجائية ، تقوم بتمثيلها فرقة من المهرجين الهجائيين .

(٣) قائد اتينى . غير المؤرخ المعروف بهذا الاسم .

ان اليوم شؤون الحكومة . ولكن السلطة كلها ستجتمع بين يدى من وجدت فى حفلة هذه المعجزة . » ولكن انا جزا كور شق هذه الرأس واظهر أن المخ لايملأ الفراغ المعدلة . وانه غير متصل بجوانى الجوفة فانكمس واستطال فى شكل بيضة فى النقطة التى تنبت فيها أصول القرن . اعجب الناس أولا بما شرحه اناجزاكور ثم عادوا فاعجبوا بتأويل لاميون لان حزب توسيديد تلاشى واصبحت الحكومة كلها فى قبضة بركليس . ومن الغرائب النادرة ان يتفق العراف والعالم الطبيعى فى بيان صادق . شرح احدهما سبب هذه الظاهرة والاخر ماانطوت عليه من نبوءة . بحث الاول عن العلة والكيفية التى احدثت هذه الظاهرة . وبحث الآخر عن الغرض وما ينبيء به . فالذين يدعون أن اكتشاف سبب المعجزة يبطل المعجزة . ومعناها ، لايدركون انهم بقولهم هذا يبطلون العلامات التى ترسلها الينا السماء . والعلامات العرفية التى خلقها يد الانسان كصوت الدف وضوء الفوانيس : كل شيء لغرض اعداله .

على أن هذه اراء ليس هنا محل بحثها .

كان بركليس فى أول شبابه شديد النفور من الشعب . وكانوا يرون فى وجهه ملامح الطاغية بيسيسترات ولاحظ شيوخ المدينة أنه يشبهه فى رقة صوته وسهولة كلامه وبلاغة عباراته وكانوا يخشونه ويخافونه . غنى ، سليل بيت عظيم وثيق لصلته بعظماء الدولة . داخل بركليس الخوف من أن ينفى بالاقتراع السرى ، فلم يتدخل في السياسة ولكنه في الحروب لا يدخر وسعا يخوض مخاطرها غير مبق على نفسه . مات اريستيد ونفى تيميستوكل وسيمون فى شغل شاغل بحملاته البعيدة عند ما ابتداء بركليس الاشتغال بالاعمال العمومية . انضم الى حزب الشعب مفضلا الكثرة الفقيرة لوفرتها على الارستقراطية (حزب النبلاء) لقلة عدد أفرادها . وليس معنى هذا أنه شعبي بطبيعته الا أنه خشى الاتهام بالرغبة فى السيادة المطلقة ، وقد رأى سيمون

مخلصاً للارسيتوقواطية ومعبود الطبقات العليا والاشراف فارتمى فى حضن الشعب ليطمئن على سلامته . ويتخذ منه عضدا واداة ضد سيمون

ومن هذا العهد أخذ نفسه بعادات جديدة . لم يره أحد في شوارع المدينة الا ذاهبا الى مجتمعات الشعب أو مجلس الشيوخ وقد عدل عن الولائم والحفلات والمسامرات ولم يتناول العشاء وهو على رأس الحكومة على طول مدتها عند أحد من أصدقائه الا أنه حضر مرة وليمة عرس اريتوليم بن عمه على أنه بارح المكان بعد غسيل الايدى مباشرة . والحقيقة أن ليس اضر بالعظمة من الاختلاط يجب على من يطلب احترام الناس الا يبذل نفسه وهذا اجمل وا كرم ما فى الفضيلة الحقة . لئن اعجب جمهور الناس بحياة العظماء الخاصية فما اعجاب اصدقائهم بحياتهم الداخلية باقل من ذلك. كان بريكليس يخشى ان يمجه الناس اذا رأوه على الدوام فكان يباعد بين مواضع الظهور . لا يتكلم في كل شأن ولا يتقدم دائما يبقى على نفسه للمواقف الحرجه كأنه كما قال كريتولاوس سفينة سلام . وفي غير ذلك ينيب عنه اصدقاءه والمخلصين له من الخطباء مثله فى ذلك مثل « افيالت » الذى اضعف نفوذ الاريوباج (المجلس الاعلى لحكومة الشعب) الذى قال عنه افلاطون (١) انه ملأ الكاس دهاقا من الحرية الخالصة وقدمها للشعب ، ويقول المهرجون من الشعراء ان الشعب قد ثمل وصار جوادا لاحنك له لا يعرف الطاعة . فعض على أوبه . ووثب على الجزائر .

عمد بريكليس لتقويم بيانه وجعله اداة صالحة لافكار ، ان يستقى من معين اناجزا كور فاكسبت العلوم الطبيعة بيانه متانة وقوة واذ كانت الطبيعة قد حبته عواطف سامية وارادة صابرة نافذة كما كان يقول افلاطون الالحى (٢)

---

(١) فى الكتاب الثامن من الجمهوريه .

(٢) فى اخر فيدر .

التى استمدها من الفلسفه الطبيعية يضيف اليها مهارته في استخدام كل شيء عند مايريد التدليل على امر يقصد اليه • وبهذا بز جميع خطباء عصره . ولعل هذا سبب تلقيبه بالأولمبي يظن البعض ان السبب فى ذلك هو كثرة مازائدية المدينة من التماثيل . ويظن البعض ان ذلك يرجع الى مهارة فى ادارة احكومة والحروب ولا مانع ان يكون سبب هذا للشعب راجع الى جميع هذه الخلال الكريمة النادرة على ان هذا لم يخله من عنت الهجائين فما كثر ماقالوا فيه جدا وهزلا . وكلهم مجمعون على ان فصاحته هى التى اكسبته هذا اللقب ، فمن اقوالهم أنه اذا اعتلى المنبر ارعد وابرق وأن صوته كالصاعقة . ومما يؤثر حكمة توسيديد من ميلازيوس عن قدرة بوكليس في الخطابة كان توسيديد من اشهر اعيان اثينا وكان دأبه معارضة بركليس . سأله ارخيداموس ملك سبارطه . (لاسيدومتيا) يوما أيهما يشد بطشا فى المصارعه هو أو بركليس . فقال . « اذا صرعته صاح لم اسقط ، ارى الجميع الواقع ولكنهم ينتهوا الى تصديقه واعتباره غالبا . »

على انه لم يتكلم الا حذراجدا وكل مرة علا المنبر توسل قبلها للآلهة الا تزلف منه كلمة ضد مايقصد اليه . لم يخلف شيئا مكتوبا سوى مراسيم . ولا يروى عنه سوى القليل من الكلمات النابغة مثال ذلك قوله عن جزيرة اجين « يجب ازالة هذه النقطة عن عين بيره » وقال فى مقام اخر . « ارى الحرب تركض من البيلوبونيز » اطرى سوفوكل زميله فى قيادة البحريه . امامه محاسن فتى فقال . « ان القائد ياسوفوكل يجب ان يكون طاهر اليدين والعينين ايضا » وقال ستازمبروت ان بركليس فى الخطة التى القاها تأبينا لقتلى حرب ساموس قال : « لقد صاروا خالدين كالالهة ؛ انا لا نرى الالهة . ولكن القربان الذى تقدم اليهم والحسنات التى ننالها منهم تشعرنا انهم خالدون . هذه حال الوطنيين الذين يموتون فداء وطنهم . »

مثل لنا توسيديد (١) حكومة بركليس كانها شكل من اشكال الاريستوقراطية

---

(١) المؤرخ فى الكتاب الثانى من تاريخ حرب نيلوبونيز .

أطلقت عليه كلمة ديموقراطية وماهى إلا إمارة يديرها رئيس الحكومة . ويقول البعض ان بركليس هو اول من ادخل الشعب في توزيع الاراضى المنتجة واعطاه المال لحضور الحفلات والقيام بواجباته المدنية (١) فافسده وعلمه الاسراف والخروج عن الطاعة واقعده الميل الى الحكمة والعمل : وسبب هذا التغيرناجم عن الحوادث ذاتها . رأينا ان بركليس حرصا على سمعته ازاء سيمون تقرب الى الشعب ولكن سيمون كان على ثروة عظيمة كثيرة الموارد يستخدمها في اعانة الفقراء، يقيم الموائد لكل زائر يكسو الشيوخ، حتى انه رفع الحواجز عن املاكه ليستطيع كل انسان الدخول اليها يجنى ما شاء من ثمارها . ولكن بركليس كان أقل منه مالا ولذلك أقل شهرة عمد الى النماء يبذله من الاموال العمومية. عملا بنصيحة ديمونيد الايوى على رواية ارسطو . وزع النقود على الجمهور ليمكنه من حضور الحفلات والمحاكم وغيرها ؛ تولى مهنة المتعهد (٢) و بذلك أغرى الشعب . وصار الشعب فى يده أداة يستخدمها ضد مجلس الحكم الاعلى . الذى لم يعده الحظ قط أن يكون أحد أعضائه . ولا حكما ولا رئيسا للضحايا ولا Polémargin .وهذه مناصب لاتنال إلا بالاقتراع تسمح لمن نالها وقام بشؤنها خير قيام ان يكون في عداد أعضاء المجلس الاعلى . اغتنم بركليس ذلك المقام السامى الذى رفعه اليه الشعب وأوقع الاضطراب فى المجلس وحرمه بواسطة افيالت معرفة الكثير من الاعمال . ونفى سيمون بالاقتراع السرى بحجة أنه من أنصار اللاسيديموتين (السبارطيين) وانه شديد المقاومة لمصالح الشعب . نفى الشعب سيمون وهو من أكبر الاسر الشريفة وأغناها فى أثينا وهو القائد الذى قهر الاعداء وانتصر عليهم انتصارات باهرة. وملأ المدينة من الغنائم والاسلاب كما روينا فى تاريخ حياته . الى هذا الحد بلغ نفوذ بركليس على الشعب! .

(١) انظر اريسطو. السياسة من ١ ــ ١٩

(٢) المتعهدون هم الذين ينفقون على الولائم والحفلات التى يتعهدونها.

حدد القانون مدة النفى (بالاقتراع السرى) عشر سنوات ولكنه حدث بعد خمس سنوات من نفى سيمون أن جيشاً عظيماً من السبارطيين اعتدى على أرض تانجر فهب الاثينيون لملاقاته .

رأى سيمون ليغسل عن نفسه تهمة الميل الى السبارطيين أن يخرق حكم النفى فقدم الى مقاتلة السبارطيين مع رجال قبيلته يشارك قومه فيما يعرضون له من المخاطر . ولكن أصدقاء بركليس أوقفوه وأكرهوه على الانسحاب بحجة أنه منفى . فاضطر بركليس أن يبذل أقصى جهده وأن يستبسل فى القتال الى ما فوق طاقته حتى لا يفوقه أحد . أما أصدقاء سيمون الذين اتهمهم بركليس أيضاً بالميل الى السبارطيين فقد استهدفوا للموت حتى ماتوا جميعاً فى ذلك اليوم .

دارت الدائرة على الاثينيين عند حدود اتيكا وتوقعوا حربا مهلكة فى الربيع القادم فقدموا على ما قرروه بشان سيمون واسفوا لغيابه . أدرك بركليس عليهم ذلك فلم يتشدد فى مقاومتهم وأسرع فكتب بنفسه مرسوما باستدعائه وحمل المجلس على قبوله . ما عاد سيمون حتى انتهز فرصة عطف السبارطيين عليه وكانوا يحبونه بقدر بغضهم لبركليس وغيره من ملقنى الشعب وزعمائه فعقد معاهدة صلح بين الجمهوريتين ويقول الكثيرون من الكتاب أن بركليس لم يكتب طلب اعادة سيمون الا بعد أن عقد معه بواسطة البينيس أخت سيمون اتفاقا سريا . تعهد فيه سيمون بقيادة مائتى سفينة حربية والسير بها لمحاربة ملك الفرس . وأن يبقى بركليس فى اثينا يتولى السلطة كلها . والظاهر أن سيمون وقع يوما تحت تهمة الخطرة فنهض البينيس الى استماله بركليس أحد من أنابهم الشعب فى اتهام أخيها . قابلته وتوسلت اليه مستعطفة فقال لها « يا البينيس انك أكبر سنا من ان تظفرى بقضية هامة كهذه . » ومع كل لم يتكلم سوى مرة واحدة وكان كلامه فى موضوع التهمة كمضطر الى أداء واجب ثم انسحب وكان أقل المدعين

على سيمون شدة . فكيف نصدق بعد هذا دعوى إدومينه (١) ضد بركليس يتهمه بقتل افيالت غيرة . وهو صديقه وشريكه فى مشروعاته السياسية ! لا ندرى من أين أتى إدومنيه بهذه الفرية ضد رجل لا يقول ، بلا عيب فى جميع أعماله بل ضد رجل عرف بعواطفه الشريفة وشدة حبه للمجد مما لا يتفق مع وحشية كهذه

أوقع افيالت الرعب في نفوس أنصار الاوليجارشيه (حكم طائفة من الرجال) فكان يضطهد و يتعقب كل من شكا الشعب منه ، سقط فى كمين فطعنه سفاح مستأجر . يدعى أريستوديكوس من تانجره بخنجر . هذه رواية ارسطو . أما سيمون فقد لقى حتفه فى جزيرة قبرص أثناء قيادته

لما رأى الاشراف أن بركليس أصبح أول وأعظم رجل في الدولة بحثوا عن رجل يقف له يضعف من سلطانه و يمنعه التحول الى ملكية مطلقة أقاموا له توسيديد من الوبيس وهو رجل قوى العارضة وصهر سيمون كان أقل من قريبه كتابة فى فنون الحرب ولكنه اقدر منه في فنون الخطابة وادارة الاعمال العمومية . واذ كان يسكن المدينة فلم يحتج لاكثر من مساجلة بريكليس على منبر الخطابة مرات حتى استقر التوازن بين طبقتى الدولة . لم يكن لمن ندعوهم رجال الخير والنبل اى الاشراف هبة نظامية . بل كانوا مشتتين فى كل ناحية ممتزجين بالشعب تتلاشي قدرتهم وجدارتهم بين الجماهير . منع هذا المزج وفرز الاشراف وجمعهم فى هيئة منضمة . وكل من نفوذهم قوة تعادل نفوذ بريكليس . كان التمييز بين الاسر قديما ولكنه كان ضائعا كقشة فى كتلة من حديد . لاتدل على اختلاف الاجناس الا دلالة خفية ، الشعب والاشراف ، ولكن المنافسة والطمع اللذين فشيا بين هؤلاء الاشخاص فشطرت الشعب الى شطرين بارزا بين الشعب . والنبلاء .

---

(١) من لامبساك كتب تاريخ تلاميذ سقراط وتاريخ ساموطراس وعاش فى القرن الرابع قبل الميلاد .

ولهذا السبب اطلق بريكليس للشعب العنان لايهمه سوى رضاه يملأ المدينة اعيادا وحفلات ولائم يعوده عادات لاتخلو من اناقته . يرسل كل سنة ستين مركبا عليها عدد عظيم من الاثنيين ويقدرون على الاعمال البحرية مدة ثمانية شهور تدفع لهم اجور ثم ارسل الفا الى شرسونيز وخمسمائة الى تا كسوس ومائتين وخمسين الى اندروس والف آخر الى تراس فى بلاد البزالتين ثم عمر سيباريس من ايطاليا التي اعيد بناءها باسم توريوم وبذلك اخلى المدينة من العاطلين الذين تثيرهم أهواء خبيثة وسد حاجة الفقراء واقام بين الحلفاء مايشبه الحاميات تلزم الرعاية وتمنعهم الاقدام على حدث جديد .

ولكن ابهج من سر قلب اثينا وحلاها باجمل ماتزدان به . وكان موضع أعجاب العالم ، ذلك الشيء الوحيد الذى يشهد اليوم بتحقيقه مايقال عن عظمة اليونان ومجدها السابق هو تلك المبانى الفخمة التي شادها بريكليس. وهذه الآثار كانت موضع شكاة وتذمر خصومه وا كثرما شنعوا به على ادارته . يجهرون بذلك فى المجتمعات ويرفعون اصواتهم بالاحتجاجات. ومن اقوالهم. « لقد امتهن الشعب وارتدى العار بسحبه من دالوس اموال اليونان العامة . يستخدمها لمصلحته الخاصة لقد حرمنا بريكليس من أقوى حجة كنا نقف بها فى وجه من يتهمنا وهى انا كنا نخفى اموالنا فى دالوس خشية ان يستولى عليها البربر . ألا يكون لليونان الحق ان تعد من الاهانة والظلم ان تأخذ الاموال التى اختزنتها للانفاق على الحروب الوطنية ، فنصرفها فى تجميل وتزيين مدينتنا نحن حتى نجعلها كغانية مثقلة بالجواهر والعقود الثمينة . لاقامة تماثيل وبناء هيا كل بلغت نفقات احدها الف تالان . ؟

اما بريكليس فله في ذلك رأى آخر . ومن اقواله للشعب . « لست مدينا لاحد من الحلفاء بحساب عن أمواله . بما انكم انتم وحدكم تحاربون عنهم . وتبعدون البربر عن يونان . لايقدمون اليكم جوادا ولا سفينة ولا رجلا سوى اموالهم . ومتى اعطى المال اضبح ملك الذى تسلمه

لاالذى اعطاه على شريط ان يقوم المستلم من تعهد به عند استلامه . ولقد وفيتم عهودكم فى الحروب وتوفر لكم كل مايلزمكم هنا . فاذا امتلأت الخزائن الا يكون العدل انتنفقوا المدخر فى تشييد المجد الخالد لمدينتكم تنعم بعد اثينا بعد انجازه برخاء يسمح لها بترقية صناعاتها فى كل فن . لقد نشأت حاجات جديدة اشغلت جميع القرائح والايدى وجعلت الوطنيين جميعاً اجراء الدولة . وعليه تكون المدينة قد استمدت من نفسها جمالها ومادة حياتها. يتناول كل من تسمح له سنه وقوته بالخدمة العسكرية اجره من الخزانة العامة اما الصناع الذين تعفيهم صناعاتهم من الخدمة العسكرية فقد لا يحرموا من الفائدة بلا كسل ولا خمول . لهذه الاسباب ولمصلحة الشعب شرعت هذه المبانى التى تتطلب جملة الفنون والصنائع وستطلبه زمناً طويلا . وهكذا ينال المقيمون من الاهالى حقوقهم من الايرادات العامة كالذين يجوسون البحار بعمارتنا والذين يحرسون قلاعنا والذين يحاربون لنا . لدينا الحجارة ؛ والنحاس والعاج والذهب والابنوس . وقد عملت فى هذه المعادن جميع أيدى الصناع . من نجارين وبنائين وحدادين وحجارين وصباغين وصياغ ونقاشين وبرادين وخراطين. وتستعمل فى البحر لنقل هذه المواد السفن التجارية . وبحارة ونوتية الدولة . وتستعمل فى البر الحمالين وسوقة العربات ومن ثم جميع ارباب الصناعات والمهن. ولكل صناعة جيش من العمال لايملك سوى ذراعه فهو اداة وقوة يستخدمها رؤساء المعامل . هكذا يوزع العمل الىهنا يوفر أسباب السعادة فى كل مكان بين جميع الطبقات من كل سن وفى كل ظرف .

برزت هذه المبانى في عظمة حقيقة بالاعجاب بين الجمال والدقة اللتين لامثيل لهما . لان الصناع كانوا يتنافسون فى اتقان دقة الفن جمال البناء فى جملته . وكان أعجب مايعجب له سرعة الانجاز والحقيقة أن جميع هذه الاعمال التى يحتاج كل منها إلى جملة سلالات متعاقبة لاتمامها وانجزت وتمت في حكومة

رجل واحد . وحينئذ فاخر المصور اجاترك بالسرعة والسهولة التى مثل بها الحيوانات فاجابه زوكسيس قائلا « وانا افتخر ببطئى . » والحقيقة ان السرعة والسهولة لاتجعلان العمل متيناً ثابتاً ولا تكسبانه جمالا محكما : فالوقت والمواظبة على العمل يكفلان بقاءه قروناً لذلك يشعر من يشهد اثار بركليس باعجاب عميق بعد مامر بها من القرون مع أنها انجزت فى ذلك الزمن القصير . ماانتهى احدها حتى يشعر مشاهدها لدقة جمالها أنها من الآثار القديمة ويرى فى طلاوتها متانتها فمن يراها اليوم يحسبها من صنع اليوم . لابقاءها كزهرة يانعة تملأ العين بهجة . لاتذبله يد الزمن . كأن روح الحياة لاتفارقها واودعتها نفسا لايدركها الكبر . وكان فى اثينا حينذاك طائفة من مهرة المهندسين والصناع تولى فيدياس ادارة ورقابة جميع الاعمال . وشاد كاليكراتس وإكتينوس النبأ المعروف باسم يارتينون هيكاتبنيدون . اما هيكل اسوار الوزيتن فقد شرعه كوروبوس واقام الطابق الاول من الاعمدة ورسم التصميم وإذ توفى قبل تمامه ، تولى العمل فيه ماتاجينس من جزيبت وحاطه بسور وأقام الطابق الثانى من الاعمدة وانجز حيز توكلس من شولارج قمة المقدس . اما السور العظيم الذى قال سقراط انه سمع بالشروع فيه فقد تولى بناءه . كاليكرات ولكنه تمهل طويلا فى انجازه فعرض به كراتينوس في احدى رواياته . قائلا : يجهد بركليس نفسه فى الحث على العمل كلاما . اما عملا فلا شيء .

اما الاوديون وكان فى داخله جملة صفوف من المقاعد والاعمدة فكان سقفه متمنيا على نفسه ليتسامى الى نقطة ويقال انه مبنى على مثال ضخية ملك الفرس . وان بركليس نفسه هو الذى وضع رسمه بيده . وقد أشار كراينوس الى ذلك في رواية « التراسيات» بالعبارات الآتية :

هاك جوبتير شينوسيفال (كبير الراس)

بركليس على رأسه أوديونه .

شامخا بانفه لنجاته من الاقتراع السرى .

وإذ ذاك أصدر بركليس رغبة في ازدياد الشهرة . مرسوما بامر الشعب ان توزع فى أعياد بانا تنبيذ جوائز عن الموسيقى . وكان هذا حادث جديد . عين حكماء فحدد كل نوع . المزمار والغناء والعود (المزهر) جرت المسالقة فى أوديون ولا تزال تجرى هناك المسابقات الموسيقية .

أنجز المهندس منفريكاس

فى خمس سنوات . وقد وقع فى خلالها حادث لايدل على قبول الآلهة ورضاها فقط بل ويدل على رغبتها فى الاشتراك والعمل على انجازه . والحادث ان بينما كان أمهر العمال وأنشطها فى أعلى الستار ذلت قدمه وهوى الى الارض وبلغ من شدة الصدمة ان يئس الاطباء من شفاه . اغتم له بركليس غما شديداً ولكن الآلهة ترأت له فى حلم وعلمته دواء استخدمه المصاب وكان شفاه سريعا وبلا عناء . ذلك أمر بركليس ان يصب تمثال مينرفا « الشافية » برنزاً واقامه فى الاكريول بالقرب من المذبح الذى يقال انه كان هناك .

اما الذى صنع التمثال الذهبى للآلهة فهو فيدياس وقد نقش اسمه على القاعدة . وهو كان كما قدمنا مستوليا ادارة جميع الاعمال ورقابة العمال . وهذا شرف يرجع الفضل فيه لما كان بينه وبين بركليس من الصداقة . وكان هذا سببا لتلك الاكاذيب والمفتريات والمختلقات التى تحدث بها خصومها يلصقونها بهذا وذاك . من ان فيدياس كان يستقبل النساء الطليقات اللواتى كانت تأتى بحجة مشاهدة الاشغال فيلقى بهن بين يدى بركليس واتخذ المهرجون من الشعراء هذه الاراجيث عدة للتهكم والزراية ببركليس . ومن أقوالهم انه يعاشر امرأة ماينبوس صديقه ووكيله . وان بيريلامب صديق بركليس الحميم يربى العصافير والطاووس ليقدمها هدايا للنساء اللواتى ينعم بهن بركليس . ولا موضع للغرابة من اناس اصطنعوا الفرية يبخرون بها أمام بغض الشعب كما يبخرون لاله شرير افتراء على كل عظيم . كيف نعجب

لرجل مثل ستازمبروت الناموسى يرمى بركليس باشنع التهمة مدعيا عليه انه يعاشر امرأة ابنه : فمن أصعب مايعانى المؤرخ فى البحث عن الحقيقة . توكله فى الماضى رآها مختفية تحت حكم أهواء عصرها . ولو أرادها في الحاضر رأى أهواء البغض والحسد من ناحية وأهواء التملق والتقرب من ناحية أخرى تقضى على معالمها

اشتد خطباء حزب توسيديد في تقريع بركليس يتهمونه بالتبذير والتبديد فى الاموال العمومية وتقدم بركليس الى الشعب يسأله، هل يظنه أسرف فى الانفاق . فاجابه الشعب، بقوله « اسراف فوق الحد » فقال بركليس حسن أتحمل أنا وحدى النفقات على شريط ان ينقش على كل من هذه الآثار اسمى أنا وحدى » فما دعى الشعب هذا الكلام حتى صاح مدفوعا بعامل التأثر من عظمة نفسه أو رغبته فى ان لا يترك للاجيال القادمة هذا المجد له وحده، قائلا خذ من الخزينة ماشئت وانفقه كما تريد بلا حساب . اشتدت الخصومة بين بركليس وتوسيديد حتى رأى ذلك أن يعرض نفسه لخطر الاقتراع السرى ؛ هزم توسيديد و بدد بركليس شمل أنصار خصمه أمحى العداء السياسى ولم يبق فى أثينا سوى عاطفة واحدة ونفس واحدة حتى صح القول ان أثينا هى بركليس . الحكومة والمالية والجيش والسفن والسيادة على الجزر والبحار والسلطة المطلقة على اليونانيين ، والسلطة المطلقة على الامم المتوحشة والشعوب الخاضعة الصامتة تعين عليها صداقة ومعاهدة الملوك القوية . اجتذب اليه كل شيء وقبض على كل شيء ولكنه لم يبق على ماكان عليه لم يبق هو ذلك الديماجوجى » المملق الشعبى الحائر بين الاهواء الشعبية . المخلص السهل الذى يسلم بكل مايشتهيه الشعب . فبعد ان كانت حكومة محاولة العرى متراخية كأنها مزهر لاتحدث اوتاره سوى اصوات ناشرة مهملة قبض على اعنتها بقوة جديدة وشدها بيد تكاد تكون ملكية . لا يستعمل للوصول الى العرض الاسمى سوى وسائل مستقيمة لاماخذ عليها . يجتذب الشعب الى وجهة بطرة بقوة التعقل والاقناع واذا تعنت الشعب استعمل الشدة

والاكراه ليعود به الى الصواب كأنه طبيب يعالج مريضا ازمن دواؤه وانتابته عوارض مختلفة . فتارة يسمح للمريض بتناول مايرضيه ولا يضره . وتارة يسقيه دواء مراً يعيد اليه الصحة وما أكثر اسباب الثورات في مملكة مترامية الاطراف، وكان وحده القدير على طب هذه الادواء السياسية يحرك العقول بين الامل والخوف يدير هذه الدفة المزدوجة بمهارة فيرجع الشعب عن ثورته اذا اهتاجه الغضب وينهض عزيمته اذا خارت قواه . اثبت بريكليس ان الخطابة كما قال افلاطون(١)، اصناعة امتلاك العقول وانها قائمة قبل كل شيء على معرفة الميول والاهواء وهي صوات ورنات النفس يخرجها لمس يد الصناع .

لم ينل بريكليس هذه السلطة العظمى بفضل بلاغته فقط بل يرجع الفضل فيها كما قال توسيد . (٢) لشهرته والثقة التي كسبها . لم يكن للمال اثر في نفسه ولا للافساد سبيل اليها ذلك الرجل الذى وجد وطنه عظيما ناعما فرفعه الى قمة العظمة والسعادة . وكان اقدر من الملوك والطغاة والذين أورثوا أبناءهم الملك فلم يرد درهما واحدا على ثروة البلاد التي ورثوا ملكها عن آبائهم . ابان لنا توسيديد في وضوح وجلاء سيادة بريكليس ولكن الهازلين من الشعراء صبوا عليه عبارا تهم المتألمة قائلين ان حان الوقت ان نأخذ عليه عهدا ألا ينادي بنفسه ملكا مطلقا لان سلطته تقلت على ديمقراطية لايحتملها . وقال تاليكليد ان الاثنيين سلموا اليه ايرادات مدنهم ومدنهم ذاتها يقيد بعضها ويحل رباط البعض؛ واسوار من الحجر يبنيها ثم يهدمها .

واطلقوا يده في عقد المعاهدات ، والجيوش والسلطة والصلح ، والمالية وكل مايتعلق بسلامتهم وسعادتهم .

لم تكن حكومة بركليس فرصة عارضة أو قدرة عابرة لقد بقى اربعين سنة

---

(١) في فيدر
(٢) الكتاب الثاني من تاريخه

وهو فى المقام الاول من وطنه وفيه كثير من امثال افيالت ، وابوكرات وميرونيد، وسيمون وتوليد ، وتوسيديد وبعد نفى توسيديد ونشئت حرب ، بقى بركليس خمسة عشرة سنة في منصب الرياسة بينما كان القواد الآخرون يبدلون كل سنة . و بقيت له القيادة العليا والحكم بلا انقطاع لم تخدعه فيها شهوه مالية وليس معنى هـذا أن شيأ من امو اله الخاصة واملاكه الشرعية تأثر باهماله المالية او انه كان لايعنى بدقائقها الا أنها لم تكن لتشغله عن مهامه السياسية ، صان ريعه باسط الطرق وهى الاقتصاد المنزلى يبيع حاصلاته كلها ثم يشترى مايلزم على قدر ايراده و بذلك يحفظ التوازن بين الايرادات والمصروفات اليومية ولم يكن هذا ليرضي ابناءها الذين صاروا رجالا ولا نساءهم يرونه شحيحاً مقتراً يعيبون عليه هذه الدقة فى المصروفات اليومية . وهـذا الحساب الدقيق وعدم السعة التى تحق لبيت غنى وكان يتولى هـذه الادارة وكيله ايفنجيلوس رجل حبته الطبيعة الكفاية لمثل هـذا العمل أو أن بركليس دربه عليه .

ان هذا المسلك لايتفق في شيء مع فلسفة أناجزاكور ، لقد اشتد هوس العالم بهذا الفيلسوف يوما فنزل من بيته وترك حقله مرتعا لقطعان الغنم يرعون عشية مباحاً لمن يشاء . ولكن هـذا ليس شأن فيلسوف دقيق الحساب مهمته السياسة العمومية . لايعنى ذلك بغير الجمال الأدبى لأنه يهمه المـاديات ولا الوسائل الخارجية . اما الذى وقف همه على خدمة مصالح الناس المـادية فلا يرى المال ضرورة لازمة فقط بل فضلة نافعة مرغوبة . فبركليس كان غنياً وكان عوناً لكثير من الفقراء ويحكي انه بينما كان بركليس غارقا فى مهام اعماله كان اناجزاكور قد بلغ سنا عالية ولزمته الفاقة والحاجة فستر رأسه بردائه واعتزم الموت جوعا . علم بركليس بذلك فاسرع اليه ضارعا اليه ان لايقضي على نفسه . « انى أبكي لا عليك بل على نفسى لانى بفقدك احوم خير مستشار لادارة أعمالى . » فرفع اناجزاكور الرداء عن نفسه وقال . « يابركليس على الذين يحتاجون الى

سراج ان يصبوا فيه زيتاً . »

نظر السبارطيون الى نمو عظمة اثينا بعين الحسد وكان بركليس قد أدخل الى نفوس مواطنيه الثقة بكفايتهم حتى أيقنوا أنهم معدون لسيادة أعظم . فاقترح واستصدر قراراً بان ترسل جميع المدن اليونانية كبيرها وصغيرها ، الاروبية والاسيوية مهما يكن شأنه ، نوابا يحضرون جمعية عمومية تعقد في اثينا للبحث في اعادة بناء الهيا كل التي احرقها البربر . والقرابين المنذرة للآلهة لصيانة وسلام يونان اثناء الحرب ضد الفرس ؛ والطرق الواجبة لتقرير حرية كل انسان وتأمين الحريه البحريه . وتقرير السلام العام . وانتخب لهذه الرسالة عشرين ممن تجاوزوا سن الخمسين وجه منهم خمسة الى ايطاليا لدى اليونانيين والروسيين وسكان الجزر حتى ليسبوس ورودس . وخمسة الى اقاليم هاسيونت وتراقيا حتى بيزانطه . وخمسة الى باوتيا وفوسيد وبيلوبنيز يخترقونها الى لوكريد على القارة المجاورة يتعدونها الى اكارنانيا واميراسى ؛ والباقون الى اوربا وشعوب اوتا وخليج مالياك وفوتنيودى واشاى وتساليا . ذهبوا داعين جميع الشعوب لحضور الجمعية العمومية للمداولة في السلام العام لجميع اليونان . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ولم ترسل المدن نوابا ويقال أن سبارطة منعتهم لان المشروع أحبط في البيلوبونيز وقد أشرت الى هذا اظهاراً لعظمة فكر بركليس وسمو عقله .

كان بركليس بصفته قائداً موضع ثقة عامة . لانه لم يخاطر في شيء . ولم يقدم على حرب لا يرى النصر فيها محققاً أو يراه غالى الثمن لم يستشعر الغيرة من الضباط الذين أحرزوا انتصارات بمخاطراتهم ولم يفكر في الاقتداء بهم مهما يكن المجد الذى ينالونه لشدة بأسهم وعنادهم . ولانه كان يقول لمواطنيه لو اتبعتم شورتى لكنتم خالدين . انتفخ توليمد بن توليايوس كبراً لما أحرز من نصر ونال من شهرة في مواقعه الحربية . أعد نفسه لمهاجمة بابوتيا بلا سبب واجتذب الفاً من شباب اثينا المولعين بالمجد الى جيشه والاشتراك في الحملة

حاول بركليس منعهم والعدول بهم عن عزمهم . ولهذه المناسبة قال في الجمعية كلمته المشهورة .

« اذا كنتم لا تريدون الاصغاء الى بركليس فانكم لا تخسرون شيئاً اذا انتظرتم نصيحة أحكم ناصح ، الزمن . » لم يلتفت أحد الى هذه الكلمة ولكنهم بعد ذلك بايام ، عند ما علموا ان توليد كان نصيبه الفشل والموت فى موقعة بالقرب من كورونيه . وان كثيراً من الابطال لقوا حتفهم ، تذكر الجميع كلمة بركليس وزادوه احتراما وعرفوا فيه الرجل العاقل حقا . والصديق المخلص لبلاده حقا .

واصدق ما استصوبه الجميع من حملاته حملته فى شيرسونيز التى نال يونانيو الجزرة بفضلها السلام والطأنينة قاد الف مهاجر أثيني وحصن المدن بزيادة أهلها ، حمى ممر البرزخ باقامة التاريس وتقوية القلاع الممتدة من بحر الى آخر . وسد الطريق فى وجه التراسيين المنتشرين حول شيرسونيز . ومنع الحروب المهلكة التى كانت تعانى تلك البلاد ويلاتها وغارات البربر المجاورين وعبث اللصوص الذين يسكنون حدودها ومنعها حروبها الداخلية .

وقد ذاع صيته ونبه ذكره فى البلاد الاجنبية ذاته بحملته الحربية حول بيلوبينيز .

أبحر من بيج فى ميجاريد بمائة سفينة . ولم يكتف بسلب المدن البحرية كما فعل توليد ، بل تقدم براً بجيوشه وأكره الاهالى على الانسحاب الى المدن حتى لا يفاجئوه بهجماتهم . ولكن أهالى سبسيون اجترأوا على الوقوف له وانتظاره فى غابة نيمة وقاتلوه ، فاقتحم مواقعهم عنوة وشتت شملهم وأقام على المكان أثرا للنصر . وبعد أن أخذ من أشايا حليفة اثينا نجدة لغارته انتقل الى الشاطىء الآخر للخليج وسار بسفنه في مجرى اخبلاوس . وعاث في أكارنافيا وحبس أهالى أونة فى أسوارهم . وعبث بجميع بلادالاعداء تخريبا . ثم عاد إلى اثينا بعد ان اوقع فى نفوس أعداء بلاده أنه قائد رهيب

الجانب وقى نفوس مواطنيه انه حام أمين شديد الغيرة على حياتهم واموالهم . ولم يصب جيشه بشيء يضره عمدا ولا قدرا .

ومن هناك أقلع الى « البونت » بعمارة كبيرة معدة أحسن اعداد . وهناك أدى لليونانيين كلما يطلبونه من خدم وقد أحسن معاملتهم كل الاحسان وهو يظهر لجميع الامم المتوحشة المجاورة ولملوكها وامرائها . عظمة الاثينيين والطمأنينة التى يبحرون بها في جميع الممرات حيثما شاؤا . واليقين الذى استقر في نفوسهم بفضل سيادتهم على البحار . وترك لاهالى سينوب ثلاث عشرة سفينة برجالها . ليعينوهم فى محاربة الطاغية تاماز يليون ; ولما طرد الطاغية وأصحابه من المدينة أصدر أمرا بنقل جالية يونانية عددها ستمائة متطوع الى سينوب ليمتزجوا بالاهالى ويقتسموا معهم منازل وأراضى حزب الطاغية

على أنه لم يستسلم لاهواء مواطنيه وكان يحذر السقوط معهم عندما استولت عليهم العماية والكبرياء لما نالوا من فوز ونصر . رآهم يميلون لافتتاح مصر ومهاجمة الاقاليم البحرية الخاضعة لملك الفرس تملكت الكثرة شهوة امتلاك صقلية لشدة حبهم لها وكانت تلك الشهوة تعسة وشؤما أهاجها السيبياد فيما بعد في قلوب الاهالى بما ألقى من خطب مثيرة . وكان منهم من يفكر في غزو اتروريا وقرطنجة . ولم تكن أمالهم هذه عارية عن الصواب لو نظرنا الى عظمة مملكتهم واستمرار سعادتها

تمكن بركليس من كبح هذه الشهوات وتعطيل هذه المشروعات باشغاله جميع قوات أثينا بحراسة ماامتلكوه . مقتفا انه يكفيهم منع السبارطيين من التقدم أو زيادة سلطانهم وقد أظهر في جمله مناسبات انه العدو اللدود للسبارطيين وبوجه خاص فى الحرب المقدسة . ذهب السبارطيون لسلاحهم الى دلف واغتصبوا من الفوسيين وكالة الهيكل ومنحوها الى الدلفيين . وما كادوا ينسحبون حتى نهض ابركليس بحملة ورد الى الفوسيين وكالة الهيكل . وكان الدلفيون قد خصو

السبارطين بحق التقدم في استشارة الوحي ونقش هؤلاء هذا الحق على جبين الذئب النحاسي ايد ابركليس هذا الحق للاثينين وحفره على الجانب الايمن من الذئب النحاسي ذاته .

كان على حق فى احتفاظه بجميع قوات يونان في أثينا كما اثبتته الحوادث . نهضت أوبا لثورة خطرة فى جيش كبير . وفي الوقت ذاته علم ان الميجارين أعلنوا العداء لاثينا وانهم يعسكرون بجيشهم على حدود أتيكا بقيادة بليستوناكس ملك سبارطة . فغادر أوبا مسرعا للدفاع عن أتيكا . لم يجسر على مقاتلة جيش كثير العدد معروف ببسالته . وقد علم ان بليستوناكس شاب حدث لا يعمل شيئا الا بارشاد كلياندريداس الذى ندبه النواب ليكون وصيا وقائدا ثانيا لحداثة سن الملك . سبرغور الوصي واستماله بالمال على ان يسحب جيش السبارطين من أتيكا : انسحب الجيش وتشتت الجند فى المدينة . ولكن السبارطين سأهم هذا العمل فحكموا على ملكهم بغرامة فادحة لم يستطع دفعها . فغادر وطنه . وكان كلياندريدس قد هرب ، فحكموا عليه بالموت . وكان هذا الرجل والد جيليب الذى قهر الاثينين فى صقلية . وكان الطبيعة أودعت قليب جيليب حب المال كداء وراثى . لانه كان عبداً للمال ، وثبتت فضائح مخجلة فنفى من سبارطة وقد شرحنا ذلك فى سيرة ليزاندر . أثبت بركليس ضمن نفقات هذه عشر تالانات مكتفياً لقوله انفقت في مصروفات ضرورية . وافق الشعب على الحساب بلا التفات إلى هذا المبلغ ولاسؤال عما يكتمه . ولكن الكتاب و بينهم الفيلسوف تيوفراست يقولون انه كان يرسل كل سنة عشر تالانات الى سبارطة يوزعها بسخاء بين الحكام لمنع الحرب يشتري بذلك لا السلم بل الزمن الذى يمكنه من اعداد مايلزم للاقدام على الحرب باستعداد يكفل النصر . التفت بعد ذلك إلى الثائرين فسار الى أوبا بخمسين سفينة وخمسة آلاف جندى فاخضع المدن واعادها الى التزام الواجب . وطرد من شالسى كبار الاغنياء والاعيان المعروفين هناك باسم (هبولوث) مربى

الخيول . وأخرج من هستيا جميع الاهالى واستعاض عنهم بجاليات من الاثينين : وكان شديد القسوة على الهستين لانهم أسروا مركبات أثينية وذبحوا جميع ركابها .

عقد بعد ذلك عهد سلام بين أثينا وسبارطة لمدة ثلاثين سنة . ثم قرر بركليس حملة بحرية ضد ساموس بحجة ان أهالى هذه الجزيرة خالفوا الاوامر الصادرة اليهم من أثينا بالكف عن قتال « ميله » . وبما انه لم يقدم على هذه الحرب الا أرضا لاسبازيا فيحق لنا ان نبحث عن سر وقدرة هذه المرأة على اصطياد أعظم سياسى في عصره . وما كان يكتبه عنها الفلاسفة من عبارات التكريم والاحترام .

اجمع الكل انها من « ميله » وانها ابنة اجزيوكوس ويقال انها كانت تتصدى العظماء اقتداء بحظية قديمة من يونيا تدعى تراجيليا . وتراجيليا هذه امرأة حسناء جمعت بين لطافة الجسم وذكاء العقل وكانت متينة السهلة بكثير من عظماء يونان ، استمال الى ملك الفرس جميع من يعاشرونها . وبواسطتهم نشرت فى المدن الروح الفارسية ، لانها لم تكن تستهوى سوى عظماء المدن وكبار رجالاتها . اما اسبازيا فيقال إن بركليس كان يميل اليها لقوة عقلها وقدرتها على فهم المسائل السياسية . وكان سقراط يزورها مع أصحابه . وكان الذين يعاشرون يصطحبون نساءهم لتسمعن حديثها مع أن حياتها لم تكن المثل الاعلى للادب والعفاف إذ كانت تدرب الحسان صناعة التحظى . وقال اشين ان ابز كليس تاجر أغنام خشن الطبع بمولده وتربيته صار أول وطنى فى اثينا لانه كان يسكن الى اسبازيا بعد وفاة بركليس . وقال افلاطون فى مقدمة «مانكسين» مع ماهو معروف عنه من رقة الاسلوب إن كثيراً من الاثينيين كانوا يذهبون إلي منزلها ليتعلموا اساليب الفصاحة والبلاغة . ومهما يكن من كل هـذا فانا نحسب أن الذى كان يجتذب بركليس اليها هو الحب . كان متزوجاً احـدى ذوات قرباها وكانتا من قبل زوجة هيبونيكوس ولها منه ولد وهو كالياس الغنى وقد رزقت من بركليس ولدين اكسانيت وبارالوس ، واذ وقع النفور بينهما اخلى سبيلها فتزوجت من سواه وتزوج هو من اسبازيا الذى كان شديد الولع بحبها

ويقال إنه كان يردعها عند خروجها صباحا بقبلة ومتى عاد حياها بقبلة

اما الازلون من الكتاب فكانون يدعونها سخابة ، او مقال، داجيفير، جوتون ، وقد دعاها كراينوس محظية

« لقد ولدت له جوتون اسبازيا ، تلك المحظية المبتذلة التى عينها عين كلبة »

وتظهر أن بركليس اولدها ابنا سفاحا . لان اويوليس يمثل بها فى رواية ديموسيس مسائلا .

وابنى الذى رزقته حرا ما . الا يزال على قيد الحياة ؟ فيجيبها بيروميداس.

« وكان فى وسعه ان يتزوج من زمن ، لو أنه لم يخشي ان يتزوج ،وميسا.

لقد بلغ من شهرة اسبازيا إن سيروس الذى نازع أخاه ملك الفرس المملكة لقوة السيف اطلق على احب محظياته اليه أتم اسبازيا وكانت تدعى قبلا ملتوا ، وهذه اتية هرموتيم وهى من قوسه ، ولما هلك سيروس في الموقعة سعت الى الملك وكان لها عليه سلطان نافذ ، عرضت لى هذه الاشارة الخارجية ن الموضوع لمناسبة ذكر اسبازيا فلم ارد اغفالها ،

يتهم بريكليس باعلانه الحرب على اتساموس لمصلحة الميلاتين اجابة لرجاء اسبازيا . وقعت الحرب بين ساموس وميلا وسببها برين ، احرز الساموستون انتصاراً باهرا فى حين ان الاثنين دعوهم الى وقف الحرب والحضور لعرض مطالبهم فلم يأبهوا . لهذه الدعوة . ابحر بريكليس الى ساموس وحل الحكومة الاوليجارشيه واخذ رهائن قش من الاشراف ومثلهم من الاطفال وارسلهم وديعة فى لمفوس . ويقال ان كل من هؤلاء الرهائن قدم اليه تالانا ندية . وقدم اليه الذين لا يرغبون فى الحكومة الديموقراطية فى بلدهم هدايا أخرى .وان بيسوتيس الفارسى صديق الساموسيين ارسل اليه عشرة الاف قطعة ذهبية لارضائه عنهم رفض بريكلس كل هذا ونفذ فى الساموسيين ارادتة . وأقام فى بلادهم حكومة ديموقراطية ثم عاد الى اثينا . وماكاد يرحل حتى اسرع بسوتنيس واطلقه سراح اسرى

الساموسين واستعدوا للحرب . عاد اليهم بريكليس فالغاهم فى غير دهشة ولا وجل مصممين على القتال يريدون السيادة على البحر . نشبت بينهم حرب البحرية ضروس بالقرب من جزيرة تارجية وانتصر بريكليس انتصارا عظيما لانه بأربع واربعين سفينة هزم سبعين منها عشرون ملأى بالجنود .

ولما تم له النصر تعقب الساموسين الى مينائهم واستولى عليه وحاصر المدينة اذ تبسل المحاصرون فى الدفاع ثم فتحوا ابوابهم وتقدموا للقتال امام معاقلهم وفي هذه الاثناء وصلت الى بريكليس عمارة أوفر عددا من الاولى فحاصر المكان ثم اتخذ ستين سفينة وغادر الجزيرة قاصداً على مايقول أكثر المؤرخين ، لملاقاة اسطول ارسله الفينيقيون حلفاء ساموس ، ازاد بذلك القتال بعيدا عن الجزيرة . ويزعم ستاز ميروت انه ارد الحملة على قبرص. والظاهر ان هذا غير صحيح . ومهما تكن نيته فقد اثبتت الحوادث انه اخطأ . ذلك انه ماابتعد حتى ينهض الفيلسوف ماليسيوس بن إتاجانيس قائد الساموسين استخفا بالسفن الباقية أو بقوادها فامر مواطنيه بمهاجمة المحاصرين فهاجموهم وانتصروا وقتلوا من اعدائهم خلقا كثيرا وأغرقوا الكثير من سفنهم . واذ صار البحر حرا احتلوا المدن والذخائر الى مدينتهم ميدان كانوا محرومين منها : وقال بريكليس ان ماليسيوس سبق له ان انتصر على بريكليس قبل هذه الموقعة . أهان الساموسيون ، الاثينيين بمثل ماأهانوه . طبعوا على جبين كل منهم صورة نومة ، كما طبع الاثنيون على جبين كل من رجالهم صورة « ساموسيه » وهي سفينة واطيئة المقام عريضة مجوفة ما يجعلها سريعة السير خفيفة . وقد رعيت ساموسته لأن الاولى من نوعها بنت فى ساموس بامر الطاغية بوليقراط . .

الى هذا الطابع اشار ارسطوفان بقوله : : ان شعب ساموس قدير فى طباعة الحروف .

بركليعلس بناء هذا الجذلان فاسرع العودة الى رحاله ، قاتل ماتيسيوس

وقهروا والزمه الفرار . واعتزم التغلب على مقاومة المحاصرين والاستيلاء على مدينتهم ولكنه فضل التفريط فى المال والزمن عن التضحية بالرجال . فاحاط المكان بسور دائر . مل الاثينيون الحصار والحوا فى طلب القتال ولم يبق فى الامكان منعهم . فقسم بركليس جيشه الى ثمانية فرق . والقى بينها القرعة . فالفرقه التى يكون نصيبها فولة بيضاء ترتاح وتنعم . ويكون نصيب الاخر القتال . ولهذه الحادثة يقول الذين يقضون يومهم بين الراحة واللذة انهم قضوا يوما ابيضا اشارة الى فولة ساموس البيضاء . ويقول « أفور » ان بركليس استخدم فى هذه الحرب الات حربية لانه كان مولعا بهذا الاختراع الجديد الذى ابتدعه المهندس الميكانيكى ارتمون . وكان ارتمون هذا اعرجا يحمل على محفة الى حيث يقتضى العمل وجوده . لذلك اطلقوا عليه لقب « لبوريفوريت » (١)

وقد كذب هيراكليد البونتى دعوى أفور مستشهدا باشعار قالها اناكريون ذكر فيها رجلا يدعى ارتمون بريفوريت .

قبل حصار ساموس بعدة قرون . وارتمون الذى ذكره الشاعر رجل رقيق خامل جبان لم يكن يجراء على الخروج من منزله ، يبقى فيه جالسا يظلله خادمان بالدروع خشية ان يسقط عليه شىء . واذا اضطر للخروج حمل على محفة واطية ولذلك دعى باريفوريت .

سلم الساموسيون بعد حصار دام تسعة شهور فهدم بركليس أسوار المدينة وأخذ جميع السفن وضرب عليهم غرامة فادحة . دفعوا منها لنورهم جانبا وتعهدوا بدفع الباقى أقساطا في مواعيد محددة وقدموا الرهائن ضمانا . اتهم دوريس الساموسى الاثينين وبركليس بالتفنن فى ضروب القسوة مما لم يذكره توسيديد وإفور ولاارسطو بزعم والواقع يكذبه ان بركليس جاء بضباط السفن والبحارة وأوقفهم فى ساحة ميلة مشدودين الى اعدة حيث بقوا عشرة أيام ولما خارت

(١) مؤلفه من كلمتى يرى وفرو . (الذى يحمل من مكان الى مكان

قواهم أمر بقتلهم ضربا بالعصى . وطرح جثته بلا دفن . ولكن دوريس لم يكن من طبعه تحرى الحقيقة فيما يكتب حتى فيما لا يمسه فلا غرابة ان يغالى فى وصف بكائه وطنه تشنيعا على الاثينين .

تمت هزيمة ساموس وعاد بركليس الى أثينا وأقام لضحايا الحرب حفلة جليلة حيث القى خطبة التأبين بين تصفيق الجميع وعندما نزل عن المنبر قدمت اليه النساء التيجان والاكاليل كانه مصارع مبرز ولكن البينيس دنا منه . وقال نعم يابركليس انه لمما يستحق الاعجاب ولما يستحق هذه الاكاليل أن تهلك أولئك الوطنيين البواسل لا فى محاربة الفينيقيين او الفرس كما فعل أخى سيمون بل في خراب مدينة مليفة مدينة هى شقيقة اثينا ! » اصغى اليه بركليس دون أن يبدى حركة ثم أجابه باسما يقول ارخيلوك . «أيتها العجوز لا زلت تتضمخين بالطيب

وقال الشاعر يون أنه بعد انتصاره على الساموسين امتلأ اعجابا بنفسه واستعظم قدرته ومن أقواله . « صرف اغا ميمنون عشر سنوات للاستيلاء على مدينة بربرية . ولم أصرف سوى تسعة شهور للاستيلاء على اولى مدن يونى واقدرها . » والحقيقة أن له من هذه الحرب ، مايدعو للمفاخرة لما وقع اثناءها من الشدائد والخاطر حتى قال توسيديد ان الساموسين كادوا يسلبون الاثينين سيادة البحار .

رأى بعد هذه الحملة ان امواج الحرب البلوبونيزية أخذت فى الارتفاع فدعا قومه الى نصرة الكورسيرين اذا اعتدى عليهم الكورنثيون ؟ اراد بذلك ان يكسب فرقته صداقة جزيرة قوية بسفنها في وقت يوشك فيه اهالى بيلوبونيز ان يضروا اعداءها . قبل اقتراحه فارسل الى كورسير ، لاسيدمونيوس بن سيمون امكربه ، ولم يعطه سوى عشرة سفن لعلمه ان صلات الود بين اسرة سيمون والبلوبونيزين وثيقة فاذا لهذا القائد بعمل باهر مجيد تذرع بذكر دلالته بالشواطىء معهم لذلك لم يعطه سوى القليل من السفن وكلفه القيادة رغم انفه . وكان كل همه

الحط من قدر ابناء سيمون يدعوى انهم وطنيون غرباء ، دخلاء ، اجانب حتى فى اسمائهم ، وكان احدهم يدعى لاسيدمونيوى . والاخر تساليوس والثالث الايوس والمعروف ان والدتهم اركادية .

احس بريكلس بما وجه اليه الناس من اللوم لاقتصاره على ارسال عشرة سفن وهي عدة لا تغنى فى المساعدة وتجعل اليد العليا لخصومه السياسين . فاتبع الحملة اسطولا ضخما لم يصل الا بعد نهاية الموقعة . استاء الكورنثيون فرفعوا شكاتهم ضد الاثنيين الى سبارطه ؛ وانضم اليهم الميجاريون متظلمين من ان جميع اسواق اثينا وموانيها مقفلة فى وجوههم خلافا للحقوق المشتركة والعهود المتبادلة المعقودة بين جميع اليونانيين . لم يجرأ الا يجنبيون على الجهر بالشكوى مما عدده امتهان الاثينيين لهم واستعمال العنف فى معاملتهم فارسلوا شكاتهم سراً الى سبارطة فى هذا الوقت ثارت بوتيدة وهى مستعمرة كورنثيه ولكنها خاضعة لاثينا . قام الاثينيون بمحاصرتهم فكان عملهم استعجالا للحرب . اوفدت الرسل الى اثينا وكان ارخيداموس قد سوى جميع وجوه الخلاف وهداء ثائرة الحلفاء ؛ وكاد الصلح العام يتم ولم يكن الاثيينيون ليشبوا نار الحرب . نظرا لما نسب اليهم من الاخطار ، لو انهم قبلوا سحب قرارهم ضد ميجاريا وصالحوا الميجاريين .

ولكن بركليس ابى عليهم سحب القرار وحث الشعب على احتقان العداوة للمجاريين ولذلك تلقى مسؤلية الحرب عليه وحده .

جاء وفد سبارطى الى اثينا ، فقدم بركليس قانونا يحرم تحطيم اللوحة التى كتب عليها القرار . فقال بوليارسيس احد رجال الوفد ، حسن لا تحطمها ، اقلبها القانون لا يمنع ذلك

جاءت هذه الكلمة مرضية ولكن بركليس اصر على عناده . فمن المحتمل ان كان يحقد على الميجاريين لشأن خاص . ولكنه اراد ستر حقده تحت ستار المصلحة العامة التى يمكن اعلانها فاتهمهم بالاعتداء على ارض مقدسة حرام حرثها

وقرر ارسال مندوب من قبل الدولة يعرض عليهم الشكوى ثم يذهب الى سبارطة لتأييد التهمة . وكان القرار الذى اصدره بركليس مفرغا فى قالب الرقة والاعتدال ولكن انتيموكريت الذى ارسل بهذه المهمة مات أثناء تأديتها . نسب موته الى الميجاريين واصدر شاريتوس قرارا انه من الآن فصاعدا يكون البداء بين اثينا وميجاريا عداً لاصلح معه ولا هدنة . وان كل مجارى (المجاريين) يضع قدمه على ارض اتيكا يكون عقابه الموت . وان يقسم القواد عند الحلف القانونى أن يقوموا في سنة قيادتهم بحملتين على ميجار يده . وان يدفن انتيموكريت بالقرب من الابواب الترايازية المعروفه اليوم باسم « ديبيل » (الباب المزدوج)

ينفى الميجاريون تهمة موت انتيموكريت عن انفسهم وينسبونها الى بركليس واسپازيا مستندين الى ماجاء برواية الاشارنيين (١) ولا كتبه الالسن : وهو : يذهب شبان الى ميجاريا ويسكرون ثم يطغون المحظية سياته . فيدفع الالم الميجارين محظيتين من محظيات اسبازيا .

وعليه ليس من السهل ان نعرف السبب الحقيقى للحرب ولكن المؤرخين مجمعون على ان بركليس وحده هو الذى منع سحب القرار . وينسب البعض ذلك الى عظمة نفسه وحدة بصيرته فى مصالح بلاده تلك البصيرة التى ازته في الحاح السبارطيين فى هذه المسئلة نية محاولتهم اخضاع اثينا حتى اذا تنازلت كان ذلك اعترافا منها بضعفها . ويذهب الى ان الذى حمله على الاستهانه بانذارات سبارطه هو الانانية والرغبة فى اظهار قوته . ولكن اخبث ماقيل من الاسباب لهذه الحرب واكثرها رواية هو مايأتى .

كان المثال فيدياس على ماذكرناقائما بصنع تمثال منيرفا . وكان صديقا لبركليس ينعم بثقته التامه . او غرت هذه الصداقة عليه نفوس جماعة من حساده . وحاول البعض ان يعمل به مايعمله الشعب ببركليس اذا قدم للمحاكمة . استمالوا احد

(١) كومديه لارشوفان (سولوده) ،

عمال فيدياس وكان يدعى مانون ، ذهب مانون هذا الى الساحة العمومية ووقف وقفة الضارع المتوسل وطلب الامان لمقاضاة فيدياس واتهامه . قبل الشعب طلب هذا الرجل وعرضت القضية أمام المجلس العام لكن خصومه لم يستطيعوا ان يثبتوا عليه تهمة السرقة التى نسبوها اليه وذلك لان فيدياس حسب اشارة بركليس يضع جميع القطع الذهبية الداخلة في التمثال بحيث يسهل نزعها ووزنها . وهذا ماأمر بركليس المدعين باختياره . وهناك سبب لبغضهم فيدياس وهو شهرته . لاسيا عند مامثل نفسه على درع الآلهة في جرب الامازون شيخا أصلعا يرفع حجراً بيديه .ولانه أقام تمثالا بديع الصورة لبركليس يحارب امازونية (مترجلة) كانت يده المرفوعة لرماية السهم تغطى على نوع ما ، جانبا من وجهه . ولكن هذه اليد وضعت وضعاً فنيا بديعا كأنها تريد اخفاء الشبه ولكن الشبه كان بارزاً من الجانبين على اسمه . زج فيدياس فى السجن حيث قتله المرض أو كما يقول بعض الكتاب ، سم أعدائه . افتعلوا هذه الفعلة وقيعة ببركليس . اما المدعى مانون فقد أعفاه الشعب بناء على طلب جليكون من الضرائب وأمروا الحراس بحمايته .

وفى هذا الوقت كانت أسبازيا تدفع عنها نفسها تهمة منكرة وجهها اليها الشاعر الماجن هرميبوس (١) والتهمة انها تأوى نساء حرة تقدمهن الى بركليس وقدم ايو بيت قانونا يأمر كل اناس بالتبليغ عن كل من لايؤمن بآلهة الدولة أو يتناول الحوادث العمومية بشرح . أراد بذلك القاء الشبهة على بركليس لاتصاله بأناجزاكور . قبل الشعب القانون راضيا وأباح اتخاذ الاجراءات . وقدم داركونتيدس مرسوما آخر بان يقدم بركليس حساب ادارته المالية ، وان يحكم القضاة فى ذلك بالمدينية فى هيكل منيرفا . ولكن انيون عدل المشروع بان استبدل البند الثانى وجعله ان يعهد بالحكم فى ذلك الى الف وخمسمائة رجل . وان يعين المدعى أحد لجريمة. اسقاط . أوغش أو خطاء .

(١) أحد شعراء الكوميدية القديمة .

قال أشين (١) ان اسبازيا لم تنج من الحكم الا بفضل دموع بركليس وتضرعاته لجميع القضاة أثناء النظر فى القضية . ولخوفه على أناجزا كور أخرجه من المدينة وصحبه بنفسه حتى خارج أسوارها . اما قضية فيدياس فقد أضعفت شهرة بركليس : واذ داخله الريب فيما يتهدده من حكم نفخ في موقد الحرب الذى كان على وشك الاشتعال أملا ان يقضى بذلك على الدعاوى ويضعف حدة الغيرة والحسد لانه متى اشتدت الضائقة على أثينا وأحدق بها الخطر القت بنفسها بين يديه لما أحاط به نفسها من سلطان ورعاية . هذه هى الاسباب التى يعللون بها منعه الشعب عن اجابة السبارطيين الى طلبهم على أنه لا يمكن معرفة أسباب الحرب معرفة حقيقية

ولما كان السبارطيون يعلمون أنهم اذا تمكنوا من قلب سلطانه أصبح الاثينيون الين جانبا طلبوا الى هؤلاء أن ينفوا من المدينة كل نجس . اعتماداً على قول توسيديدان بركليس يرجع بنسب والدته الى جنس حقت عليه اللعنة ولكن حيلتهم عادت بنتيجة عكسية خابت معها أمالهم . ذلك أن الاثينيين بدل أن يصغوا اليهم ويستحيوا ثقتهم من رئيسهم وينفوه ازدادوا به ثقة واحتراما اذ رأوا الاعداء تبغضه وتخشاه . لذلك قبل أن يهاجم ارخيداموس اتيكا بجيوشه ، أعلن بركليس الاثينيين أنه اذا احتاج الاعداء الحقول ولم يمسوا أملاكه سواء أكان ذلك رعاية لعلاقات المودة والضيافة التى تربط أهلها برئيسهم أو قصد اعطاء خصومة السياسيين فرصة للتشنيع عليه ، فانه يمنح الجمهورية جميع حقوله ومزارعه .

أغار الملك ارخيدموس بجيش عرمرم من السبارطيين وحلفائهم على اتيكا واجتاحوا المزارع وعسكروا بالقرب من اشارنة اعتقاداً منهم أن الاثينيين لا يطيقون صبرا وان سورة الغضب ستدفعهم الى القتال . ولكن بركليس رأى من

(١) الخطيب الشهور مناظر ديموسينوس .

الخطر أن يعرض المدينة لقتال تحارب فيه ضد ستين الف جندى عدا دول الجيش من المغيرين من البيوتيين والسبارطيين . ولكن الاثينيين هاجمهم ما رأوا من العبث بمزارعهم فطلبوا خوض غمار الحرب ؛ ولكنه كان يهدئ، ثائرهم بقولهم ان الاشجار اذا قطعت نبتت ثابتة أما الرجال اذا ماتوا فلا تسبل اعادتهم الى الحياة . ولم يدع جمعية الشعب خشية ان يضطر الى العمل على غيرمارسمه. ان لغوتى الحكيم اذا فاجأته العاصفة اسعى الى تنظيم كل شيء ويستمد المقاومة غير معول الا على خبرته لا يبالى بدموع الركاب الذين أخذهم دوار البحر واستولى عليهم الفزع . لذلك كان بركليس بعد أن أحكم حياته مداخل المدينة ووزع الحرس على أماكن الدفاع ومكن أسباب الطمأنينة لم يصغ الا لحكمته وخبرته غير مبال بشكاوى وانفعالات الحاصرين ولا بالحاح اصدقائه ولا تهديد اعدائه كل الكل يريد الاهاجي ضده ساخرين بشخصيته يتهمونه بالنذالة والجبن محقرين شأنه متهكمين على قيادته التى تركت كل شيء نهبا للسالبين . وقد بلغ من كلاون ان اشتد غليه وانتهز فرصة هياج الشعب وشق لنفسه طريقا بينه حيث علت كلمته، كما يستفاد من قول هرميبوس . « يا ملك الكلام لماذا لا تحمل الرمح ؛ وتقصر جهدك على خطب تلقيها عن الحرب ؛ وقلبك فى الشجاعة كقلب فيلس، ايها الذنب الصامد الذى يشحذ السيف لماذا تفزع لرؤيته فاس الحرب . وتدع كلاون المنقد غيره يعضك . ؟

بقى بريكليس لا يتزعزع متحملا الاهانة والعداء بصبر وطول اناة . ارسل الى سبارطه عمارة مؤلفة من مئة سفينة وبدل ان يتولى قيادتها بنفسه بقى فى مدينة حرصا على بقائها في قبضته الى أن ينسحب الجيش السبارطى . واذ كانت الحرب قد آثارت النفوس عمد الى تهدئتها بتوزيع الاموال واحدار المراسيم بتقسيم الاراضى المكتسبة : طرد الايجنيين من جزيرتهم واقترع على

أملا كبهم بين الاثنيين .

وقد وجد هؤلاء عزاء فيما أصاب اعدأهم من الاذى طافت العمارة أنحاء بيلوتنيز تخرب وتتلف المزارع والقرى والمدن الصغيرة . ثم هاجم بريكليس الميجازيد سرا واكتسبها فاذا كان السبارطيون قد اخروا بالاثنيين فانهم لم ينجوا من الضرر فلا يستطيعون الاستمرار على القتال ولم يكن لهم بد من العدول عنها كما ارتأى بريكليس لولم تدخل قوة علوية فعطلت وافسد تدبير الانسان . انتشر الطاعون فحصد زهرة وقوة الشبيبة الاثنية . وابتلى الاجسام والنفوس فثار الكل فى وجه بريكليس ثورة المرضى المحومين فى وجه اطبائهم وابائهم . فعاملوه بالعسف والاساءة . وقد ادخل خصومه فى نفوس الشعب أن سبب هذا البلاء انه نقل الى المدينة عدد كبيرا من سكان الريف يسكون مكدسين ابان حرارة الصيف فى مساكن ضيقة لاهواء فيها حيث يجثمون طول نهارهم بلا عمل وهم معتادون استنشاق الهواء الطلق النقى . والذى افتعل ذلك هو الذى احدث هذه الحرب وهو الذى حشد هذه الجماهير بين اسوارنا حيث لاعمل لهم تحشرهم حشر البهائم فى الحظيرة . تفشو بينهم العدوى ولم يعن بتغير حالهم او نقلهم الى ما اعتادوه من الهواء الطلق .

أعد بريكليس تفاديا من هذا الخطر ونكاية بالاعداء ، منه وخمسين سفينه جهزها بالابطال من المشاة والفرسان فملأ قلوب الاعداء فزعا وقلوب الاثنيين املا ، وفيما كان كل شيء قد أعده والجيش على اتمه وبريكليس على سفينته كسفت الشمس ، فاستولى الفزع على الجميع لهذا الضلال الفجائى وحسبوه نذير سوء . رأى بريكليس نوتى سفينة مبهوتا حائرا يئسا فنشر رداءه أمام عينيه ولف به رأسه وسأله هل يرى فى هذا داعيا للخوف أو التشاؤم . فقال النوتى كلا . — فقال وما الفرق بين هذا وذلك ، غير أن الذى أحدث هذا الظلام اكبر من ردائى ؟ هذا ما يروى فى مدارس الفلاسفة .

ابحر بركليس ولكن النتيجة التى انتهى اليها لم تتفق مع هذا الاستعداد العظيم. حاصر مدينة أبيدور المقدسة وإذ كانوا على يقين من الاستيلاء عليها اخطأهم التوفيق. ذلك أن الطاعون فشا في الجيش ولم يقض على الاثينين فقط بل وعلى كل من يدخل المعسكرات أو يدنوا منها. اتهموه بانه علة هذا البلاء فحاول تعزيتهم وتشجيعهم ولكنه لم يستطع تهدئة الخواطر أو تغير نفوسهم. رفعوا ضده الدعوى واخذوا الاصوات فحكمت الغالبية بتجريده من القيادة والحكم عليه بغرامة. يقول بعض المؤرخين أنها خمسة عشرة تالانة ويقول البعض أنها خمسون. ويقول إرومانية ان المدعى هو كلاون ويقول تيوفراست انه سيمياس ويقول هيرا كليد انه لا كراتيداس.

لم يطل زمن هذه المعاكسات؛ لقد اصابه الشعب بجرح ادمى قلبه ولكنه أبقى غضبة فى جرحه، لوهم هذا التعبير. غير أن بركليس وقع تحت ضربات حزن عائلية. حرمه الطاعون كثيراً من اصدقائه. وآلمه الشقاق المتحكم فى منزله. كان اكسانتيب بكر ابنائه الشرعية مسرفا بطبيعته وتزوجت امرأة فتية مبذرة. وهى امينة إزاندر ابيليكوس ساء هذا الولد حرص والده وشيخه اقترض من أحد إصحابه باسم والده مبلغاً من المال فأقرضه. ولما جاء يطالبه برد المبلغ انكره بركليس وقاضاه غضب الولد وسار فى المدينة يشنع على والده متعمداً السخرية بوالده يروى لكل من قابله احاديث عن حياته العائلية. وأحاديثه مع السوفسطائيين ومن رواياته عنه أن مصرح قتل غير متعمد حصان ابيميوس بسهم ارداه. فقضى بركليس يوماً كاملا فى البحث مع بروتاجوراس عمن يصح اتهامه عقلا اهو السهم او الذى رمى به. او الاجونوتيت. ويقول ستازمبروت ان الذى اشاع مايروى عن امرأة اكسانتيب هو اكسانتيب نفسه. وانه مات قبل أن يصطلح مع والده. اهلكه الطاعون. فقد بريكليس شقيقته وأكثر اهله واصحابه ممن كان معتمد على شورانهم في حكومته. ولكن كل هذه النكبات لم تكن

تقل من عزمه او تذهب بشيء من عظيمة نفسه . فلم ير ابداً با كياً ولم يقم مأتماً ولاوقف على قبر عزيز . ولكن عندما احتسب فى بارالوس آخر ابنائه الشرعيين . حاول التجلد عبثاً وذهب جهده فى الاحتفاظ بعزيمته سدى خارت قواه وعند تقدم الى الجثة يضع عليها اكليلا خانه جلده واستولى عليه الحزن وعلا صوته بالشهيق وسالت عيونه بالدموع وكانت هذه أول مرة فى حياته رآه اليأس مستسلماً لليأس .

جرب الاتينيون الكثير من الضباط والخطباء لقيادة هذه الحرب ولكن مامن احد منهم كان لها كفوأ . فاسفوا عليه واستدعوه إلى المقبر ورياسة الجند . ولكنه كان قد لزم بيته مكتئباً حزيناً ولكن السيباد واصدقاءه حملوه على الظهور ، احتذر الشعب عن جموده وإعيد انتخاب بركليس قائداً عاماً وعاد تولى شؤون الحكومة . وكان أول همه اعادة النظر في قانون الانباء لغير الشرعين الذى وضعه قبلا اراد بذلك أن تبقى ضياع ذكره اذ لم يبق له ابناء شرعيون . وضع هذا القانونى أبان مجده الاول حين كان له ابناء شرعيون . وفحواه ان لايكون الانسان اتينياً إلا إذا كان أبوه وأمه اثينيين . وحدث ان ملك مصر اهدى إلى الشعب اربعين الف (مد) مديوم من القمح هاجت النفوس عند توزيعها وكثرت الشكاوى ضد من لايستحقون حتى بلغ عدد هؤلاء خمسة آلاف . تعددت التهم الكاذبة هذا ابن غير شرعى وهذا عبد بيع . وقد لقى الكاذبون جزاءهم على أن التعداد اثبت أن ليس فى المدينة من يستحق لقب وطنى اثينى سوى اربعة عشر الفاً واربعين

وانه لمن الحوادث الخطيرة ان قانونا لهذا نفذ بتلك الشدة يلقيه من اصدره . ولكن الاثينيين رثوا لمصابه وعدوه جزاء سماويا له على شدة أبائه وكبريائه واعتقدوا أن السماء تولت عقابه وانه يستحق العطف فسمحوا له ان يقيد ابنه الغير شرعى فى عداد الوطنيين وانه يمنحه لقبه . هزم هذا الولد عمارة بيلوبينيز فى جزائر

ارجينوس ولكن لقى حتفه في أثينا حيث حكم الشعب عليه وعلى زملائه القواد بالموت .

حينئذ أصيب بركليس بالطاعون ولكنه لم يفتك به فبكه السريع بسواه بل كان فعله بطيئاً وطال به عهده فى عوارض مختلفة يهزل بدنه ويضعف نفسه روى تيوفراست في بحثه « الخلق » . هل يغير الحوادث خلق الرجل وهل تبدله أهواء الجسم فتبعد به عند الفضيلة : زار صديق بركليس أثناء مرضه فاراه تميمة علقته النساء في عنقة مستدلا بقبوله هذه السخافة على انه في حالة روية جداً .

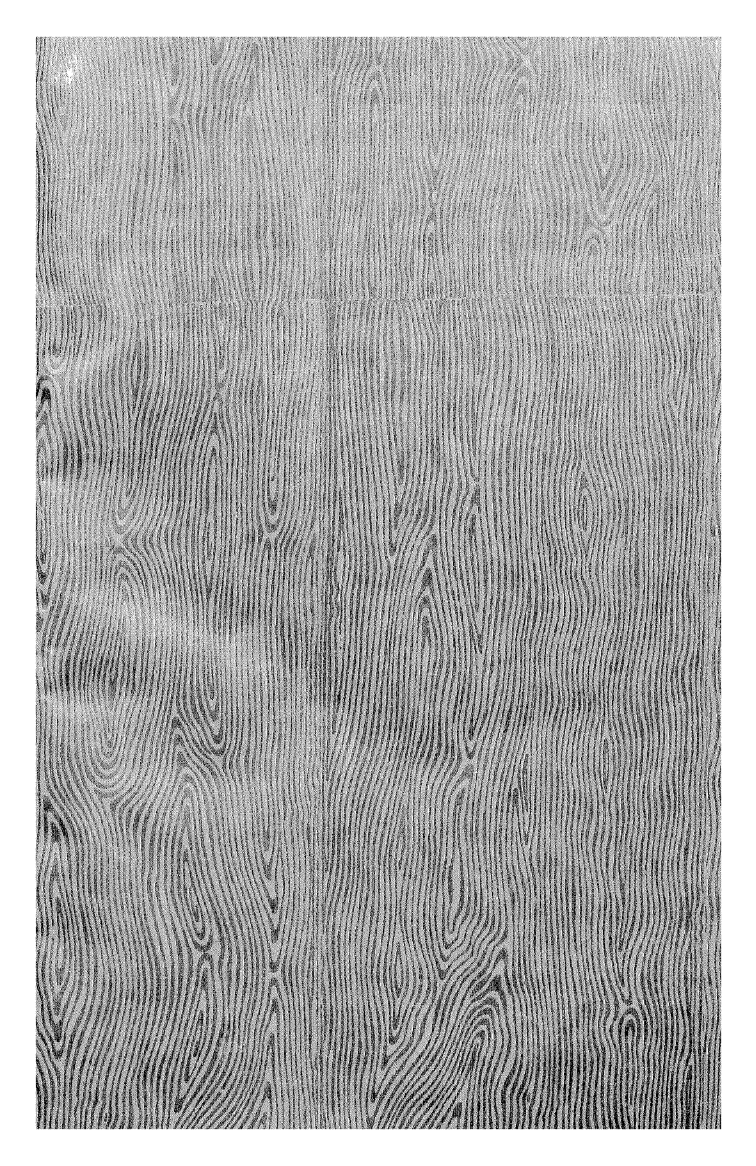
كان كبار الوطنيين والباقون من أصحابه حول فراشه عند موته يتحدثون بماله من قدر وما كان له من سلطان وما غنم الاثينيون من نصر تحت امرته يعدون من مفاخره تسع أكاليل تخلد ذكره . كانوا يتحدثون بذلك واهمين انه فقد صوابه وانه لايعى ما يقولون . ولكنه كان مصغيا لحديثهم وقاطعهم على فجأة منهم بقوله . انه يعجب لهم اذ يثنون عليه بانتصارات للحظ فيها نصيبه ويشاركه فيها غيره من القواد ولكنهم لايذكرون له أجل وأجمل ماعمل فى حياته . ذلك : « انى لم ألبس أثينيا ثوب الحداد . »

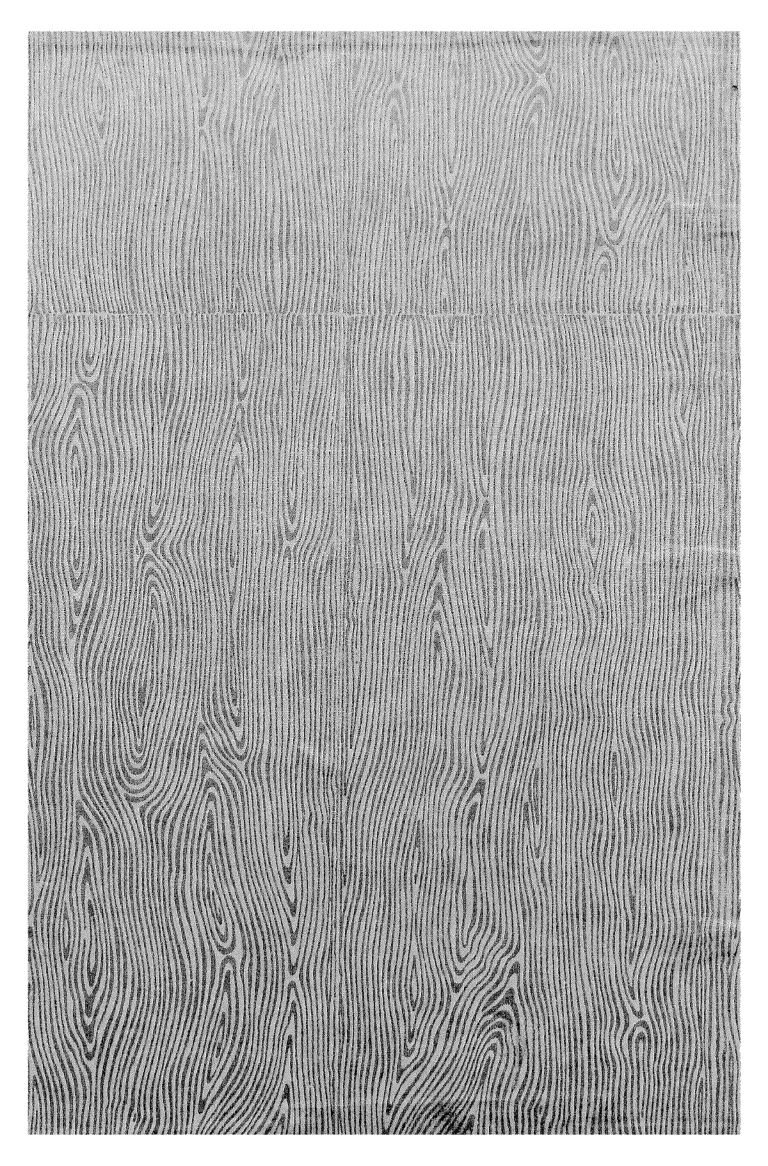
علينا أن نعجب كل العجب باللطف والدعة اللذين كاناحليته ابان مهامه العديدة حيث كان غرضا لمختلف الضغائن والاحقاد . إنا لنعجب به لهذه العواطف السامية التى جعلته يعتقد أن اسمى مفاخره انه مع ما كان له من سلطان طويل الآمدلم يلن لحقد ولا غضب ولم يقس على عدو : ولم يكن هذا اللقب على ضخامته وجلاله ، لقب الاولمبى ليمنع عنه حسد الحاسدين ويجعله حقيقا بركليس . لولا دماثة أخلاقه وطهارة حياته فى حكمة وبقاء سيرته التى لم تشبه شائبة . لذلك نعتقد ان الالهة ملوك وسادة جميع المخلوقات ينابيع خير لا شر فيها . أنالا نشوش أفكارنا بما يدعيه الشعراء من اقوال وتعاليم كلها هوش واضطراب . انهم يمثلون لنا ما يدعونه مساكن الالهة مواطن

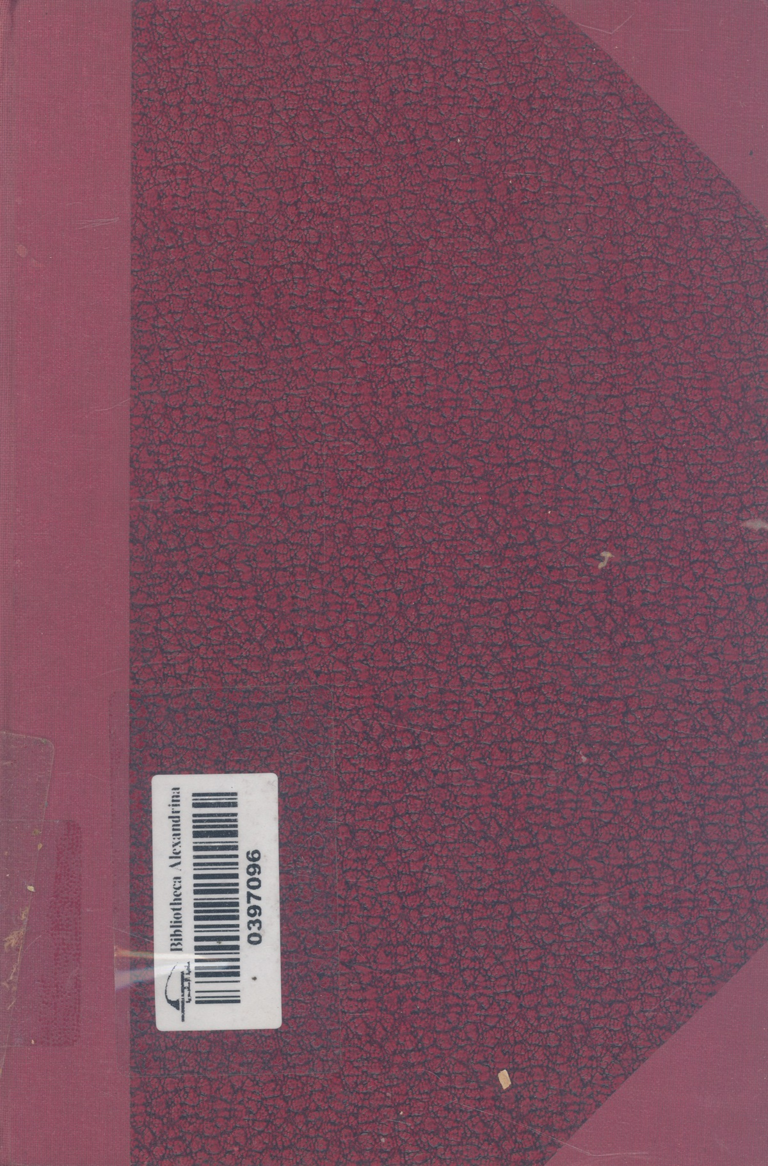
يسودها الهدوء التام لا يتسرب اليه هياج ولا رياح ولا غيوم تحيط بها الروعة وينيرها صفاء دائم . هذا ما يجب أن تكون عليه مساكن الطوباو بين (الخالدين) . ولكن هؤلاء الشعراء يمثلون لنا الآلهة في الاضطرابات مستمرة وأحقاد وانفعالات وأهواء لا تليق بالعقلاء من الناس. ولكن هذا البحث حقيق بمؤلف خاص.

هذبت الحوادث التي تليت موت بريكليس نفوس الاثنيين فعرفوا للرجل قيمته واسفوا لموته في غير مواريه .وقد اعترف الذين كانوا ينقمون عليه تفوقه بعد موته وبعد ماخبروا غيره من القواد والخطباء ان لم يكن مثله رجل جمع بين الاعتدال والعظمة والرقة والجلال .

وذلك السلطان الذى حفظ عليه القلوب ذلك الذى كانوا يدعونه ملكية واستبدادا .علموا اخيرا أنها لم تكن سبيلا للسلام . انغمست الحكومة بعده في المفاسد والشهوات التى كان يكرهها على الانزواء ويكر من شرتها بما كان يلقى عليها من الدراية والهوان مضارات مما لا يستعصى شفاؤه .






Bibliotheca Alexandrina
03970966